رسول الله وخاتم النبيين

دين ودولة

القسم الثاني

الاضطهاد والهجرة والتنمية



أ. د عبد العزيز بن إبراهيم العُمري

أستاذ السيرة النبوية

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض

رابطة العالم الإسلامي

الهيئة العالمية للتعريف بالرسول ونصرته

كرسي المهندس عبد المحسن الدريس للسيرة النبوية ودراساتها المعاصرة

رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ

دين ودولة

تأليف

أ.د. عبد العزيز بن إبراهيم العُمري

عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض (سابقاً)

[٢]

االقسم الثاني

الاضطهاد والهجرة

والتنمية

[٢]

القسم الثاني
الاضطهاد والهجرة والتنمية

أ.د. عبد العزيز بن إبراهيم العُمري

عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض (سابقًا)

ح عبد العزيز بن إبراهيم العُمري، ١٤٣٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر.

العُمري، عبد العزيز بن إبراهيم.

رسول الله وخاتم النبيين/عبد العزيز إبراهيم العُمري – الرياض، ١٤٣٢هـ

٥ مج

ردمك:٩- ٧٥٦٦- ٠٠- ٦٠٣- ٩٧٨(مجموعة)

٣- ٧٥٦٨- ٠٠- ٦٠٣- ٩٧٨ (ج٢)

١- السيرة النبوية أ. العنوان

ديوي ٢٣٩ ١٤٣٢/٥١٦١

رقم الإيداع: ١٤٣٢/٥١٦١ ردمك:٩- ٧٥٦٦- ٠٠- ٦٠٣- ٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ/٢٠١١م

ص. ب: ١٠٠٤٣٧ الرياض: ١١٦٣٥

هاتف: ٢٧٤٦٦٧٧ ، فاكس:٢٧٥٩٠٢٠

E-mail:azizomary@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٖ مِّنَ ٱللَّهِ
وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٦٢ هُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ
وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ١٦٣ ﴾ [آل عمران]

أذى المشركين للرسول ﷺ وما لقي منهم: [١]

كانت بداية الأذى من أبي لهب وامرأته، وأخذ قومه وخصوصاً الزعماء العتاة المعاندون في المشاركة في أذى رسول الله ﷺ و أصحابه، كان على رأس هؤلاء عمرو بن هشام (أبو جهل) كما أسماه الرسول ﷺ بعدما أصر على الكفر والعناد، وكان يسمى عند الجاهليين أبا الحكم بن هشام.[٢]

وأما زعيمة المؤذين لرسول الله ﷺ من النساء فكانت امرأة أبي لهب، وتسمى جميلة بنت حرب.[٣]

إن هذا الأذى لرسول الله ﷺ استمرَّ بعد الجهر بالدعوة عشر سنوات، يضاف إليها ثماني سنوات بعد الهجرة حتى فتح مكة، كان يحمل لواءها عتاة القوم،

---

(١) انظر: ابن أبي شيبة، المغازي، باب ما جاء في أذى قريش للنبي ﷺ وما لقي منهم، ص١٠٧؛ وانظر: البخاري في صحيحه، باب ما لقي النبي ﷺ من المشركين في مكة، ج٤/٢٣٨.

وانظر: سليمان بن عبدالله بن مديد السويكت، محنة المسلمين في العهد المكي، مكتبة التوبة، ط١، الرياض١٤١٢

(٢) انظر: ابن حبيب، المنمق في أخبار قريش، ص ٣٤٠، ٣٦٦.

(٣) تفسير ابن كثير، ج٢/٢٠٤٥.

فـإذا سـقط بعضـهم كمـا حـدث في بـدر حملـها آخـرون، حتـى أذن الله بفـتح مكـة والقضـاء نهائيـاً علـى قوتهـا، كانـت في بدايـة الجهـر بالـدعوة جميلـة زوجـة أبـي لهـب مـن أشـد النـاس أذى لرسـول الله ﷺ، ولمـا سمعـت بنـزول سـورة المسـد أتـت الرسـول ﷺ وهـو جـالس في المسـجد عنـد الكعبـة ومعـه أبـو بكـر الصـديق وفي يـدها حجـارة فوقفـت عليهمـا وهـى لا تـرى رسـول الله ﷺ، فوجهـت حـديثها لأبـي بكـر الصـديق، وقـد اخـذ الله بصـرها عـن رسـول الله ﷺ. فقالـت: يـا أبـا بكـر أيـن صـاحبك فقـد بلغـني انـه يهجـوني، والله لـو وجدتـه لضـربته بهـذا الفهـر، ثـم انصـرفت وهـي تـردد (مـذمماً أبينـا وأمـره عصـينا ودينـه قلينـا)، فقـال أبـو بكـر يـا رسـول الله ﷺ أمـا تراهـا رأتـك؟ فقـال: مـا رأتـني لقـد اخـذ الله بصـرها عنـى، (فكـان رسـول الله ﷺ يقـول: ألا تعجبـون لمـا يصـرف عنـى مـن أذى قريش يسبون ويهجون مذمماً وأنا محمد).(١)

وقـد آذى أبـو لهـب وامرأتـه أم جميـل الرسـول ﷺ بقيـة حياتهما حتى هلكا على الكفر.

(١) ابـن هشـام، السـيرة النبويـة، ج١/٣٥٦؛ وانظـر: أكـرم العُمـري، السـيرة النبويـة الصحيحة، ص ٢٩٣.

كانت قريش وكفارها يصبون شتى أنواع الأذى على رسول الله ﷺ ويستهدفون ثنيه ومن معه عن الإسلام، كما كانوا يصدون الناس عن السماع لرسول الله ﷺ بعد أن انتشرت دعوته ويعقدون الاجتماعات ويحيكون المؤامرات لمنع الناس من السماع لهذا الدين، كما كانوا يوجهون أشد أنواع الأذى الجسدي المعنوي لرسول الله ﷺ في محاولة منهم للصد عن سبيل الله.(١)

عن عمرو بن العاص قال: ما رأيت قريشاً أرادوا قتل النبي ﷺ إلا يوماً ائتمروا به وهم جلوس في ظل الكعبة، ورسول الله ﷺ يصلي عند المقام، فقام إليه عقبة بن أبي معيط، فجعل رداءه في عنقه ثم جذبه حتى وكب لركبته ساقطاً، وتصايح الناس، فظنوا أنه مقتول، فأقبل أبو بكر يشتد حتى أخذ بضبعي رسول الله ﷺ من ورائه، وهو يقول(أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله)، ثم انصرفوا عن النبي ﷺ فقام رسول الله ﷺ فصلى، فلما قضى صلاته مر بهم وهم جلوس في ظل

---

(١) انظر: الفصل الخاص بموقف زعماء قريش من دعوة الرسول وأذاهم له وللمسلمين في كتاب محمد الشنقيطي. (السيرة النبوية لابن حجر في فتح الباري)، ج١/٣٩٨.

الكعبة، فقال: يا معشر قريش! أما والذي نفس محمد بيده! ما أرسلت إليكم إلا بالذبح، وأشار بيده إلى حلقه، قال: فقال له أبو جهل: يا محمد! ما كنت جهولاً، قال: فقال رسول الله ﷺ: أنت منهم.(١)

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مر أبو جهل، فقال: ألم أنهك، فانتهر النبي ﷺ فقال له أبو جهل: لم تنتهرني يا محمد والله لقد علمت ما بها رجل أكثر نادياً مني، قال فقال جبريل فليدع ناديه. قال: فقال ابن عباس: والله أن لو دعا ناديه لأخذته زبانية العذاب.(٢)

وعن عبد الله بن مسعود ؓ قال: كان النبي ﷺ يصلي في ظل الكعبة، قال: فقال أبو جهل وناس من قريش، قال: ونحرت جزور في ناحية مكة، قال: فأرسلوا فجاءوا من سلاها فطرحوه عليه، قال: فجاءت فاطمة رضي الله عنها حتى ألقته عنه، قال:

(١) ابن أبي شيبة، المغازي، ص ١٠٩؛ والذهبي، السيرة النبوية، ص: ١٦٥؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٢٩٠.

(٢) ابن أبي شيبه، المغازي، ص ١٠٩؛ ورواه الطبري في تفسيره، ج١٢/٦٥٨؛ وانظر: ابن إسحاق، السيرة النبوية، ص ٢١٣؛ والذهبي، السيرة النبوية، ص ١٥٥.

فكـان ينتحـب ثلاثـاً ، يقـول : اللـهم عليـك بقـريش ، اللـهم عليـك بقـريش ، اللـهم عليـك بـأبي جهـل ابـن هشـام ، وعتبـة بـن ربيعـة ، وشـيبة بـن ربيعـة ، والوليـد بـن عتبـة ، وأميـة بـن خلـف ، وعقبـة بـن أبـي معـيط. قـال : قـال عبـد الله : فلقـد رأيـتهم قتلـى في قليـب بـدر ، قـال أبـو إسـحاق : ونسيت السابع.[١]

ومـع مـا لقـي رسـول الله ﷺ شخصـياً مـن أذى قومـه فقـد كـان عمـه أبـو طالـب يمنـع عنـه الأذى بمـا يسـتطيع ، وكـان لا يـزال علـى ديـن قـريش يحسـبون لـه حسـاباً ، وخصوصـاً في بدايـة الـدعوة أمـلاً مـنهم أن يكـون عونـاً لهـم علـى الـنبي ﷺ كحـال أبـي لهـب ، لكنـه كـان عونـاً للـنبي ﷺ ومـدافعاً عنـه ،[٢] فوصـله ﷺ مـن الأذى الشـيء الكـبير مـع دفـاع عمه عنه.

وفي مراحل متقدمة قرر المعاندون من قريش قتل النبي ﷺ ،

---

(١) انظر: رواية البخاري في صحيحه،كتاب المغازي، باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة، ج٤/٢٣٨.
انظر : غزوة بدر من هذا الكتاب.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٢٦٥؛ ابن سعد، السيرة النبوية من الطبقات، ج١/٢٠١؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ج١/٤٦٤.

فسعى رجال منهم إلى أبي طالب فيهم أبو جهل وغيره، وقالوا: يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سبّ آلهتنا وعاب ديننا وسفه أحلامنا، وضلل أبنائنا، فإما أن تكفه عنّا وإما أن تخلي بيننا وبينه على ما نحن عليه فنكفيك، فقال لهم أبو طالب قولاً رقيقاً وردهم.

واستمر رسول الله ﷺ في دعوته، ثم جاؤوا أبا طالب مرة أخرى وذكروه بتحذيرهم الأول، وشددوا عليه وقالوا: يا أبا طالب أن لك فينا سناً وشرفاً ومنزلة، وقد نبهناك عن ابن أخيك فلم تنته، وإنا لا نصبر على شتم آلهتنا وتسفيه أحلامنا وعيب آلهتنا، فإما أن تكفه عنّا أو ننازله وإياك حتى يهلك أحد الفريقين وانصرفوا، فعظم الأمر على أبي طالب وخشي من عدوان قومه له، ولم تطب نفسه أن يخذل النبي ﷺ ومع ذلك فقد كلم رسول الله ﷺ فقال له: يا ابن أخي إن قومك قد جاءوني فذكر له ما قالوا، فابق علي وعلى نفسك ولا تحملني ما لا أطيق، فظن رسول الله ﷺ أنه قد بدا لعمه فيه بداء، وإنه ربما خاذله أو ضاعف عن نصرته، فكان رد رسول الله ﷺ واضحاً في الثبات على دينه، فاظهر عمه الاستمرار في الدفاع عنه وقال: يا ابن أخي افعل ما أحببته فو الله لا أسلمك لشيء

أبداً،[١] ثم جاءت قريش مرة أخرى إلى أبي طالب ومعهم (عمارة بن الوليد) أحد شباب قريش، فقالوا: يا أبا طالب هذا عمارة بن الوليد أنهد - أشد وأقوى- فتى في قريش وأجمله فخذه فلك عقله ونصره، واتخذه ولداً فهو لك، وأسلم ألينا ابن أخيك هذا الذي خالف دينك ودين آبائك وفرق جماعة قومك وسفه أحلامك فنقتله، فقال أبو طالب: والله بئس ما سألتموني! أتعطونني ابنكم أغذوه لكم،وأعطيكم ابني تقتلونه؟. هذا والله لن يكون أبداً،[٢]واشتدت القطيعة بين أبي طالب وبين قومه ثم لجأت قريش إلى محاولة إغراء رسول الله ﷺ بالشهوات والحياة الدنيا، ذلك أن عتبة بن ربيعة، وكان من سادات قريش رأى النبي ﷺ جالساً في المسجد الحرام فقال لسادة قريش: يا معشر قريش ألا أقوم إلى هذا (يعني الرسول ﷺ) فأعرض أموراً لعله يقبل بعضها ويكف عنّا؟ قالوا: بلى يا أبا الوليد، فقام حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فحدثه وقال: يا ابن أخي إنك منا حيث قد علمت في العشيرة والمكان والنسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٢٦٦.

(٢) ابن سعد، السيرة النبوية من الطبقات، ج١/٢٠٢.

آبائهم فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها فقال ﷺ: ((قل يا أبا الوليد أسمع)) قال: يا بن أخي إن كنت تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب عليك التابع على الرجل حتى يداوى منه .. حتى إذا فرغ عتبة بن ربيعة من حديثه والرسول ﷺ يسمع إليه بكل أدب ناداه بأحب الألقاب إليه قائلاً: (أفرغت يا أبا الوليد؟) قال: نعم، قال: فأسمع مني قال: أفعل، فقرأ عليه رسول الله من سورة فصلت ﴿ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [فصلت] ومضي رسول الله ﷺ حتى وصل إلى﴿ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةً مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ ﴾ [فصلت] حتى إذا أتى الرسول ﷺ السجدة في قوله تعالى﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ

﴿ ٣٧ ﴾ [فصلت] وسجد رسول الله ﷺ فاندهش عتبة مما سمع من رسول الله ﷺ ومن سجوده، وقيل إنه لما وصل الرسول ﷺ لقوله تعالى: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَـٰعِقَةً مِّثْلَ صَـٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ ﴾ [فصلت] أمسك عتبة بفم رسول الله ﷺ وأخذ يناشده ويصيح: أنشدك بالله والرحم، ثم استند إلى يديه وأخذ يغرق في التأمل والتفكير، ثم عاد إلى الملأ من قريش فلما رأوه مقبلاً عليهم قال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به.

فجلس إليهم مطرقاً، قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة، يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي، وخلوا بين الرجل وبين ما هو فيه، !! فاعتزلوه؟. فو الله ليكون لقوله الذي سمعت منه نبأ، فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به قالوا سحرك يا أبا الوليد بلسانه! قال: رأي فاصنعوا ما بدا لكم.(١)

---

(١) انظر القصة مع اختلاف في تفصيلاتها عند:

والغريب أن عتبة بن ربيعة تيقن صدق رسول الله ﷺ، وعرف القرآن الذي جاء به وسمعه منه مباشرة، ومع ذلك فقد قتل معانداً مشركاً في صفوف قريش يوم بدر،[١] رغم تحذيره لقومه، وأن محمداً سينتصر على من عاداه. وهذا الموقف يبينّ صدق رسول الله ﷺ في دعوته، وأنه ما جاء يطلب الدنيا والملك ولا النساء، ولكنه رسول من عند الله.

كان أبو جهل (الحكم بن هشام) من أشد الناس إيذاء للرسول ﷺ سواء بنفسه أم بدفعه للآخرين وتحريكهم لإيذاء النبي ﷺ، ذكر أن الوليد بن المغيرة وهو والد خالد بن الوليد سمع القرآن من النبي ﷺ فرق ولان قلبه، فعلم بذلك أبو جهل، فأراد أن يبعده من الخير ويحركه في اتجاه معاداة النبي ﷺ وأذاه، فتوجه إلى الوليد بن المغيرة وقال له أبو جهل: يا عم يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً قال: لم؟ قال: ليعطوكه فإنك أتيت محمداً لتتعرض ما قِبله.

ابن هشام، السيرة النبوية،ج١/ ٢٩٤. ابن كثير، البداية والنهاية، ٣ / ٥٣
وانظر: ابن أبي شيبة، المغازي، ص ١٠٨؛ الذهبي، السيرة النبوية، ج٢٩٤/١.

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٦٤٢/٢

فغضب وقال: لقد علمت قريش أني من أكثرها مالاً، فقال أبو جهل بعد أن استثاره: فقل في القرآن قولاً يبلغ قومك أنك منكر له قال: وماذا أقول؟ فو الله ما منكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه ولا بقصيره مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، والله إن لقوله الذي يقول لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وانه ليعلو ولا يعلى عليه، وانه ليحطم ما تحته!![1]

ولم يعجب هذا الكلام أيا جهل فحركه مستثيراً قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه، قال دعني أفكر فيه، وبعد جهد وتفكير وتقدير قال: إن هذا إلا سحر يؤثر، ألم تروه يفرق بين الرجل وأهله، والولد ووالده. وفي الوليد وقوله نزل قوله تعالى: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك، ج٢/٥٠٦؛ وانظر: مهدي رزق الله، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص ١٧٩.

يُؤۡثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبۡقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٞ لِّلۡبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [المدثر].[1] ولما سمع أبو جهل بقوله تعالى عليها تسعة عشر، وهو المحرك للوليد تهكم أبو جهل وقال: يزعم محمداً أن جنوده الذين يعذبونكم في النار ويحبسونكم تسعة عشر وأنتم أكثر الناس عددا، أفيعجز كل رجل منكم عن رجل منهم؟[2] فأنزل الله تعالى ﴿ وَمَا جَعَلۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةٗۖ وَمَا جَعَلۡنَا عِدَّتَهُمۡ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيَسۡتَيۡقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَيَزۡدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنٗاۙ وَلَا يَرۡتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡبَشَرِ ﴿٣١﴾ ﴾ [المدثر]. وهكذا يتنزل القرآن حياً على رسول الله ﷺ في حال هؤلاء المعاندين، يرصد ما قالوا ويبادرهم برد من لدن حكيم عليم، إذا استشعر الإنسان القصة والرد الإلهي على هؤلاء علم أنه قرآن محكم منزل على رسوله، منجم حسب الحوادث، آيات تتلى إلى يوم القيامة، وقد كان أبو جهل وغيره من عتاة الكفر وأسياد مكة المتكبرين، يتواصون بعدم السماع لكتاب الله

---

(١) ابن كثير، تفسيره، ج١٩٣٨/٢.

(٢) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣١٣/١؛ وتفسير ابن كثير، ج١٩٣٧/٢.

فينزل على رسوله: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [فصلت].

كما أنهم إذا سمعوا تكبروا فنزل قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [فصلت]. وحاولوا أن يسخروا من الرسول ﷺ ويستنقصونه ببشريته وفعله ما يفعل الناس فكان رد القرآن عليهم واضحاً﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوۡ يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٞ يَأۡكُلُ مِنۡهَاۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَٰلَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا ﴿٩﴾ ﴾ [الفرقان] وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا ﴿٢٠﴾ ﴾ [الفرقان] وقوله تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [فصلت] وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا

جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [الأنبياء]، كما أنكر بعضهم أن يبعث الله بشراً، وقالوا لو كان ملكاً فرد عليهم القرآن ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الأنعام]، وطالب بعضهم أن يكون معه ملك، فجاء قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [الأنعام]، وطلب أولئك المعاندون آيات وعلامات، ليس بحثاً عن الحق ولكن عناد ومكابرة قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [العنكبوت]، وفي قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [طه].(١)

كما أتهم الرسول ﷺ بأنه يتعلم القرآن من بعض النصارى في

---

(١) راجع تفسير الآيات عند ابن كثير، ج٢/١٢٣١.

مكة أو من غلمانهم،(١) فرد عليهم القرآن: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [النحل]، وقد حاولوا تفريق جمع المسلمين فاتهموا أتباع الرسول ﷺ بأنهم الضعفاء وأردوا منه فراقهم ليجلسوا معه، فنهاه القرآن عن ذلك وأمرهم بالثبات، وأمر الرسول ﷺ بالصبر معهم ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الأنعام] وأكد القرآن على أن الدعاة يد واحدة، وأمر الرسول ﷺ بالصبر معهم: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الكهف]. وهكذا يتنزل القرآن حياً في كل مناسبة يرد عليهم.

ولم يكتف كفار قريش باختراع العوائق والعقبات أمام الرسول ﷺ، بل استعانوا بيهود وخبرتهم، والذين أصبحوا

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ج١/١٠٧٧.

أعداء رسول الله ﷺ وهو في مكة، بإعانتهم لقريش قبل الهجرة وبعدها، وطلبوا منهم أن يسألوه عن ثلاثة أشياء معجزة، عن أصحاب الكهف، وعن ذي القرنين، وعن الروح، في محاولة من يهود وقريش لتعجيز النبي ﷺ، فنزلت الآيات على الرسول ﷺ في سورة الكهف جواباً على أسئلتهم ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ ﴾ [الكهف] ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [الإسراء]. ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ ﴾ [الكهف].(١)

وكان القرآن يتنزل على الرسول ﷺ في تلك المواقف ليرد عليهم، كما زعموا أن لو كان نبياً لما كان محمد، ولكان رجال آخرون هم بها أولى كما زعموا، ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الزخرف].

---

(١) انظر: تفصيل ابن هشام في السيرة، ج١/٣٠١ : ٣٠٩.

واتهموا الرسول ﷺ بأنه جاء بأساطير الأولين ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ٥ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٦ ﴾ [الفرقان]، واتهموه بالمجنون ﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ٦ ﴾ [الحجر]، ﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ ٥١ ﴾ [القلم]، ورد القرآن عليهم ﴿ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤ فَسَتُبۡصِرُ وَيُبۡصِرُونَ ٥ بِأَييِّكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ ٦ ﴾ [القلم]، واتهموه بأنه ساحر ﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ٤ ﴾ [ص]، وطالبوا بأمور مختلفة أخرى: ﴿ أَوۡ يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٞ يَأۡكُلُ مِنۡهَاۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ٨ ﴾ [الفرقان]، واتهموه بأنه كاهن ويأتي بالقرآن من عنده وهو من سجعه، فتحداهم الله سبحانه وتعالى أن يأتوا بمثل هذا القرآن أو سورة في قوله تعالى: ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٣ ﴾ [هود]، واتهموه بالشعر وقول الأحلام: ﴿ بَلۡ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمِۭ

بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [الأنبياء]، كما دافع القرآن عنه وعن استهزائهم بالنبي وذكره بالأنبياء قبله ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الأنعام]، وكان القرآن الكريم يذكر الرسول ﷺ بأن من قبله من الأنبياء نالوا حظهم من الأذى واستهزئ بهم من أقوامهم.

وكان من المجادلين للرسول ﷺ والمؤذين له (أُبي بن خلف) الذي أخذ عظماً باليا وأخذ يفته أمام الرسول ﷺ ويقول: يا محمد أنت تزعم أن الله يبعث هذا بعدما أرم[1] فينزل على الرسول ﷺ رداً عليه وعلى أمثاله: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [يس]، وكان أُبي بن خلف يشتد

(١) أَرِمَ: أي بلي وتحللٍ.

في أذى الرسول ﷺ، وخصوصاً إذا طلب منه المشركون ذلك، ويحركونه وقد توجه عقبة بن أبي معيط إلى أُبي بن خلف، وقد رآه يسمع من النبي ﷺ، فاشتد عليه وطلب منه أذى النبي ﷺ، وإلا فإنه سيقاطعه، فذهب أبي بن خلف إلى النبي ﷺ وآذاه[(١)] فنزل على الرسول ﷺ ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الفرقان]، وقد قتل أبي بن خلف على يد الرسول ﷺ في غزوة أحد وهو راكب فرس كان يركبه في مكة ويتوعد الرسول بقتله علي الفرس، فأخبره ﷺ أنه قاتله على نفس الفرس، فكان موت أُبي بن خلف على الفرس الذي كما وعد الرسول ﷺ.[(٢)]

وكان أُمية بن خلف إذا رأى النبي ﷺ سار خلفه وبدأ يسبه ويلمزه فنزل على الرسول ﷺ ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴿٣﴾ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ

---

(١) انظر : ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٣٥٧.

(٢) انظر: غزوة أحد، من هذا الكتاب.

﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةِۭ ﴿٩﴾ ﴾ [الهمزة].

وفي محاولة من المشركين لحل وسط مع الرسول ﷺ كما يزعمون اجتمع نفر من أشرافهم فقالوا للرسول ﷺ: يا محمد (هلم نعبد ما تعبد، وتعبد ما نعبد، فنشرك نحن وأنت في الأمر، فإن كان الذي تعبد خيراً مما نعبد أخذنا منه بحظ، وإن كان ما نعبد خيراً مما تعبد كنت قد أخذت بحظك منه).[1] وهذا العرض يدل على شكهم فيما يعبدون واستهانتهم بقضية التوحيد، التي جاء بها محمد ﷺ والنبيون من قبله، فنزل على الرسول ﷺ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾ ﴾ [الكافرون].

ومع كل الأذى المعنوي فإن الرسول ﷺ تعرض لتهديد قريش الجسدي فقد أورد ابن هشام: (قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ قال: فقيل: نعم. فقال: واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته أو لأعفرن وجهه في التراب، قال: فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي زعم ليطأ على

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٣٦٢.

رقبته قال فما فجئهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه قال فقيل له ما لك فقال إن بيني وبينه لخندقاً من نار وهولاً وأجنحة، فقال رسول الله ﷺ لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً) (١) فأنزل الله عزّ وجل: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴿١٩﴾ ﴾(٢) [العلق].

وفي رواية للبخاري أن عروة بن الزبير سأل عبد الله بن عمرو عن أشد ما صنع المشركون برسول ﷺ قال: (رأيت عقبة بن أبي معيط، جاء إلى النبي ﷺ وهو يصلي فوضع رداءه في عنقه فخنقه خنقاً شديداً، فجاء أبو بكر حتى دفعه عنه ﷺ فقال: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبيان من ربكم).(٣) وروى البخاري

---

(١) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج١٠/٢٩٩.

(٢) انظر : تفسير ابن كثير، ج٢/٢٠١١.

(٣) رواه البخاري، وانظر ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٢٩٠.

ومسلم من حديث ابن مسعود قال: (بينما رسول الله ﷺ عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس وقد نحرت جزور بالأمس فقال أبو جهل: أيكم يقوم إلى سلا جزور بن فلان فيأخذه فيضعه في كتفي محمد إذا سجد، فانبعث أشقى القوم فأخذه، فلما سجد النبي ﷺ وضعه بين كتفيه. قال: فاستضحكوا وجعل بعضهم يميل على بعض وأنا قائم انظر لو كانت لي منعة طرحته عن ظهر رسول الله ﷺ والنبي ﷺ ساجد ما يرفع رأسه، حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة، فجاءت وهي جويرية فطرحته عنه، ثم أقبلت عليهم تشتمهم، فلما قضى النبي ﷺ صلاته، رفع صوته ثم دعا عليهم، وكان إذا دعا دعا ثلاثا وإذا سأل سأل ثلاثا، ثم قال اللهم عليك بقريش ثلاث مرات، فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك وخافوا دعوته ثم قال: اللهم عليك بأبي جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عقبة، وأُمية بن خلف، وُعقبة بن أبي معيط وذكر السابع ولم أحفظه فو الذي بعث محمداً ﷺ بالحق لقد

رأيت الذين سمى صرعى يوم بدر، ثم سحبوا إلى القليب قليب بدر). [(١)]

المضطهدون الأوائل والشهداء:

لم يكتف المشركون بأذى الرسول ﷺ بل صبوا جام غضبهم على أصحابه في محاولة منهم لإرجاعهم عن الإسلام وصدهم عن دين الله وتأديب بقية قريش وخصوصاً الشباب وتخويفهم بما يمكن أن يحصل لهم لو أسلموا كما حصل للمؤمنين والرسول الله ﷺ، فكان الأذى البدني لمن اتبع الرسول ﷺ جزاءاً في الصد عن سبيل الله وإبعاد الناس عن دينهم، لكن هذا لم يؤثر فيهم، وصمد الأبطال منهم، فكانوا أمثلة للمسلمين عبر الزمان تُحتذى في الصبر والتحمل والشهادة في سبيل الله والصبر على دينه، والأمثلة على هؤلاء الأبطال رجالاً ونساءً كثيرة ومنها:

استشهاد سمية (أم عمار):

كانت سمية بنت خياط زوجة ياسر وأم عمار، زوجها ياسر

---

(١) من رواية البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة، ج٤/٢٣٨. وانظر غزوة بدر من هذا الكتاب.

من عنس باليمن، كان حليفاُ لأبي حذيفة بن المغيرة المخزومي، فزوجه من جاريته سمية، فولدت له عماراً، ثم أعتقها حذيفة ومات بعد ذلك. وكان ياسر وأخوه عبد الله وزوجته سمية وابنه عمار من أوائل الداخلين في الإسلام من المستضعفين،[١] وكان أبو جهل قد تسلط على آل ياسر، ياسر وزوجه سمية وابنهما عمار، وكان يشتد عليهم بالعذاب ويغرى بهم السفهاء والشبان، وحيث كان مواليهم من بني مخزوم قد غضبوا لإسلامهم، فقد كانوا يشاركون في تعذيبهم، حيث يُخرجون في حر الظهيرة إلى بطحاء مكة فيعذبونهم في رمضائها، ويجلدونهم أمام الناس زيادة في النكال وتهديداً لبقية المسلمين، فكان رسول الله ﷺ يمر بهم وهم على تلك الحال فلا يستطيع خلاصهم فيعزيهم بقوله ﷺ:"صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة"،[٢]وقد اشتدّ العذاب يوماً بآل ياسر جميعاً وحاول أبو جهل الكلام على النبي ﷺ فأغلظت سمية له القول، فأخذ الحربة وطعنها في موضع عفتها أمام زوجها وابنها فاستشهدت في سبيل الله. وكانت هذه المرأة أول كواكب شهداء أمة محمد ﷺ

(١) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٢٦١؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ج١/٤٩٤.

(٢) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٣٢٠.

وسابقتهم ومقدمتهم،[(١)] لتبقى مثالاً للمرأة المسلمة إلى يوم القيامة، وقد ورد في حديث لعثمان بن عفان رضي الله عنه قال: "أقبلت مع رسول الله ﷺ آخذاً بيدي نتمشى بالبطحاء حتى آتى على آل عمار بن ياسر فقال أبو عمار يا رسول الله الدهر هكذا فقال له النبي ﷺ: أصبر اللهم أغفر لآل ياسر وقد فعلت".[(٢)] ثم مات ياسر تحت التعذيب، وقد عاش عمار بعد ذلك تحت التعذيب. وقد عذبه المشركون في أحد الأيام وأجبروه أن ينال من النبي ﷺ، وأن يذكر آلهتهم بخير وهو تحت التعذيب، فلما أفلتوه ذهب للنبي ﷺ حزيناً فقال له: كيف تجد قلبك؟ قال: مطمئناً بالإيمان قال: فإن عادوا فعد، ونزل قوله تعالى: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [النحل].[(٣)]

بلال بن رباح رضي الله عنه:-

بلال رضي الله عنه من أصل حبشي، أمه حمامة، وكان مولى

(١) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٢٩٤.

(٢) الصلابي، السيرة النبوية، ج١/٣٠١.

(٣) انظر: تفسير الطبري، ج٧/٦٥١.

لأمية بن خلف الجمحي أحد عتاة قريش وجبابرتها، من أشدهم أذى لرسول الله ﷺ ولأصحابه،[(١)] أسلم بلال مبكراً، وآمن برسول الله ﷺ فلما علم أُمية بن خلف بإسلامه آذاه أشد الأذى، وعذبه، وأذن لبقية مشركي مكة بتعذيبه، فكان أمية بن خلف يخرج بلالاً رضي الله عنه إلى الشمس في بطحاء مكة ورمضائها وحرها الحجارة الشديد فيضع بلالاً مجرد الظهر والبطن على الحصباء، ثم يضع الحجارة الثقيلة على صدره، ويهدده بأنها لا تُزل عنه حتى يكفر بالله وبمحمد ﷺ، ويعبد اللات والعزى، ولكن بلالاً أصر على التمسك بالدين، والصبر على الأذى، فيردد: أحد أحد! فيزيد غيظ القوم عليه ويتشددون بالعذاب، وكان يقول (لو أعلم كلمة هي أغيظ لكم لقلتها)،[(٢)] كانوا يربطون حبلاً في عنقه ويدفعون به إلى الصبيان ليجروه على الشوك والحجارة في مكة، فلا يزداد إلا إيماناً وتمسكاً بدين الله، (مر به أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وأُمية بن خلف يعذبه عذاباً شديداً فقال لأمية بن خلف : ألا تتقي الله

---

(١) انظر: ابن كثير، السيرة النبوية، ج١/٤٩٤.

(٢) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٣١٨.

في هــذا المســكين؟ حتــى متــى ؟ فقــال أميــة أنــت الــذي أفسـدته فأنقـذه ممـا تـرى فقـال الصـديق ﷺ: أفعـل. فعوضـه أبـو بكـر- دفـع لـه مـالاً ثمنـاً لـه- وكـان عمـر يقـول: (أبـو بكـر سـيدنا واعتـق سـيدنا).[١] وصـار بـلال ﷺ بعـد عتقـه مـن أكثـر النـاس التصـاقاً برسـول الله ﷺ. وقـد قـال ﷺ: (لقـد أوذيـت في الله ومـا يـؤذى أحـد، وأخفـت في الله ومـا يخـاف أحـد ولقـد أتـت علـي ثلاثـون مـن يـوم وليلـة ومـا لـي ولـبلال مـا يأكـل ذو كبـد إلا مـا يـواري إبـط بـلال).[٢] وبعـد الهجـرة أصـبح مـؤذن رسـول الله ﷺ واشـتهر بهـذا اللقـب، وبشـره الرسـول ﷺ بالجنـة، كمـا شـارك في جيـوش فـتح الشـام وأصـبح مـن أمرائهـا في خلافـة عمـر بـن الخطـاب ﷺ [٣] وكـان مـن صـالحي المسـلمين ومعلمـيهم رضـي الله عنـه وأرضاه.

خباب بن الأرت ﷺ:-

كـان رقيقـاً لأم أنمـار الخزاعيـة، حـداداً يكسـب مـن عـرق

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، باب مناقب بلال بن رباح مولى أبي بكر الصديق ﷺ، ج٤/٢١٧.

(٢) رواه أحمد في مسنده، ج٢/١٢٠.

(٣) عمر بن شبه، تاريخ المدينة، ج٣/٨٢٦؛ ابن حجر، الإصابة، ج١/١٦٥.

جبينه، وقد دخل الإسلام مع الأوائل، فكان صابراً محتسباً، وقد بدأ مشركوا مكة بكافة الضغوط عليه لعله يرجع عن الإسلام، يروي خباب: (كنت رجلاً قيناً، وكان لي على العاص بن وائل دين فأتيته أطلبه فقال: والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد، قلت: والله لا أكفر به أبداً حتى تموت ثم تبعث قال العاص: فإني إن بعثت كان لي مال، ثم مال وولد، فتأتيني فأقضيك فأنزل الله قوله: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾﴾ [مريم]، [1] وأصر خباب على إسلامه، فأخذ العاص بن وائل وبقية كفار قريش يعذبونه بأمر من مالكته، فكانوا يضجعونه على الحجارة المحماة حتى يتأثر لحمه وعصبه، وقد أثرت شدة العذاب في الكثيرين إلا في خباب ﷺ (لم يكن أحد إلا أعطى ما سألوه يوم عذبهم المشركون إلا خباباً كانوا يضجعونه على الرضف فلم يستبقوا منه شيئاً)، [2] أي يحصلوا على شيء، ويروى خباب يقول: (أوقدوا لي

---

(١) من رواية البخاري في صحيحه، باب ذكر القين والحداد، ج٤/١٣؛.
وانظر: تفسير ابن كثير للآية، ج٢/١٢٠٠.

(٢) محمد الصوياني، السيرة النبوية، ص ٦٨ و(الرضف) الحجارة المحماة.

نـاراً فمـا أطفأهـا إلا ظهـري)[١] بقـي أثـر العـذاب في ظهـر خباب وجسده وقد رآه أصحابه بعد تقدمه في العمر ﵁.

وقـد اشـتكى خبـاب لرسـول الله ﷺ في يـوم مـن الأيـام شـدة مـا يلقـى مـن مالكتـه ومـن مشـركي مكـة ورسـول الله ﷺ متوسـد في ظـل الكعبـة، فقـال: يـا رسـول الله ﷺ ألا تستنصـر لنـا؟ ألا تـدعو الله لنـا؟ فقـال رسـول الله ﷺ وهـو محمـر الوجـه: (كـان الرجـل فـيمن قـبلكم يحفـر لـه في الأرض فيجعـل فيـه فيجـاء بالمنشـار فتوضـع علـى رأسـه فيشـق بـاثنتين مـا يصـده ذلـك عـن دينـه، ويمشـط بأمشـاط الحديـد مـا دون لحمـة مـن عظـم أو عصـب، ومـا يصـرفه ذلـك عـن دينـه، وليـتمنَّ الله هـذا الأمـر حتـى يسـير الراكـب مـن صـنعاء إلى حضـرموت لا يخـاف إلا الله والـذئب علـى غنمـه)، [٢] وقـد أخـذت مولاتـه أم أنمـار الخزاعيـة يومـاً حديـده فأحمتهـا فوضـعتها علـى رأسـه حتـى شـم منهـا رائحـة الشـواء، فشـكا ذلـك إلى رسـول الله ﷺ فـدعا لـه فقـال: اللـهم انصـر خبابـاً، فاشـتكت مولاتـه رأسـها فكانـت تعـوي مـع الكـلاب، فقيـل لهـا: اكتـوي، فجـاءت

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٣٥٧.

(٢) صحيح البخاري، مناقب الأنصار، باب ما لقي النبي ﷺ، ج٤/٢٣٩.

إلى خباب ليكويها)، [١] فكان يأخذ الحديدة قد أحماها فيكوي بها رأسها بناءاً على طلبها، - حيث كانت تطلب ذلك للشفاء- لقد عاش خباب ﷺ فرأى بعينه كيف يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت وكيف أصبحت تلك المناطق جزءاً من الدولة الإسلامية.

كما كان هناك عدد من الإماء نالهن عذاب مواليهن من قريش، منهن حمامه أم بلال بن رباح، وأم عنيس، وزنيرة، وجارية بني المؤمل والنهدية وابنتها، وكانتا جاريتين لامراءة من بني عبد الدار من قريش، [٢] وقد تعرضن جميعهن للأذى ومحاولة حرفهن عن دينهن وقد كان لأبي بكر الصديق ﷺ دور في إنقاذهن بأن اشتراهن من أهلهن وأعتقهن في سبيل الله. [٣]

سعد بن أبي وقّاص ﷺ ووالدته:-.

كان سعد بن أبي وقاص من أوائل المؤمنين برسول الله ﷺ، وكانت عنده أم هو أبر الناس بها قبل إسلامه، فلما أسلم زاد

(١) انظر، الصلابي، السيرة النوبية، ج١/ ٣٠٦ .
(٢) محمد أبو شهبه، السيرة النبوية، ج١/ ٣٤٦.
(٣) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٣١٩.

في بره بها ولم ينقص، فلما علمت بإسلامه ـ وكان مطيعاً لها ـ أرادت بحكم معرفتها ببره واستجابته لأمرها أن تثنيه عن الإسلام وتوقعه في حيرة، فقالت يا سعد: لتدعن هذا الدين أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت، فقال لها: لا تفعلي يا أمه فإني لا أدع ديني لشيء، فلما رأت إصراره بدأت إضراباً عن الطعام والشراب، فمكثت يوماً وليله لم تأكل فأصبحت جاهدة، فاستمرت على ذلك إلى اليوم الثالث وهي لم تأكل، فأصبحت تريه حالها وجهدها لعله يترك دينه، فلما رأى ذلك قال: يا أمه تعلمين والله لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفساً نفساً ما تركت ديني لهذا الشيء، فإن شئت فكلي وإن شئت فلا تأكلي،[١] وكانت تذكره بأمر دينه ببر الوالدين وهو يدرك أن الدين لا يترك لأجل ذلك ونزل قوله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [لقمان].[٢]

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١/١٠٩؛ ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٤٢٦.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٤٦٢.

وفي آخر السورة قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ ﴾ [لقمان]، لقد كانت قصة سعد مع أمه مضرب مثل للأمة في الأوليات، فمع ما للوالدين عموماً وللوالدة خصوصاً من وصايا في آيات الله وأوامر رسوله ﷺ، إلا أنها لا تتعدى إلى الكفر، ولا تكون وسيلة ضغط لذلك، وقد عاش سعد بعد ذلك مع رسول الله ﷺ في كل مغازيه فكان يفتخر به ويقول له (هذا خالي فليرني أمريء خاله)،[١] كما قال له في غزوة أحد وهو يدافع عن الرسول ﷺ (ارم سعد فداك أبي وأمي).[٢] وقد عاش رضي الله عنه حتى قاد جيوش المسلمين في القادسية وفتح المدائن عاصمة الفرس.[٣]

عبد الله بن مسعود (الجاهر بالقرآن) رضي الله عنه:

كان من هذيل ويقيم في مكة، وكان غلاماً يرعى

---

(١) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١/٩٩.

(٢) انظر: صحيح البخاري، ج٤/٢١٢، باب مناقب سعد بن أبي وقاص، وباب إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا، وانظر : غزوة أحد من هذا الكتاب.

(٣) انظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٦٣؛ الطبري، تاريخه، ج٤/١٧٣؛ ابن الأثير، الكامل، ج٢/٢١٤.

الغـنم لأحـد رجالاتهـا، وحـدث لقـاؤه بالرسـول ﷺ كمـا وصـف في قولـه: (كنـت غلامـاً يافعـاً أرعـى غنمـاً لعقبـة بـن أبـي معـيط، فمـر بـي رسـول الله ﷺ وأبـو بكـر الصـديق رضي الله عنه، فقـال: يـا غـلام هـل مـن لـبن؟ قلـت: نعـم ولكـني مـؤتمن قـال: فهـل مـن شـاه لم ينـز عليهـا فحـل؟ فأتيتـه بشـاة فمسـح ضـرعها فنـزل لـبن فحلبـه في إنـاء فشـرب وسـقى أبـا بكـر، ثـم قـال للضـرع: أقلـص فقلـص قـال: ثـم أتيتـه بعـد فقلـت: يـا رسـول الله ﷺ علمـني مـن هـذا القـول قـال: فمسـح رأسـي وقـال (يرحمـك الله فإنـك علـيم معلـم)، [١] فكـان مـن أوائـل المسـلمين وهـو مستضـعف أجـير لعقبـة بـن أبـي معـيط أحـد أشـد كفـار مكـة، ومـن أكثرهـا عـداء لرسـول الله ﷺ، وكـان يقـول: لقـد رأيـتني سـادس سـتة مـا على ظهر الأرض مسلم غيرنا.[٢]

وقـد كـان عـدد المسـلمين أكثـر مـن ذلـك بكـثير، إلا أن كـثيراً مـنهم لا يعـرف بعضـهم بعضـاً نظـراً لسـرية الـدعوة، والكتمان في هذه المرحلة.

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١/ ٤٦٥

(٢) ابن أبي شيبه، المغازي، ص ١٣٧.

كـان ابـن مسـعود ضـعيف البـدن، وكـان أعـداء رسـول الله ﷺ يتجـرؤون علـى عبـدالله بـن مسـعود ويؤذونـه، ومـع ذلك فهو صابر شجاع محتسب.

وقـد اجتمـع الصـحابة (رضـوان الله علـيهم) يومـاً في مكـة فقـالوا: والله مـا سمعـت قـريش هـذا القـرآن يجهـر بـه قـط، مـن رجـل يُسـمعهم؟، فقـال ابـن مسـعود: أنـا! قـالوا إنـا نخشـاهم عليـك، إنمـا نريـد رجـلاً لـه عشـيرة يمنعونـه مـن القـوم إن أرادوه قـال ابـن مسـعود: دعـوني فـإن الله يمـنعني، فغـدا ابـن مسـعود حتـى أتـى المقـام في الضـحى وقـريش في أنـديتها حتـى صـار عنـد المقـام، فقـرأ رافعـاً صـوته مـن سـورة الـرحمن واسـتمر في قراءتهـا، فقـالوا مـاذا قـال ابـن أم عبـد فقـال بعضـهم: إنـه يتلـو بعـض مـا جـاء بـه محمـد ﷺ فقـاموا إليـه يضـربونه في وجهـه وجسـمه حتـى بلـغ مـا شـاء الله إلى أن يبلـغ في تلاوتـه، ثـم انصـرف إلى أصـحابه وقـد تـأثر وجهـه بضـربهم، فقـالوا لـه: هـذا الـذي خشـينا عليـك، فقـال: مـا كـان أعـداء الله أهـون علـيّ مـنهم الآن، ولأن شـئتم لأعـاودنهم قـالوا: لا حسـبك قـد

أسمعـتهم مـا كـانوا يكرهـون،[1] وبـذلك يكـون عبـد الله بـن مسـعود أول مـن جهـر بـالقرآن بمكـة علانيـة أمـام قريش.[2]

مصعب بن عمير ﷺ:[3]

كـان مـن أنعـم غلمـان مكـة، أمـه مـن الأثريـاء، ووالـده ذا مـال وفـير، وكانـا يحبانـه حبـاً شـديداً ويدللانـه حتـى وصـف الرسـول ﷺ حالـه تلـك بقولـه: (مـا رأيـت بمكـة أحـداً أحسـن لُمـة ولا أرقّ حُلـةً ولا أنعـم نعمـة مـن مصـعب بـن عمـير)،[4] ولدلالـه كانـت أمـه تضـع الطعـام والشـراب عنـد رأسـه عنـد النـوم، فـإذا اسـتيقظ أكـل وشـرب، وعنـدما علـم بـدعوة الرسـول ﷺ إلى الإسـلام ـ وكـان مسـتخفياً في دار الأرقـم ـ دخـل عليـه وأسـلم وكـتم إسـلامه خوفـاً مـن أمـه، فكـان يـتردد علـى رسـول الله ﷺ فيـتعلم منـه، فـرآه عثمـان بـن طلحـة يصـلى سـراً فـاخبر أمـه، فأخـذوه وحبسـوه وأجـاعوه وضـيقوا عليـه في حبسـه،

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٣١٤.

(٢) ابن أبي شيبه، المغازي، ص ١٣٨؛ والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١/٤٦٧.

(٣) وضع البخاري في كتاب المناقب، باب ذكر مصعب بن عمير، ج٤/٢١٦.

(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/١١٦.

حتى خرج مهاجراً إلى الحبشة في الهجرة الأولى.[١]

لقد أؤذى ومنع مما كان ينعم به وأجيع وحبس، ومع ذلك فضل ﷺ الإسلام على رغد العيش، وآثر الآخرة على الدنيا، ولما بايع أهل المدينة الرسول ﷺ بيعة العقبة الأولى بعث معهم رسول الله مصعب بن عمير أول سفير في الإسلام فكان نعم الداعية والمعلم لأهل المدينة، وقد قدم بهم قبل بيعة العقبة الثانية[٢] التي بايعوا فيها الرسول ﷺ على الهجرة والحماية.

وقد شهد أُحداً مع رسول الله ﷺ، وحمل راية رسول الله، واستشهد وهو يحملها وفيه نزل قوله تعالى ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب]. وكان متزوجاً حمنة بنت جحش أخت أم المؤمنين زينب بنت جحش وابنة عمة رسول الله ﷺ.[٣]

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٣٦٥؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/١٠.

(٢) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٤٣١؛ ابن سعد، السيرة من الطبقات الكبرى، ج١/٢٢٠؛ ابن أبي شيبه، المغازي، ص ١٤٧.

(٣) انظر: البخاري، صحيحه، ج٤/٢٥٢، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، ابن أبي شيبه، المغازي، ص ٢٢؛ وابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٢٣٢.

الهجرة الأولى إلى الحبشة[(١)].

أشتد الأذى على رسول الله ﷺ وعلى أصحابه،وكان الرسول ﷺ يواسي أصحابه ويأمرهم بالصبر ويضرب لهم الأمثلة في أتباع الأنبياء السابقين، وكان القرآن يتوالى نزولاً على رسول الله ﷺ بقصص الأمم السابقة ونصر الله للمؤمنين، وكان يعزيهم ويفتح أمامهم باب الأمل واسعاً،في وقت كان الرسول ﷺ يؤكد لأتباعه أنهم منتصرون،وان الله سبحانه وتعالى سينشر هذا الدين في كل مكان، وكان هدفهم في هذه المرحلة المحافظة على الدين وتقديمه على كل شيء، لو أدى الأمر لترك مكة (فراراً بدينهم من بلاد الفتنة إلى بلاد الأمان).[(٢)]
وكان الرسول ﷺ على معرفة بالممالك المجاورة لبلاد العرب، وبأوضاعها الدينية والسياسية ومدى العدل بين ملوكهم وأنظمتها واحترامها للإنسان وحقوقه، ومع ارتباط الرسول ﷺ بالله وثقته به وتوكله عليه، فقد كان يأخذ بالأسباب ويأمر بها،

---

(١) انظر: العودة، سليمان بن حمد ، الهجرة الأولى في الإسلام (فقه المرويات)، ط١، دار طيبة، الرياض ١٤١٩.
أبو بكر،علي الشيخ أحمد، معالم الهجرتين إلى أرض الحبشة، ط١، مكتبة التوبة، الرياض، ١٤١٣هـ
(٢) انظر البخاري، صحيحه، كتاب المغازي، باب هجرة الحبشة، ج٤/٢٤٤.

وهذا جزء من الدين الذي جاء به، ولذلك فكر الرسول ﷺ في ملجأ يحتمي به المسلمون، ودار هجرة تحميه سواء دار الهجرة المؤقتة أو الدائمة بصحبة الرسول ﷺ، وقد كانت الآيات القرآنية تنزل على الرسول ﷺ تشير إلى سعة أرض الله، وإلى الصبر وذلك في قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾[الزمر]،[1] وفي قوله تعالى: ﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِي وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰيَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [العنكبوت]،[2] كما أشير إلى الهجرة في وقت متأخر،[3] وفي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي ٱلْأَرْضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾[النساء].

وقد أشار الرسول ﷺ إلى هذا الملجأ والمخرج بما يعلمه من أحوال الأمم فقال ﷺ لأصحابه: (لو خرجتم لأرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد وهي

(١) انظر: ابن كثير تفسيره، ج٢/١٦١٦.
(٢) انظر: ابن كثير تفسيره، ج٢/١٤٤١.
(٣) ابن كثير، تفسيره، ج١/٥٢٢.

أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً مما انتم فيه).[١]

كان واضحاً في توجيه الرسول ﷺ أن هذا الملجأ مؤقت، وليس دائماً، وأنه لن يصحبهم، بل تكون صحبته في المهجر والمقر الدائم، كما كان واضحاً أنه ﷺ كان يبحث عن الأمان لأصحابه، وأنه اخبرهم بحال الحبشة وملكها، وأنه عادل لا يظلم عنده أحد، وأن للعدل قيمة عنده، وليس كحال أهل مكة، وقد كانت هذه معجزة للرسول ﷺ كما أخبر: فلم يظلم منهم أحد عند النجاشي، رغم محاولات قريش المتكررة، وكانت الحبشة معروفة للقرشيين، حيث يسافرون إليها للتجارة وأشار رسول الله ﷺ على أصحابه - وقد كثروا وزاد عليهم الأذى - بأن يهاجروا إلى الحبشة، وكان هذا التوجيه لعامة المسلمين القادرين خوفاً عليهم من الفتنة، وكان أول ما ينطبق عليه أمره آل بيته من المسلمين ﷺ، فكان من هؤلاء المهاجرين الأوائل ابنته رقية وزوجها عثمان بن عفان رضي الله عنه،[٢] وغيرهما من المسلمين. ولم يكونوا من المستضعفين وحدهم، بل الأشراف هم

(١) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٣٠.

(٢) ابن سعد، السيرة النبوية من الطبقات، ج١/٢٠٤.

الأوائل. فخرجوا متسللين سراً وهم من كافة الطبقات، فيهم الفقير والغني الصغير والشاب، الرجل والمرأة، وكان عددهم أربعة عشر رجلاً وامرأة، [١] منهم الزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، ومصعب بن عمير، وأبو حذيفة بن عتبة، وأبو سلمه بن عبد الأسد وزوجته أم سلمة، وعامر بن ربيعة وعثمان بن مظعون، وسهيل بن بيضاء، وأبو سمره أبي رهم، وسهلة بنت سهيل بن عمرو، وليلى بنت أبي خثمة وغيرهم.[٢] وقد وصل هؤلاء المهاجرون إلى الحبشة ولقوا من ملكها النجاشي أصحمة كل إكرام، وسمع منهم وحماهم، ومنع الأذى عنهم، وقد أسلم ﷺ وصلى عليه الرسول ﷺ [٣] عند موته.

وكان قبل ذلك من علماء النصارى، ولا شك انه ناقش المسلمون عن ما جاء به رسول الله ﷺ وعن دعوته، وأنه نتيجة ذلك دخل في الإسلام وآمن به

---

(١) أبو الحسن الندوي، السيرة النبوية، ص ١٣٠، ١٣١.

(٢) ابن سعد، السيرة النبوية من الطبقات، ج١/٢٠٤.

(٣) صحيح البخاري، باب موت النجاشي، ج٤/٢٩٦؛ وانظر: ما جاء في أمر الحبشة، وأمر النجاشي وقصة إسلامه عند ابن أبي شيبه، المغازي، ص ١٦٥؛ .

وصـدقه. وقـد قـرن البخـاري بـاب الهجـرة إلى الحبشـة في كتـاب المغـازي ببـاب آخـر أسمـاه بـاب مـوت النجاشـي ذكـر فيـه خمسـة أحاديـث كلـها تـدل علـى إسـلام النجاشـي، ومنهـا أن الـنبي ﷺ حـين مـات النجاشـي قـال: ((مـات اليـوم رجـل صـالح فقومـوا فصـلوا علـى أخـيكم))، [(١)] وأنـه ﷺ قـال: ((اسـتغفروا لأخـيكم))، [(٢)] وفي اليـوم الـذي مـات فيـه صـف ﷺ المسـلمون في المصـلى فصـلى عليـه وكـبر أربعـاً، [(٣)] وقـد قالـت أم سـلمة: (لمـا نزلنـا أرض الحبشـة جاورنـا بهـا خير جـار ــ النجاشـي ــ أمنّـا علـى ديننـا وعبـدنا الله لا نؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه). [(٤)]

وكانـت هجـرة المسـلمون الأوائـل إلى الحبشـة في السـنة الخامسـة للبعثـة النبويـة. [(٥)] وقـد اسـتمرت عـدة أشـهر، وصـلت في نهايتهـا أخبـار غـير صـحيحة بـان قريشـاً قـد

---

(١) البخاري صحيحه، باب موت النجاشي، ج ٢٤٦/١.

(٢) البخاري صحيحه، باب موت النجاشي ج ٢٤٦/٤.

(٣) البخاري صحيحه، باب موت النجاشي، ج ٢٤٦/٤؛ مسند الإمام أحمد، ج٢٠١/١.

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣٣٤/١؛ ابن سعد، السيرة النبوية من الطبقات، ج٢٠٤/١.

(٥) ابن سعد، السيرة النبوية من الطبقات، ج٢٠٦/١.

أسـلمت، فعـاد كـثير مـنهم إلى مكـة، وعنـد وصـلوهم اكتشـفوا أن الخـبر غـير صـحيح، ولعـل لمشـركي مكـة دور في إيصـال الأخبـار الغـير صـحيحة إلى المهـاجرين في محاولـة لاسـتدراجهم، وهنـاك سـبب آخـر وهـو زيـادة عـدد المسـلمين ودخـول عـدد مـن أشـراف مكـة في الإسـلام مـنهم حمـزة ﷺ عـم رسـول الله ﷺ وعمـر بـن الخطـاب ﷺ[١] وغيرهـم مـن أشـراف مكـة ولعـل هـذه الأخبـار أوجـدت لـدى المهـاجرين قناعـة بـأن أهـل مكـة لـن ينـالوا مـن المسـلمين، وأنهـم قـد عـزوا في مكـة، وأن عـدد المسـلمين صـار قويـاً بمـا يمنـع الأذى عـنهم،[٢] فقـرروا العـودة إلى مكـة، في شـعور مـنهم أن الأوضـاع قـد تحسـنت، وحينمـا عـادوا إلى مكـة لم يـدخلوها إلا مسـتخفين أو في جـوار رجـال مـن قـريش وقـد عـاد بعضـهم مـرة أخـرى إلى الحبشة.[٣]

الهجرة الثانية إلى الحبشة.

---

(١) انظر: ابن أبي شيبه، المغازي، ص ١٣٥؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٣٤٢.

(٢) انظر: الصلابي، السيرة النبوية، ج١/٣٧٨

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٣٦٤؛ ابن سعد، السيرة النبوية من الطبقات الكبرى، ج١/٢٠٥.

لما اكتشف المسلمون إصرار قريش على معاندة الرسول ﷺ وأذى أصحابه وأنه لا صحة لما ظهر من أخبار إسلام قريش، برزت الحاجة إلى خروج عدد آخر من المسلمين الذين زاد عددهم في مكة، خصوصاً بعد سماعهم بأمن أصحابهم المهاجرون الأوائل، فخرج جعفر بن أبي طالب ابن عم رسول الله ﷺ في عدد من المسلمين حتى وصل عددهم إلى ثلاثة وثمانون رجلاً وأحدى عشرة امرأة، [١] وقيل أكثر من ذلك.

وقد وصل أولئك إلى الحبشة وأمِنوا والتقوا بالنجاشي أكثر من مرة وظهر لهم صدقه وحماهم وآواهم، بل ذُكر أنه أسلم على يد جعفر بن أبي طالب وبايعه نيابة عن النبي ﷺ، [٢] ولم يرق الأمر لقريش وكانت تربطه ببعض زعمائهم بعض العلاقات، فأرادوا أن يلحقوا الأذى بالمهاجرين إلى الحبشة فأعدوا هدية خاصة للنجاشي، واختاروا وفداً منهم لهذه المهمة كان فيهم عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة، [٣]

---

(١) ابن سعد، السيرة النبوية من الطبقات، ج١/٢٠٦.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٣٣٠.

(٣) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٣٣٣.

وتـروى أم سـلمة وهـي مـن المهـاجرين مـع زوجهـا أبـي سـلمة،[١] فتقـول: (لما نزلنـا أرض الحبشـة جاورنـا بهـا خـير جـار النجاشـي، أمِنَّـا علـى ديننـا وعبـدنا الله تعـالى، لا نُـؤذى ولا نسـمع شـيئاً نكرهـه)،[٢] (فلمـا بلـغ ذلـك قـريش ائتمـروا بيـنهم أن يبعثـوا إلى النجاشـي فـيهم رجلـين مـنهم جلـدين، وأن يهـدوا للنجاشـي هـدايا مما يسـتطرف مـن متـاع مكـة، وكـان مـن أعجـب مـا يأتيـه منهـا الأُدم (الجلـود) فجمعـوا لـه أُدمـاً كـثيراً، ولم يتركـوا مـن بطارقتـه بطريقـاً إلا أهـدوا لـه هديـة ـ وهـي رشـوة واضـحة في محاولـة لكسـبهم للتـأثير علـى قـرار النجاشـي ـ ثـم بعثـوا بـذلك عبـد الله بـن أبـي ربيعـة وعمـرو بـن العـاص وأمروهمـا بـأمرهم، وقـالوا: لهمـا أدفعـوا إلى النجاشـي هـداياه ثـم سـلاه أن يسـلمهم إليكمـا قبـل أن يكلمهـم، فخرجـا حتـى قـدما علـى النجاشـي ونحـن عنـده بخـير دار عنـد خـير جـار، فلـم يبـق مـن بطارقتـه بطريـق إلا دفعـا إليـه هديتـه قبـل أن يكلمـا النجاشـي، وقـالا لكـل بطريـق مـنهم إنـه قـد ضـوى إلى بلـد الملـك منـا غلمـان سـفهاء فـارقوا ديـن

(١) من رواية بن إسحاق، المغازي، ص ١٩٤.
(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٣٣٤.

قـومهم، ولم يـدخلوا في دينـك، وجـاءوا بـدين مبتـدع لا نعرفـه نحـن ولا أنـتم، وقـد بعثنـا إلى الملـك فـيهم أشـراف قـومهم ليردهـم إليهم، فـإذا كلمنـا الملـك فـيهم، فأشـيروا عليـه بـان يسـلمهم إلينـا ولا يكّلمهـم، فـإن قـومهم أعلـى بهـم عينـا، وأعلـم بمـا عـابوا علـيهم، فقـالوا لهمـا: نعـم. ثـم إنهمـا قـدّما هـداياهما إلى النجاشـي فقبلـها منهمـا، ثـم كلمّـاه فقـالا لـه: أيهـا الملـك إنـه قـد ضـوى إلى بلـدك غلمـان سـفهاء فـارقوا ديـن قـومهم ولم يـدخلوا في دينـك وجـاءوا بـدين ابتـدعوه لا نعرفـه نحـن ولا أنـت، وقـد بعثنـا إليـك فـيهم أشـراف قـومهم مـن آبـائهم وأعمـامهم وعشـائرهم لتردهـم إلـيهم، فهـم أعلـى بهـم عينـا، وأعلـم بمـا عـابوا علـيهم وعـاتبوهم فيـه، قالـت: ولم يكـن شـيء ابغـض إلى عبـد الله بـن أبـي ربيعـة وعمـرو بـن العـاص مـن أن يسـمع كلامهـم النجاشـي، قالـت: فقـال بطارقتـه حولـه: صـدقا أيهـا الملـك قـومهم أعلـى بهـم عينـا، وأعلـم بمـا عـابوا علـيهم فأسـلمهم إليهمـا فليرداهـم إلى بلادهـم وقـومهم، قالـت: فغضـب النجاشـي، ثـم قـال: لا هـاء الله، إذن لا أسـلمهم إليهمـا، ولا يكـاد قـوم جـاوروني ونزلـوا بـلادي، واختـاروني علـى مـن سـواي، حتـى أدعـوهم فأسـألهم

عمـا يقـول هـذان في أمـرهم، فـإن كـانوا كمـا يقـولان أسـلمتهم إليهمـا، ورددتهـم إلى قـومهم، وإن كـانوا علـى غـير ذلـك منعـتهم منهمـا، وأحسـنت جـوارهم مـا جاوروني.

قالـت: ثـم أرسـل إلى أصـحاب رسـول الله ﷺ فـدعاهم، فلمـا جـاءهم رسـوله اجتمعـوا، ثـم قـال بعضـهم لـبعض: مـا تقولـون للرجـل إذا جئتمـوه؟ قـالوا: نقـول: والله مـا علمنـا، ومـا أمرنـا بـه نبينـا ﷺ كائنـا في ذلـك مـا هـو كـائن، فلمـا جـاءوا وقـد دعـا النجاشـي أسـاقفته، فنشـروا مصـاحفهم حولـه سـألهم فقـال لهـم: مـا هـذا الـدين الـذي قـد فـارقتم بـه قـومكم، ولم تـدخلوا بـه في ديـني، ولا في ديـن أحـد مـن هـذه الملـل؟ قالـت: فكـان الـذي كلمـه جعفـر بـن أبـي طالـب رضي الله عنه فقـال لـه: كنّـا قومـاً أهـل جاهليـة نعبـد الأصـنام ونأكـل الميتـة ونـأتي الفـواحش ونقطـع الأرحـام ونسـيء للجـوار ويأكـل القـوى منـا الضـعيف، فكنـا علـى ذلـك حتـى بعـث الله إلينـا رسـولاً منـا، نعـرف نسـبه وصـدقه وأمانتـه وعفافـه، فـدعانا إلى الله لنوحـده ونعبـده، ونخلـع مـا كنـا نعبـد نحـن وآباؤنـا مـن دونـه مـن الحجـارة والأوثـان وأمرنـا بصـدق الحـديث وأداء الأمانـة، وصـلة الـرحم،

وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام، قالت: فعدد عليه أمور الإسلام، فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله، فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئاً وحرّمنا ما حرّم علينا، وأحللنا ما أحلّ لنا، فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلي بلادك واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك، قالت: فقال له النجاشي: فاقرأه عليّ، قالت: فقرأ عليه صدرا من (كهيعص) قالت: فبكى والله النجاشي حتى أخضلت لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال لهم النجاشي: إن هذا والذي جاء به عيسى يخرج من مشكاة واحدة، انطلقا، فلا والله لا أسلمهم إليكما ولا يكادون، قالت: فلما خرجا من عنده، قال عمرو

بن العاص: والله لآتينّه غداً عنهم بما استأصل به خضراءهم، قالت: فقال عبد الله بن أبي ربيعة وكان أتقى الرجلين فينا: لا نفعل، فإن لهم أرحاماً وإن كانوا قد خالفونا قال: والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم عبد، قالت: ثم غدا عليه من الغد فقال له: أيها الملك إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً، فأرسل إليهم فسلهم عما يقولون فيه؟ قالت: فأرسل إليهم ليسألهم عنه، قالت: ولم ينزل بنا مثلها قط، فاجتمع القوم ثم قال بعضهم لبعض: ماذا تقولون في عيسى بن مريم إذا سألكم عنه؟ قالوا: نقول والله ما قال الله، وما جاء به نبينا، كائنا في ذلك ما هو كائن، قالت: فلما دخلوا عليه قال لهم ماذا تقولون في عيسى بن مريم؟ قالت: فقال جعفر بن أبي طالب: نقول فيه الذي جاءنا به نبينا ﷺ يقول: هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول، قالت: فضرب النجاشي بيده إلى الأرض، فأخذ منها عودا، ثم قال: والله ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود، قالت: فتناخرت بطارقته حوله حين قال ما قال، فقال: وإن نخرتم والله، اذهبوا فأنتم شيوم بأرضي

ــ والشيُّوم: الآمنون ـ من سبَّكم غرم، ثم قال: من سبَّكم غرم، ثم قال: من سبَّكم غرم، ما أحب أن لي دبراً من ذهب، وأنى آذيت رجلاً منكم قال ابن هشام: ويقال دبراً من ذهب، ويقال: فأنتم شيوم والدبر: (بلسان الحبشة): الجبل ــ ردوا عليهما هداياهما، فلا حاجة لي بها، فو الله ما أخذ الله مني الرشوة حين ردّ عليّ ملكي، فآخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس فيّ فأطيعهم فيه، قالت: فخرجا من عنده مقبوحَين مردوداً عليهما ما جاءا به، وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار). (١)

إسلام حمزة بن عبد المطلب ﷺ:(٢)

في السنة السادسة من البعثة كانت أعداد المسلمين قد زادت في مكة وانتشرت، وكان الأذى مستمراً من كفار قريش لرسول الله ﷺ ولأتباعه، وكان حمزة بن عبد المطلب لا يزال على دين قومه، إلا أنه لم يُعرف عنه

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٣٣٤ ـ ٣٣٨، والنص له؛ وانظر: ابن أبي شيبه، المغازي، ص ١٦٥ ـ ١٦٩؛ وابن كثير، السيرة النبوية، ج٢/٢٤.

(٢) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٢٩٢؛ وراجع تفصيلاته تحت عنوان " إسلام حمزة"، ج١/٢٩١.

أذى لرسول الله ﷺ، كما كان يفعل أبو لهب وامرأته، وكان فيه حمية للرسول ﷺ فهو عمه، إضافة إلى أنه أخوه من الرضاعة.[١] وقد مر أبو جهل برسول الله ﷺ وشتمه ونال منه وآذاه بما يكره فلم يرد عليه رسول الله ﷺ، وكانت جارية مولاة لعبد الله بن جدعان ترقب الموقف وتسمع ما يقول أبو جهل، وبعد أن انصرف أقبل حمزة بن عبد المطلب عم النبي ﷺ من رحلة صيد معه سيفه وقوسه، وكان من أشجع قريش واعز فتيانها، فلما مر بمولاة عبد الله بن جدعان قالت له: يا أبا عمارة لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد من أبي الحكم بن هشام (أبا جهل)، وقصَّت عليه ما فعل بالنبي ﷺ[٢] فغضب غضباً شديداً، وانطلق يبحث عن أبي جهل فأقبل نحوه فضرب رأسه بالقوس فشجه ثم قال له: أتشتمه وأنا على دينه أقول ما يقول فرد على ذلك إن استطعت (يقصد الضربة) فقام رجال لينصروا أبا جهل فنهاهم، وقال: دعوا أبا عماره فو الله قد سببت

---

(١) ورد ذلك في حديث للبخاري، باب عمرة القضاء، ج٥/٨٥؛ ابن سعد، السيرة النبوية من الطبقات، ج١/١٠٨؛ وانظر: حجة الوداع من هذا الكتاب.

(٢) انظر: ابن سعد، السيرة النبوية من الطبقات الكبرى، ج٣/٩.

ابن أخيه سباً قبيحاً، [١] (وكان أبو جهل يطمع في تراجع حمزة عن إسلامه) ورجع حمزة إلى بيته، وكان لا يزال متردداً في ما قال وفي الغد توجه إلى رسول الله ﷺ ليسمع منه فسمع من النبي ﷺ ما أنار قلبه، وثبته على الإيمان، ودعا له الرسول ﷺ فقال يا رسول الله أشهد أنك لصادق فأظهر دينك فو الله ما أحب أن لي ما أظلته السماء وأنا على ديني الأول، [٢] وكان إسلامه عزة للإسلام والمسلمين ونصراً ومنعه. [٣]

إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

يُعد إسلام عمر بن الخطاب مرحلة مميزة في الدعوة المكية، وفي سيرة المصطفى ﷺ، ولذلك خصَّها أصحاب السير بعنوان مميز لما يرونه من أهمية الحدث. [٤]

وقصة إسلامه فيها أكثر من رواية، والذي يظهر أن تلك الروايات غير متناقضة، بل ربما يكمل بعضها

(١) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٢٩٢، تحت عنوان (إسلام حمزة).
(٢) ابن كثير، السيرة النبوية، ج١/٤٤٦.
(٣) ابن إسحاق، السير والمغازي، ص ١٧٢؛ محمد أبو شهبه، السيرة النبوية، ج١/٣٠٠؛ مهدي رزق، السيرة النبوية من المصادر الأصلية، ص ٢١٢.
(٤) انظر: ابن أبي شيبه، المغازي، ص ١٣٥؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٣٤٢.

بعضـاً، مـن ذلـك وقـوع الإسـلام في قلبـه قبـل إسـلامه بفـترة، ذلـك أن عمـر يقـول: (خرجـت يومـاً إلى البيـت فـدخلت في سـتر الكعبـة والـنبي ﷺ قـائم يصـلى وقـد استفتح سـورة الحاقـة فجعـل الـنبي ﷺ يقـرأ وأنـا اسـتمع وأعجـب مـن تأليفـه فقلـت في نفسـي هـذا والله شـاعر كمـا قالـت قـريش فقـرأ ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ٤١﴾ [الحاقـة]. فقلـت في نفسـي كـاهن فقـرأ ﴿وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٤٢ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٣﴾ [الحاقـة])، [(١)] ويظهـر أن هـذا الحـدث قد اثر في قلب عمر وأقنعه بصدق رسول الله ﷺ.

وحـدثت حادثـة أخـرى رواهـا ابـن إسـحاق عـن أم عبـد الله بنـت أبـي حثمـة زوجـة عـامر بـن ربيعـة قالـت: (والله إنـا لنترحـل إلى أرض الحبشـة وقـد ذهـب عـامر في بعـض حاجتنـا، إذ أقبـل عمـر بـن الخطـاب حتـى وقـف علـيّ وهـو علـى شـركه، قالـت: وكنـا نلقـى منـه الـبلاء أذى لنـا وشـدة علينـا قالـت: فقـال: إنـه للانطـلاق يـا أم عبـدالله؟ قالـت: نعـم والله لنخـرجن في أرض الله، آذيتمونـا وقهرتمونـا

(١) انظر: بعض الخبر عند ابن أبي شيبه، المغازي، ص ١٣٦.

حتى يجعل الله لنا مخرجاً قالت: فقال: صحبكم الله، ورأيت له رقه لم أكن أراها، ثم انصرف وقد أحزنه — فيما أرى — خروجنا قالت فجاء عامر لحاجته تلك، فقلت له: يا أبا عبد الله لو رأيت عمر سالفاً ورقته وحزنه علينا، قال: أطمعت في إسلامه؟ قلت: نعم، قال فلا يسلم الذي رأيت حتى يسلم حمار الخطاب)،[1] قالت: يائساً منه لما كان يرى من غلظته وقسوته.

وقد أورد ابن إسحاق: أن أخته فاطمة بنت الخطاب، وكانت عند سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وقد أسلمت وأسلم بعلها سعيد بن زيد، وهما مستخفيان بإسلامهما من عمر، وكان نعيم بن عبد الله النحّام رجل من قومه، من بني عدى بن كعب قد أسلم، وكان أيضاً يستخفى بإسلامه فرقاً من قومه، وكان خبَّاب بن الأرت يختلف إلى فاطمة بنت الخطَّاب يقرئها القرآن، فخرج عمر يوماً متوشحاً سيفه يريد رسول الله ﷺ ورهطاً من أصحابه قد ذكروا له أنهم قد

(١) ابن إسحاق، السير والمغازي، ص ١٨١؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٤٢٩.

اجتمعوا في بيت عند الصفا، وهم قريب من أربعين ما بين رجال ونساء، ومع رسول الله ﷺ عمه حمزة بن عبد المطلب وأبو بكر بن أبي قحافة الصديق، وعلي بن أبي طالب، في رجال من المسلمين ﷺ، ممن كان أقام مع رسول الله ﷺ بمكة، ولم يخرج فيمن خرج إلى أرض الحبشة فلقيه نعيم بن عبد الله فقال له أين تريد يا عمر؟ فقال: أريد محمداً هذا الصابئ الذي فرق أمر قريش وسفه أحلامها وعاب دينها وسب آلتها، فأقتله، فقال له نعيم: والله لقد غرتك نفسُك من نفسِك يا عمر، أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمداً! أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم؟ قال وأي أهل بيتي؟ قال: ختنُك وأبن عمك سعيد بن زيد بن عمرو وأختك فاطمة بنت الخطاب، فقد والله أسلما وتابعا محمداً على دينه وعليك بهما قال: فرجع عمر عامداً إلى أخته وختنه، وعندهما خباب بن الأرت معه صحيفة فيها (طه) يقرئهما إياها، فلما سمعوا حس عمر تغيب خباب في مخدع لهم أو في بعض البيت، وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها، وقد سمع عمر حين دنا إلى البيت قراءة خباب

عليهما، فلما دخل قال: ما هذه الهينمة التي سمعت؟ قالا له: ما سمعت شيئاً، قال: بلى والله لقد أُخبرت أنكما تابعتما محمدا على دينه، وبطش بختنه سعيد بن زيد، فقامت إليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها فضربها فشجها، فلما فعل ذلك قالت له أخته وختنه: نعم قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله فاصنع ما بدا لك، فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع فارعوى، وقال لأخته: أعطيني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرؤون آنفاً انظر ما هذا الذي جاء به محمد، وكان عمر كاتباً فلما قال ذلك قالت له أخته: إنا نخشاك عليها، قال: لا تخافي، وحلف لها بآلهته ليردنها إذا قرأها، فلما قال ذلك، طمعت في إسلامه فقالت له: يا أخي، إنك نجس على شركك، وإنه لا يمسها إلا الطاهر، فقام عمر فاغتسل فأعطته الصحيفة وفيها (طه) فقرأها فلما قرأ منها صدراً، قال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه! فلما سمع ذلك خباب خرج إليه فقال له يا عمر: والله إني لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه فإني سمعته أمس وهو يقول: اللهم أيِّد الإسلام بأبي الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب، فالله

الله يا عمر فقال له عند ذلك عمر: فدلني يا خباب على محمد حتى آتيه فأسلم، فقال له خباب: هو في بيت عند الصفا معه نفر من أصحابه، فأخذ عمر سيفه فتوشحه، ثم عمد إلى رسول الله ﷺ وأصحابه، فضرب عليهم الباب، فلما سمعوا صوته، قام رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فنظر من خلل الباب فرآه متوشحاً سيفه فرجع إلى رسول الله ﷺ وهو فزع، فقال يا رسول الله ﷺ: هذا عمر بن الخطاب متوشحاً السيف، فقال حمزة بن عبد المطلب: فأذن له، فإن كان جاء يريد خيراً بذلناه له وإن كان جاء يريد شراً قتلناه بسيفه، فقال رسول الله ﷺ: ائذن له فأذن له الرجل ونهض إليه رسول الله ﷺ حتى لقيه في الحجرة فأخذ حجزته أو بمجمع ردائه ثم جبذه به جبذة شديدة، وقال: ما جاء بك يا ابن الخطاب؟ فوالله ما أرى أن تنتهي حتى ينزل الله بك قارعة، فقال عمر: يا رسول الله جئت لأؤمن بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله، قال: فكبر رسول الله ﷺ تكبيرة عرف أهل البيت من أصحاب رسول الله ﷺ أن عمَر قد أسلم).(١)

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٣٤٤ ـ ٣٤٩؛ وانظر: ابن أبي شيبة، المغازي،

ومنذ إسلام عمر كان حريصاً على نصرة النبي ﷺ وإغاظة قريش. وقد كانت له شخصية قوية مميزة قوية فاعلة، فقد روى ابنه عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) أنه (لما أسلم أبي عمر قال: أي قريش أنقل للحديث؟ فقيل له: جميل بن معمر الجمحي، قال: فغدا عليه قال عبد الله بن عمر: فغدوت أتبع أثره وأنظر ما يفعل وأنا غلام أعقل كل ما رأيت حتى جاءه فقال له: أعلمت يا جميل أنى قد أسلمت ودخلت في دين محمد؟ قال: فو الله ما راجعه حتى قام يجر رداءه واتبعه عمر وتبعت أبي حتى إذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش وهم في أنديتهم حول الكعبة ألا أن عمر بن الخطاب قد صبا، قال: ويقول عمر من خلفه كذب، ولكنى قد أسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وثاروا إليه فما برح يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رؤوسهم، قال: وطلح[1] (حتى تعب) فقعد وقاموا على رأسه وهو يقول افعلوا ما بدا لكم، فأحلف بالله

ص ١٣٥.

(١) طلح: أعيا وتعب.

أن لـو كنـا ثلاثمائـة رجـل لقـد تركناهـا لكـم أو تركتموهـا لنـا ، قـال فبينمـا هـم علـى ذلـك إذ أقبـل شـيخ مـن قـريش عليـه حلـة حـبرة وقمـيص موشّـى ، حتـى وقـف علـيهم فقـال : مـا شـأنكم؟ قـالوا صـبا عمـر ، فقـال : فمـه ، رجـل اختـار لنفسـه أمـراً فمـاذا تريـدون؟ أتـرون بـن عـديّ بـن كعـب يسـلمون لكـم صـاحبهم هكـذا ؟ خلـوا عـن الرجـل قـال : فـو الله كأنمـا كـانوا ثوبـاً كشـط عنـه ، قـال : قلـت : فقلـت لأبـي بعـد أن هـاجر إلى المدينـة : يـا أبـت مـن الرجـل : الـذي زجـر القـوم عنـك بمكـة يـوم أسـلمت وهـم يقاتلونـك؟ قـال : ذاك أي بـني (العـاص بـن وائـل السهمي). (١)

وقـد ثبـت في روايـات عنـد البخـاري كـان يـؤذي ختنـه سـعيد بـن زيـد وأختـه فاطمـة قبـل إسـلامه فسـعيد بـن زيـد يقـول : " لقـد رأيـتني مـوثقي عمـر علـى الإسـلام أنـا وأختـه وما أسلم ". (٢)

وكـان إسـلام عمـر عـزة للمسـلمين يقـول ابـن مسـعود :

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٣٤٩، ٤٣٩؛ وقد ورد في البخاري ما يؤيد أجزاء منها، وقد جرت عدة أبحاث عن إسلام عمر بن الخطاب والروايات الواردة فيها.
(٢) من رواية البخاري، باب إسلام عمر بن الخطاب، ج٤/٢٤٣.

(ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر)، [(١)] ويقول أيضاً: (لقد رأيتنا وما نستطيع أن نصلى بالبيت حتى أسلم عمر فلما أسلم قاتلهم حتى تركونا نصلي). [(٢)]

وقيل ان المشركين اجتمعوا على عمر عند داره يريدون قتله، فلم يبتعدوا عنه إلا بعد أن أجاره العاص بن وائل. [(٣)]

ورغم شدة عمر رضي الله عنه وقوته إلا أن التهديد الجارف جعله يخشى القتل، ففي رواية عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: بينما هو في الدار خائفاً إذ جاءه (العاص بن وائل السهمي) أبو عمرو بن العاص، وعليه حلة حبرة وقميص مكفوف بحرير وهو من بني سهم وهم حلفاؤنا في الجاهلية فقال له: ما بالك؟ قال: زعم قومك أنهم سيقتلونني إن أسلمت قال: لا سبيل إليك، بعد أن قالها أمنت، فخرج العاص فلقي الناس قد سال بهم

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، فتح الباري، ج١٤/١٨٦.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ج٣/٣٧٠.

(٣) انظر: صحيح البخاري، باب إسلام عمر، ج٤/٢٤٢.

الـوادي فقـال: (أيـن تريـدون فقـالوا: نريـد هـذا ابـن الخطاب الذي صبأ، قال: لا سبيل إليه فكر الناس).[١]

حادثة انشقاق القمر.[٢]

مـن عنـاد قـريش لرسـول الله ﷺ فقـد طلبـوا منـه آيـة حـددوها لـه، حيـث (سـألوا رسـول الله ﷺ أن يـريهم آيـة فأراهم القمر شقين حتى رأوا حراء بينهما).[٣]

وقـد وضـع البخـاري في كتـاب المغـازي في صـحيحه (بـاب انشـقاق القمـر)، وأورد فيـه عـدة أحاديـث عـن انشـقاق القمـر، ومنهـا روايـة عبـد الله بـن مسـعود ﷺ قـال (انشـق القمـر ونحـن مـع الـنبي ﷺ بمنـى فقـال: اشـهدوا وذهبـت فرقـة نحـو الجبـل)،[٤] وقـال بعـض العلمـاء إنهـا إحـدى الآيـات علـى قـرب السـاعة،[٥] وقـد حـدثت في زمن النبي ﷺ.

---

(١) انظر: صحيح البخاري، باب إسلام عمر، ج٤/٢٤٢.

(٢) وضع البخاري في صحيحه، باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ أية فأراهم انشقاق القمر، (٤/١٨٦).

(٣) رواه البخاري، صحيحه، باب انشقاق القمر، ج٤/٢٤٣.

(٤) رواه البخاري، صحيحه، باب انشقاق القمر، ج٤/٢٤٣.

(٥) تفسير ابن كثير، ج٢/١٧٨٨.

ويرى المفسرون أن ذلك الحدث هو الوارد في قوله تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ۝٢ وَكَذَّبُواْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَكُلُّ أَمۡرٖ مُّسۡتَقِرّٞ ۝٣ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّنَ ٱلۡأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزۡدَجَرٌ ۝٤ حِكۡمَةُۢ بَٰلِغَةٞۖ فَمَا تُغۡنِ ٱلنُّذُرُ ۝٥﴾ [القمر].

ومع وجود هذه الآية الواضحة فإن مشركي مكة استمروا على عنادهم.

وقد ذكر زغلول النجار أن علماء الفلك خصوصاً بعد اكتشاف القمر في رحلات فضائية أكدوا: (أن القمر كان قد أنشق في يوم من الأيام ثم التحم، بدليل تمزقات طويلة جداً وغائرة، أي عميقة في جسم القمر تتراوح أعماقها بين عدة مئات من الأمتار إلى أكثر من الكيلومتر، ويتراوح عرضها بين نصف كيلو متر وخمسة كيلو مترات، وتمتد لمئات من الكيلو مترات في خطوط مستقيمة أو متعرجة).[1]

---

(١) د. زغلول النجار، خواطر في معية خاتم الأنبياء محمد ﷺ، ص ١٢٠، ط ٣، نهضة مصر، القاهرة، ٢٠٠٨م.

وهـذه معجـزة إلهيـة حسـية خارقـة للسـنن والقـوانين،[١] حـدثت بـأمر الله في عهـد رسـول الله ﷺ في هـذه المرحلـة المكية كغيرها من المعجزات.

المقاطعة الظالمة:[٢]

كانـت قـريش تمـارس أقسـى أنـواع العقوبـة والإيـذاء للرسـول ﷺ ولمـن يـؤمن بـه أو يـدافع عنـه وعـن أتباعـه، وقـد جربـت كـل أنـواع الأذى، ومـع ذلـك كانـت الـدعوة تنتشـر بـين القرشـيين، وخرجـت خـارج مكـة، بـل تجـاوزت إلى الحبشـة، حيـث ثبـت إسـلام النجاشـي وبعـض أتباعـه وإيمانهم بالنبي ﷺ.[٣]

وقـد عزمـت قـريش علـى قتـل الـنبي ﷺ، فحـرص عمـه أبـو طالـب علـى الـدفاع عنـه، وشـاركه في ذلـك بنـو هاشـم وبنو المطلب.

وقـد وضـع البخـاري بابـاً سمـاه (بـاب تقاسـم المشـركين

---

(١) المصدر السابق .

(٢) ابن سعد، السيرة النبوية من الطبقات، وذكر حصار قريش رسول الله ﷺ في الشعب، ج١/٢٠٨؛ وابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٣٥، خبر الصحيفة.

(٣) انظر : الهجرة إلى الحبشة من هذا الكتاب .

علـى الـنبي ﷺ)، وذكـر فيـه حـديثاً واحـداً يؤكـد الحادثـة ومكـان وقوعهـا، حيـث روى عـن أبـي هريـرة ﷺ، أن الـنبي ﷺ قـال حـين أراد حنينـاً: (منزلنـا غـداً إن شـاء الله خيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر).[١]

ويبـدو أنـه نتيجـة للضـغوط وللخـوف علـى الرسـول ﷺ فقـد اضـطر المـدافعون عنـه إلى التجمـع في شـعب بـني هاشـم.[٢] وفي هـذه الأثنـاء اجتمـع زعمـاء المشـركين في مكـة، وذلـك في السـنة العاشـرة مـن البعثـة،[٣] وائتمـروا فيمـا بيـنهم علـى أن يكتبـوا بيـنهم عقـداً، يتعاهـدون فيـه علـى مقاطعـة بـني هاشـم والمطلـب ومـن يقـف معهـم في الـدفاع عـن الرسـول ﷺ، وكـان فيـه أن لا ينكحـوا إلـيهم ولا يُنكحـوهم، ولا يبيعـوا مـنهم شـيئاً ولا يبتـاعوا، ولا يقبلـوا مـنهم صـلحاً أبـداً حتـى يسـلموا رسـول الله ﷺ إلـيهم ليقتلـوه، وقـد كتبـوا ذلـك في صـحيفة علقوهـا في

(١) البخاري، صحيحه، كتاب المغازي، باب تقاسم المشركين على النبي ﷺ ، والخيف ما أنحط من على الجبل وأرتفع عن مسيل الماء، ج٤/٢٤٦.
وخيف بني كنانة؛ هو خيف منى وبه مسجد منى المشهور؛ (محمد شراب، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة) ص ١١٠.
(٢) السهيلي، الروض الأنف، ج٢/١٢٧.
(٣) انظر د. أكرم العُمري، السيرة النبوية، ص ١٨٢.

جوف الكعبة، في محاولة منهم لإكسابها شرعية وإعطائها قوة تنفيذية بين قريش وأحلافها وقد ذُكر أن ذلك في وقت خرج فيه المسلمون إلى الحبشة، وزادت أعدادهم بعد الصحيفة. وقد استمرت هذه المقاطعة ثلاث سنوات.(١) واشتد الجوع والأذى، وزادت الحاجة في المسلمين وذوي رحم الرسول ﷺ والمدافعين عنه.

وقد اضطر المحاصَرون المقاطَعون إلى أكل ورق الشجر والجلود من شدة الحاجة، وكان في بني المطلب وهاشم حمية دفعتهم للدخول مع الرسول والمؤمنين في هذا الحصار وهذه المقاطعة عدا أبا لهب،(٢) الذي كان مع المشركين مشاركاً في أذى النبي ﷺ، بل وربما قتله لو استطاع، وكان الخوف على حياة الرسول ﷺ خلال الحصار قائماً، ولذلك حرص عمه أبو طالب على متابعة سلامته بنفسه، فكان إذا نام الرسول ﷺ يوقظه أحياناً ويطلب منه تغيير مكانه خشيةً، عليه من الغِيلة من قريش.(٣)

---

(١) ابن سعد، السيرة النبوية من الطبقات، ج١/٢٠٩.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢/٣٥١.

(٣) انظر: عثمان الخميس، كنوز السيرة، ص ٧٥.

وقـد دعـا رسـول الله ﷺ علـى قـريش ، فحـدثت فـيهم مجاعـة حتـى اضـطروا للميتـة ، وكانـت قـريش علـى قناعـه أن مـا أصـابهم كـان بـدعاء الرسـول ﷺ ، فجـاء أبـو سـفيان يناشـد الرسـول ﷺ ، فـدعا رسـول الله ﷺ ربـه ، فكشـف الله عن قريش العذاب.(١)

وأثنـاء الحصـار كـان أفـراد مـن قـريش مـن ذوي رحـم المحاصَـرين تأخـذهم الرحمـة فيقومـون بتهريـب الطعـام للمحاصَـرين لـيلاً بشـكل سـري. وكـان مـن هـؤلاء حكـيم بـن حـزام بـن خويلـد ، حيـث كانـت أم المـؤمنين خديجـة رضـي الله عنهـا عمتـه ، إضـافة إلى آخـرين كـانوا يُحملـون الإبـل أحيانـاً بالطعـام فيـأتون بهـا لـيلاً في فـم الشِّـعب فيخلعـون الخطـام ويـدفعون الـبعير محمـلاً بالطعـام داخـل الشِّـعب ، وقـد كـان هـؤلاء الواصـلون يـدخلون في نـزاع مـع المُصـرين علـى المقاطعـة ، ففـي يـوم مـن الأيـام تنـازع حكـيم بـن حـزام مـع أبـي جهـل بسـبب إرسـال حكـيم شـيئاً مـن القمح إلى عمته خديجة (رضي الله عنها).(٢)

---

(١) انظر: د. أكرم العُمري، السيرة النبوية الصحيحة، ج١/ ١٨٣.

(٢) ابـن هشـام، السـيرة النبويـة، ج١/٣٥٤؛ محمـد أبـو شـهبه، السـيرة النبويـة، ج١/٣٦٠.

وبعد ثلاث سنين من الحصار تلاوم بعض عقلاء قريش، واتفق مجموعة منهم على الجهر بإلغاء المقاطعة، ومطالبة قريش بتمزيق الصحيفة، والعودة عن مقاطعة بني هاشم وأتباع النبي ﷺ، وكان على رأس هؤلاء الرافضين للمقاطعة المطالبين بإلغائها هشام بن عمرو بن ربيعة، وكان من أشراف القوم، فمشى إلى رجال من قريش أنِسَ منهم المساندة وكره المقاطعة (فاستثار حميتهم وإنسانيتهم لنقض الصحيفة، والخروج من هذا التعاقد الظالم، ولما كانوا خمسة اجتمعوا وتعاقدوا على نقض الصحيفة).[١] وقام زهير بن أمية وأمه عاتكة بنت عبد المطلب في نادي قريش وقال: (يا أهل مكة أنأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم هلكى، لا يباع ولا يبتاع منهم، والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة الظالمة).[٢]

وحاول أبو جهل جاهداً منع نقض الصحيفة، لكن أصحاب الفكرة غلبوا في الحديث، فقال أبو جهل قولته

(١) أبو الحسن الندوي، السيرة النبوية، ص ١٣٩.

(٢) انظر: عنوان السهيلي في الروض الأنف، ج٢/١٢٧، وابن سعد، السيرة النبوية من الطبقات، ج١/٢١.

المشهورة إنه لأمر قضي بليل.[١] وقام المطعم بن عدى بإخراج الصحيفة من الكعبة ليشقها، فوجد الأرضة قد أكلتها إلا (باسمك اللهم).[٢] وكان النبي ﷺ أخبر أبا طالب، بذلك وبطلت الصحيفة وما فيها من ظلم، وعاد الرسول ﷺ ومن معه إلى حياتهم العادية وسط المجتمع المكي، ونشطوا في التجارة بيعاً وشراءً، واستغنوا بذلك بعد أن كانوا منعوا منه، وموربست عليهم إجراءات صارمة لعزلهم اقتصادياً واجتماعياً ومعنوياً من أهل مكة.[٣]

(١) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٣٧٤؛ ابن كثير، السيرة النبوية، (٢/٤٥).
(٢) انظر: ابن سعد، السيرة النبوية من الطبقات، ج١/٢٠٩.
(٣) ابن سعد، السيرة النبوية من الطبقات، ج١/٢٠٩.

وفاة خديجة رضي الله عنها:[(١)].

كانت أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها نعم الزوجة والصاحبة والمواسية والمعينة للنبي ﷺ، وآسته بمالها، وأعانته بنفسها، أول من آمن به وصدقه، نعم الزوجة لخير الخلق ﷺ. وقد ضرب الله مثلاً في القرآن الكريم لبعض زوجات الأنبياء خُنّ أزواجهن_بمساعدة أعدائهم والوقوف مع المشركين، وليس بخيانة زوجية_، كما قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [التحريم]. أما خديجة رضي الله عنها فهي نعم الزوجة، أثنى عليها رسول الله ﷺ فقال في الحديث الذي رواه علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة بنت خويلد).[(٢)] وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (ما غرت على امرأة للنبي ﷺ ما غرت على خديجة، هلكت قبل أن يتزوجني، لما كنت أسمعه يذكرها، وأمره الله أن يبشرها ببيت من قصب،

---

(١) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢/٤١٥، (وفاة أبي طالب وخديجة).

(٢) صحيح البخاري، كتاب المناقب (باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها رضي الله عنها)، ج٤/٢٣٠.

وإن كان ليذبح الشاه فيهدي في خلائلها منها ما يسعهن).[١] كما روى أبو هريرة ﷺ قال: (أتى جبريل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله هذه خديجة قد أتتك معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني، وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه و لا نصب).[٢]

كانت زوجته الوحيدة حتى ماتت، وأم أولاده وبناته، أحسن النساء خُلقاً وأحبهن لرسول الله ﷺ، دفعت عنه الأذى الكثير بنفسها، وبتوجيهها لبناتها رضي الله عنها، كما شارك أقاربها في الدفاع عن النبي ﷺ، إرضاءً لها، ولما يعرفونه منها عن صدق النبي وحسن عشرته.[٣]

وفي العام العاشر من البعثة النبوية،[٤] توفيت أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، وكان ﷺ

(١) صحيح البخاري، كتاب المناقب (باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها رضي الله عنها)، ج٤/٢٣٠-٢٣١.
(٢) صحيح البخاري، كتاب المناقب (باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها رضي الله عنها)، ج٤/٢٣١.
(٣) انظر: زواج الرسول ﷺ من خديجة رضي الله عنه من هذا الكتاب.
(٤) انظر: ابن سعد، السيرة النبوية من الطبقات، ج١/٢١١.

راضياً عنها محباً لها، مُبشرها بالجنة في أكثر من موضع وقد كانت وفاتها في العام الذي توفى فيه عمه أبو طالب. وكان خير مدافع عن رسول الله ﷺ، ولذلك سمي هذا العام عام الحزن.(١)

وقد أجمعت الأمة على أن خديجة رضي الله عنها خير نساء النبي ﷺ وفي كُلٍّ خير.(٢) وقد كان الرسول ﷺ وفياً لها بعد وفاتها، فقد كان يدعو لها ويذكُرها بخير ويصل ذوي قرابتها وصويحباتها، وحينما أُسر أبو العاص بن الربيع زوج زينب بنت النبي في غزوة بدر أرسلت زينب قلادة أهدتها لها أمها خديجة فداءً لزوجها، فلما رأى النبي ﷺ القلادة تذكرها ورق لها رقة شديدة، وقال لأصحابه: (إن رأيتم إن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها قلادتها فافعلوا)،(٣) واستجاب الصحابة رضوان الله عليهم. وكان ﷺ غاية في الأدب ولم يوجه أمراً، إلى أصحابه الذين فعلوا ما يُحب وإن لم يكن طلب ذلك.

---

(١) الصلابي، السيرة النبوية، ج١/٣٦٧.

(٢) محمد أبو شهبة، السيرة النبوية، ج١/٣٩٧.

(٣) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢/٦٥٣.

وقد ورد أن امرأة من صويحباتها جاءت إلى النبي ﷺ في المدينة، فأقبل عليها وأحسن لقاءها وسأل عن أحوالها، فلما خرجت قالت عائشة رضي الله عنها، وقد عرفت السبب وأحست بشيء من الغيرة: تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال فقال ﷺ: (إنها كانت تأتينا زمان خديجة وإن حُسن العهد من الإيمان).[١]

وفاة أبي طالب.

انتهت المقاطعة وألغتها قريش بفعل ذوي الضمائر منهم، وعاد الرسول ﷺ ومن معه من قومه إلى الحياة الطبيعية في مجتمع مكة، واطمأن أبو طالب وهو المدافع الرئيسي عن النبي ﷺ كثيراً بعد إلغاء المقاطعة، ولكن التهديد لحياة الرسول ﷺ لم يتوقف.

قبيل وفاة أبي طالب مرض واشتكى في السنة العاشرة للبعثة،[٢] وكان الرسول ﷺ مشفقاً عليه داعياً إياه للإسلام والخير، منذ مبعثه، ولكنه لم يؤمن ويعلن إسلامه. وفي الوقت

---

(١) رواه الحاكم والبيهقي، محمد أبو شهبه، السيرة النبوية، ج١/٤٠٠؛ وانظر: ترجمة خديجة من الكتاب.

(٢) انظر: ابن سعد، السيرة النبوية من الطبقات، ج١/٢١١.

نفسه لم يتوقف عن مساندة الرسول ﷺ ودعمه والوقوف معه وحمايته روى البخاري (أن أبا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل فقال: أي عم قل: لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله)، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب، فلم يزالا يكلمانه حتى قال آخر شيء كلمهم به هو على ملة عبد المطلب فقال النبي: (لأستغفرن لك ما لم أُنه عنه)،(١) فنزل قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ ﴾ [التوبة]، ونزلت :

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [القصص].(٢)

وذُكر أن أبا طالب دعا النبي ﷺ لاجتماع مع مشركي مكة، فقال: يا ابن أخي إن هؤلاء أشراف قومك اجتمعوا لك ليعطوك وليأخذوا منك، فقال رسول ﷺ: (نعم كلمة تعطونيها تملكوا بها العرب وتدين لكم بها العجم)، فقال أبو جهل: نعم

---

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب قصة أبي طالب، ج٤/٢٤٦.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١٤٢١/١.

وأبيك وعشر كلمات قال ﷺ: (تقولون لا إله إلا الله وتخلعون ما تعبدون من دونه، فصفقوا بأيديهم ثم قالوا: أتريد يا محمد أن تجعل الآلهة إلهاً واحدا؟ إن هذا لشيء عجاب، ثم قال بعضهم لبعض: إنه والله ما هذا الرجل بمعطيكم شيئا مما تريدون، فانطلقوا وامضوا على دين آبائكم حتى يحكم الله بينكم وبينه، ثم تفرقوا فقال أبو طالب لرسول الله ﷺ: والله يا ابن أخي ما رأيتك سألتهم شططاً،[1] ونزل في ذلك قوله تعالى: ﴿ صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ﴿٢﴾ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ ﴿٣﴾ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۚ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ﴿٨﴾ ﴾ [ص].[2]

وقد كان النبي ﷺ محباً لعمه مشفقاً عليه، يرى معروفه ويشكر له وقوفه إلى جانبه، ويدرك أن لا منقذ من النار لأي كان إلا شهادة أن لا إله إلا الله، وكان ﷺ

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٤١٧؛ وانظر: ابن أبي شيبه، المغازي، ص ١١١.
(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٦٠٠.

حريصاً أشد الحرص على أن يقولها أبو طالب، ولكن حضور أبي جهل وأمثالهم من شياطين الجن وتأكيدهم على ملة عبد المطلب، حيث لم يزالا يكلمانه حتى قال آخر شيء كلمهم به هو على ملة عبد المطلب.(١)

ومات على ذلك فحزن النبي ﷺ حزناً شديداً، وقال لاستغفرن لك ما لم أُنه عن ذلك فنزل قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [القصص]، وقوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ ﴾ [التوبة]، وقد رأى بعض العلماء أن الآية لم تكن في أبي طالب، وإن صح ذلك فهو نهي عام عن الاستغفار لمن مات على غير الإسلام، ولو كانوا أولى قرابة الرسول ﷺ، وهذا واضح من الآية.

ويحاول البعض إثبات إسلام أبي طالب محبة في علي ﷺ كما يرون. ومحبة علي واجبة على الأمة جميعاً ومحبة الرسول ﷺ مقدمة على ذلك، ولا تضاد بينهما، ومع

---

(١) من حديث البخاري، باب قصة أبي طالب، ج٤/٢٤٧.

ذلك فإننا نعلم بلا شك أن أبا لهب عدو لله ولرسوله، ولم يضر الرسول ﷺ ذلك، ولم يضر علي بن أبي طالب، فهو عمه، كما أن أبا طالب عم الرسول ﷺ، ووجود أحاديث صحيحة لدى البخاري وغيره تؤيد عدم إسلام أبي طالب لا يضير أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وما له من مكانة عند الله وعند المسلمين إلى يوم القيامة.

فالشرك حد فاصل في القرابة، ولم نجد علياً رضي الله عنه يقول غير ذلك أو يذكر إسلام أبيه. ودفاع أبي طالب عن النبي ﷺ غير مجحود ولا منكر، لكن أجر الآخرة مقرون بالإيمان بها والإيمان بالله ورسوله، وإن كان هناك ما يدل على تصديق أبي طالب بالنبي ﷺ، إلا أن عدم نطقه بالشهادة وإصراره على ملة عبد المطلب وهي الشرك حتى آخر لحظة في حياته بمتابعة من الأشرار، وشياطين الأنس وعلى رأسهم - أبو جهل- تجعل أبا طالب في صف عبد المطلب كما قال، ولعل العباس بن عبد المطلب، وهو عم رسول الله ﷺ وأخو أبي طالب أدرك هذا الأمر ووجه سؤالاً لرسول الله ﷺ، فقد روى البخاري عن العباس رضي الله عنه (قال: للنبي ﷺ ما أغنيت عن عمك فإنه كان يحوطك ويغضب لك، قال:

هـــو في ضحضـــاح مـــن نـــار ولـــولا أنـــا لكـــان في الـــدرك الأسفل من النار).[(١)]

وقد ناقش ابن حجر الموضوع في الفتح وفي الإصابة، واستفاض في ذلك.

وهنا لابد من التأكيد مرة أخرى أن منزلة علي ﷺ في قلوب المؤمنين عظيمة وعند الله له من المكانة ما لن يزيده أو ينقصه عدم إيمان أبيه ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ [المدثر]. ومن المعروف أن القرآن الكريم تحدث عن والد إبراهيم عليه السلام أنه كان من عتاة الكفر في زمانه ولم يضره شيئاً، فعلي ﷺ مثله مثل إبراهيم عليه السلام في هذا الموقف الذي قال الله فيه: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾ [التوبة]، والحديث العلمي عن موقف أبي طالب ووفاته لا يناقض محبتنا لآل البيت والنبي ﷺ وعلي رضي الله عنه، وهي جزء من ديننا وحبنا لهم.

لقـد كـان أبـو طالـب مسـانداً للرسـول ﷺ، وبموتـه خـفّ دعـم الـنبي ﷺ وضـعف مناصـروه وتـزامن ذلـك مـع وفـاة

(١) البخاري، صحيحه، باب قصة أبي طالب، ج٤/٢٤٧.

خديجة فسمي عام الحزن.[١]

رحلة الرسول ﷺ إلى الطائف.

الطائف ثاني مدينة حجازية، وإحدى القريتين التين أشار إليهما القرآن الكريم ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ ﴾ [الزخرف]، أقرب المدن إلى مكة وأكثرها اتصالاً بها.

كان أهل مكة منذ العصر الجاهلي يتملكون بها المزارع والبساتين ويتوجهون إليها في الصيف، يرتبط أهلها بأهل مكة بروابط النسب والمصاهرة وعلاقات القربى إضافة إلى التبادل التجاري طوال السنة،[٢] ويقع بقربها سوق عكاظ، حيث كان الرسول ﷺ يتردد عليه قبل البعثة وبعدها، وكان يعرض فيها دعوته ونفسه على القبائل منذ الجهر بالدعوة.[٣] وبعد وفاة خديجة رضي الله عنها وعمه أبي طالب، اشتد الأذى على رسول الله ﷺ حتى ضاقت عليه مكة. وقد فقد السند

---

(١) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٤١٦؛ عثمان الخميس، كنوز السيرة، ص ٨٠، ٨٢.

(٢) انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤/٩.

(٣) انظر: ابن أبي شيبه، المغازي، ص ١٢٤.

والزوجة، كما كان كثير من الصحابة قد هاجروا إلى الحبشة، فيمم الرسول ﷺ وجهه نحو الطائف، (١) حيث قبيلة ثقيف، تحيط بها هوازن. وقد صاحبه في هذه الرحلة زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ وصاحبه وألصق الناس به ﷺ(٢).

ولما وصل رسول الله ﷺ إلى الطائف كان هدفه الدعوة، فقابل ثلاثة رجال من أشراف ثقيف دعاهم إلى الله، وعرض عليهم الإسلام، وأن يناصروه ﷺ، أما الأول فهو عبد يا ليل بن عمرو بن عمير فردَّ عليه رداً قبيحاً، وكان مما قال له: هو يمرط (يمزق) ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك. والثاني أخوه مسعود قال: ما وجد الله أحداً غيرك يرسله؟! وأما الثالث فهو أخوهم حبيب فقال: والله لا أكلمك أبداً، لئن كنت رسول الله ﷺ لأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي أن أكلمك، فيئس رسول الله ﷺ منهم ومن مناصرتهم، وكره أن يبلغ الناس ردهم فيقلدوهم في أذى النبي ﷺ، وقال لهم: (إذا فعلتم ذلك فاكتموا

(١) ابن سعد، السيرة النبوية من الطبقات، ج١/٢١١.
(٢) المصدر السابق، ص ١٢٣٢.

عنى)، خشية من أذى الآخرين، لكنهم لم يصبروا ولم يكتموا ولم يكتفوا بالرد السيئ فأغروا بالرسول ﷺ السفهاء والصبيان والعبيد الذين أخذوا يتبعون رسول الله ﷺ يسبونه، ويرمون قدميه الشريفتين بالحجارة، حتى دميت قدما رسول الله ﷺ، وسال الدم على نعليه، ومعه زيد بن حارثة يدفع عنه ويستقبل الحجارة بنفسه، حتى شج وجهه ﷺ، واضطر الرسول ﷺ وصاحبه أن يلجأ إلى حائط - مزرعة- لعتبة وشيبة ابني ربيعة، وهما من مشركي مكة المؤذين لرسول الله ﷺ، ولعله سرهما ما رأيا من إصابة الرسول ﷺ، وما وقع من أذى أهل الطائف.

وجلس رسول الله ﷺ ومعه زيد بن حارثة تحت ظل شجرة يستريحان من عناء ما حدث لهما، وتوجه الرسول ﷺ بدعائه المشهور (اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني؟ أم إلى عدو ملكته أمري؟! إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي ولكن عافيتك أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له

الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك، أو يحل عليّ سخطك، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بالله).[(١)]

وقد جاء غلام نصراني يعمل لابني شيبة في المزرعة ـ ويسمى (عداس) ـ جاء بقطيف من عنب إلى الرسول ﷺ فوضعه بين يدي رسول الله ﷺ فقال الرسول ﷺ: (بسم الله الرحمن الرحيم) ثم أكل، فاندهش عداس ونظر إلى النبي ﷺ وقال والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد، فقال له رسول الله ﷺ: ومن أي البلاد أنت؟ وما دينك؟ قال عداس نصراني من أهل نينوى، فقال ﷺ (من قرية الرجل الصالح يونس بن متى؟ فقال عداس: وما يدريك ما يونس بن متى ؟ فقال ﷺ: (ذاك أخي كان نبياً وأنا نبي)، فأكب عداس يقبل رأس رسول الله ﷺ.

كان ابنا ربيعة يراقبان الموقف فقال أحدهما للآخر: أما غلامك فقد أفسده عليك، فلما جاءهما عداس قالا له: يا عداس مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه

---

(١) انظر: تخريج الدعاء والحكم عليه عند الصلابي، في السيرة النبوية، ج١/٤٠٧.

وقدميه؟ قال عداس: يا سيدي ما في الأرض خير من هذا، لقد اخبرني بأمر لا يعلمه إلا نبي، فقالا له: ويحك يا عداس! لا يصرفنك عن دينك فإن دينك خير من دينه.(١)

وقد أخذ ﷺ الطريق عائداً إلى مكة، وفي قرن الثعالب رفع ﷺ رأسه فرأى سحابة أظلته فإذا جبريل يناديه (إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال وسلم عليَّ ثم قال: يا محمد إن الله قد بعثني إليك وأنا ملك الجبال لتأمرني بأمرك مما شئت إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين)، فقال ﷺ: أرجو أن يخرُج من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً)، (٢) لقد كان ﷺ رحيماً بأمته ينتظر توبتهم أو أجيالاً أخرى مصدقة من أصلابهم.

ولما وصل رسول الله ﷺ إلى مكة حاول المشركون منعه من دخولها، وتوجس ﷺ منهم شراً، فبعث إلى المطعم بن عدي أن يجيره، فقال: نعم. فذهب الرسول

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٤٢٠؛ ابن سعد، السيرة النبوية من الطبقات، ج١/٢١٢.

(٢) انظر: صحيح البخاري، (٣٢٣١)؛ ومسلم (١٧٩٥).

ﷺ إلى بيته ونام عنده وخرج معه في الصباح، ومعه بنوه، متقلدوا السيوف، وقال المطعم للقوم: أنا مجير محمداً فطاف الرسول ﷺ وهو في جوار المطعم والقوم لا يستطيعون أن يخفروا ذمته، ولذلك أثنى الرسول ﷺ عليه خيراً، لما جاء ابنه جبير في فداء أسرى بدر وقال: (لو كان المطعم حياً ثم كلمني في هؤلاء لتركتهم له).[1]

وفي عودة الرسول ﷺ من الطائف مر بنخلة، وهي وادٍ بين مكة والطائف على مسيرة يوم من مكة في ذلك الزمان أما اليوم فهي أقل بكثير ولا تكاد تزيد عن عشرين دقيقة _بالسيارة_ والله أعلم، فقام ﷺ من الليل يتهجد كعادته، فمر به نفر من الجن فسمعوا منه القرآن فلما انصرفوا ولوا إلى قومهم منذرين وقد آمنوا وأجابوا.[2] وفيهم نزل قول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ

(١) انظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج١/١٥٣؛ وانظر: ابن أبي شيبه، المغازي، ص٢١٦.

(٢) ابن سعد، السيرة النبوية من الطبقات، ج١/٢١٢.

وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الأحقاف](١)

وهذا لا ينفي استماع الجن للرسول ﷺ قبل هذه الحادثة أو بعدها. ومن الراجح أن الرسول ﷺ لم يتحدث عنهم، ولا عن سماعهم للقرآن إلا بعد أن نزلت عليه هذه الآيات.(٢)

الإسراء والمعراج (٩ هـ).

الإسراء والمعراج(٣) من الأحداث المهمَّة والكرامات الخاصة بنبينا محمد ﷺ. ولعل تسمية سورة من سور القرآن الكريم (بالإسراء)، وورود كمٍّ هائل من الأحاديث حول الحادثة دليل على أهمية الحدث ومكانته في حياة الرسول ﷺ، وفي النبوة والرسالة.

فالإسراء هو ذهاب الرسول ﷺ من المسجد الحرام

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ج ٢ /١٧٠٨؛ تفسير الطبري، ج١١/٢٩٧.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ج ٢ /١٧٠٨.

(٣) أُلفِّت العديد من الكتب والرسائل حول الحدث قديماً وحديثاً، ولا زال الكثير منها مخطوطاً.

انظر: الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي، المخطوط السيرة والمدائح النبوية، مؤسسة آل البيت، عمان، الأردن.

بمكـة المكرمـة إلى المسـجد الأقصـى في بيـت المقـدس في جـزء مـن ليلـة، ورجوعـه، في الليلـة نفسـها بطريقـة معجـزة ومحددة.[(١)]

والمعـراج هـو الصـعود بـه ﷺ مـن بيـت المقـدس، والعـروج بـه إلى السـموات السـبع، ورؤيتـه مـن آيـات الله الكبرى ورجوعه إلى بيت المقدس في الليلة نفسها.[(٢)]

والإسراء فيه ربط بين بيت الله الحرام في مكة والمسجد الأقصى في بيت المقدس وارتباط للنبي ﷺ بمن سبقه من الأنبياء، وارتباط دعوة التوحيد التي جاء بها بدعوات من سبقه ﷺ، فالرب واحد والدين واحد وأصل البشر واحد: ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ ﴾ [الإسراء] والهدف واحد: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الأعراف].

وقد نصت الآيات على الإسراء في قوله: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ

---

(١) انظر: ابن كثير، السيرة النبوية، ج٢/٩٥؛ ابن حجر، فتح الباري، ج١٥/٤٩؛ ومهدي رزق الله، ص ٢٣٣؛ ابن سعد، السيرة النبوية من الطبقات، ج١/٢١٣.

(٢) انظر: ابن أبي شيبه، المغازي، ص ١٢٠؛ ابن سعد، السيرة النبوية من الطبقات، ج١/٢١٣.

ﭐلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١﴾ [الإسراء].

ومن الواضح أن الإسراء بجسده وروحه ﷺ، ولو كان بالروح فقط لما احتاج الأمر إلى جدال مع المشركين والمنكرين، بل هو بالجسد والروح لنبيه المصطفى ﷺ، ومن رحمة الله تعالى أن الآيات بدأت بالحديث عن تسبيح الله وعبودية الرسول ﷺ لله حتى لا يأتي متقِّول ليصرف الأمر عن موضعه، [١]، أو يخرج النبي ﷺ عن بشريته وعبوديته لله التي هي تكريم يعتز به صلوات ربي وسلامه عليه فهو ما جاء إلا ليقود الناس إلى عبودية الواحد الأحد، ويثبت نفسه والناس على ذلك ﷺ.

بداية الإسراء حينما كان رسول الله ﷺ نائماً في بيته بمكة، فأتاه جبريل عليه السلام فأخذه إلى بئر زمزم فشق صدره وطهر قلبه وحشي إيماناً وحكمة.[٢] وهذا الشق لا ينافي شقه في مرات غيرها،[٣] وأحضر له البراق، دابة لها

(١) انظر: ابن كثير، السيرة النبوية، ج٢/١٠٤.

(٢) انظر: صحيح البخاري، باب المعراج، ج٤/٢٤٨؛ صحيح مسلم، ج١/١٤٨؛ وابن كثير، السيرة النبوية، ج٢/٩٨.

(٣) انظر: حادثة شق الصدر في بني سعد أثناء حضانته فيهم وتخريج رواية أنس بن

سرعة وحركة مخصوصة لا يعلمها إلا الله تعالى.

وركبه الرسول ﷺ، وما أن ركب رسول الله ﷺ حتى وصل سريعاً إلى بيت المقدس.[١]

وحين وصل الرسول ﷺ إلى المسجد الأقصى ربط البراق في الحلقة التي كانت تربط به الأنبياء.[٢] وهذا جزء من عمل الأسباب مع التوكل على الله وإلا فالبراق تحت أمر رسول الله ﷺ.

وصلى رسول الله ﷺ ركعتين، ثم أتاه جبريل بإناءين في أحدهما لبن وفي الآخر خمر، فاختار ﷺ اللبن، فقال جبريل: ((هُديت الفطرة،[٣] أما إنك لو أخذت الخمر غويت وغوِيَتْ أمتك)).

وقد أورد ابن إسحاق أنه ﷺ وجد نفراً من الأنبياء فيهم إبراهيم الخليل وموسى وعيسى في نفر من الأنبياء

مالك، في رضاعة النبي ﷺ من هذا الكتاب.

(١) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٣٩٧.

(٢) من حديث مسلم، ومن رواية ابن أبي شيبه، المغازي، ص ١٢٠.

(٣) من رواية مسلم في صحيحه، وانظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٣٨٧.

قد جمعوا له فصلى بهم ﷺ.[(١)]

إنها الصلاة في حياة النبي ﷺ ، وأهميتها لديه ، وفي حياة أمته ، حيث أمَّ الأنبياء بها ، كما أن فرضها وتشريعها خمس مرات في اليوم والليلة كان في معراجه ﷺ ، [(٢)] ولم يتغير من وضعها شيء في الشريعة ، [(٣)] فاستمرت على ذلك ولم يحصل لأي ركن من أركان الإسلام أو فرائضه مثلما حصل للصلاة من هذا التشريع.

ثم عُرج برسول الله ﷺ إلى السماء. وقد وضع البخاري في صحيحه باباً سماه باب المعراج[(٤)] أورد فيه حديثاً مطولاً عن أنس بن مالك ، ذكر فيه معلومات مختصرة عن رحلة الإسراء والمعراج ، مع أن تفصيلاتها في روايات أخرى كثيرة.

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٣٩٨؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ج٢/٩٩.

(٢) انظر: رواية البخاري في صحيحه، باب المعراج، ج٤/٢٤٨؛ وابن أبي شيبه، المغازي، ص ١١٨.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٤٠٨؛ ابن أبي شيبه، المغازي، ص ١١٧؛ وانظر: رواية البخاري في صحيحه، باب المعراج، ج٤/٢٤٨؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ج٢/١٠١.

(٤) صحيح البخاري، ج٤/٢٤٨.

((فقـد روى البخـاري عـن أنـس بـن مالـك ﷺ: أن النبي ﷺ حدثهم عن ليلة أُسريَ به، قال: بينما أنا في الحَطِيم، وربما قال: في الحِجْر، مُضْطَجعا إذ أتاني آتٍ فقَدَّ، قال: وسمعته يقول: فشقَّ، ما بين هذه إلى هذه، فقلت للجارود وهو إلى جنبي: ما يعني به؟ قال: من ثغرة نحره إلى شعرته، وسمعته يقول من قصه إلى شعرته، فاستخرج قلبي، ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة إيماناً فغسل قلبي، ثم حُشى، ثم أعيد، ثم أُتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض، فقال له الجارود: وهو البراق، فقال: يا أبا حمزة فقال أنس: نعم يضع خَطْوه عند أقصى طرفه، فَحُملت عليه، فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك، قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء، ففتح فلما خلصت فإذا فيها آدم فقال: هذا أبوك آدم فسلِّم عليه فسلمت عليه، فرد السلام ثم قال: مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح، ثم صعد حتى أتى السماء الثانية، فاستفتح قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: من معك؟ قال محمد، قيل: وقد أرسل

إليـه، قـال: نعـم، قيـل: مرحبـاً بـه، فـنعم المجـيء جـاء ففـتح، فلمـا خلصـت إذا يحيـى وعيسـى وهمـا أبنـا الخالـة، قـال: هـذا يحيـى وعيسـى فسـلِّم عليهـا فسـلَّمت فـردَّا، ثـم قـالا: مرحبـاً بـالأخ الصـالح والـنبي الصـالح ثـم صـعد بـي إلى السـماء الثالثـة فاسـتفتح قيـل مـن هـذا قـال: جبريـل قيـل ومـن معـك ؟ قـال: محمـد، قيـل: وقـد أرسـل إليـه؟ قـال: نعـم، قيـل: مرحبـاً بـه فـنعم المجـيء جـاء ففـتح، فلمـا خلصـت إذا يوسـف، قـال: هـذا يوسـف فسـلِّم عليـه، فسـلَّمت عليـه، فـردَّ قـال: مرحبـاً بـالأخ الصـالح والـنبي، ثـم صـعد بـي حتـى أتـى السـماء الرابعـة فاسـتفتح، قيـل: مـن هـذا؟ قـال: جبريـل، قيـل: ومـن معـك؟ قـال: محمـد، قيـل: وقـد أرسـل إليـه ؟ قـال: نعـم، قيـل: مرحبـاً بـه فـنعم المجـيء، ففـتح فلمـا خلصـت إلى إدريـس، قـال: هـذا إدريـس فسـلِّم عليـه فسـلَّمت عليـه، فـردَّ ثـم قـال: مرحبـاً بـالأخ الصـالح والـنبي الصـالح، ثـم صـعد بـي، حتـى أتـى السـماء الخامسـة فاسـتفتح، قيـل: مـن هـذا؟ قـال: جبريـل، قيـل ومـن معـك؟، قـال: محمـد ﷺ، قيـل: وقـد أرسـل إليـه؟ قـال: نعـم، قيـل: مرحبـاً بـه فـنعم المجـيء جـاء، فلمـا خلصـت فـإذا هـارون، قـال: هـذا هـارون

فسلِّم عليه فسلَّمت عليه فرد، ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح، ثم صعد بي حتى آتى السماء السادسة، فاستفتح، قيل: ومن هذا ؟ قال: جبريل، قيل من معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قال: مرحباً به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فإذا موسى، قال: هذا موسى فسلِّم عليه، فسلَّمت عليه، فردَّ ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح، فلما تجاوزت بكى قيل له: ما يبكيك قال أبكي لأن غلاماً بعث يدخل من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي، ثم صعد بي إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل، قيل: من هذا ؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: نعم، قال: مرحباً به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فإذا إبراهيم قال: هذا أبوك فسلِّم عليه، قال: فسلَّمت عليه فرد السلام، قال: مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح، ثم رُفعت لي سِدْرة المنتهى فإذا نبقها مثل قلال هجر، وإذا ورقها مثل آذان الفيلة قال: هذه سدرة المنتهى وإذا أربعة أنهار، نهران باطنان ونهران ظاهران، فقلت: ما هذان يا جبريل قال: أما الباطنان فنهران في الجنة، وأما

الظاهران فالنيل والفرات، ثم رفع لي البيت المعمور، ثم أُتيت بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل فأَخذت اللَّبن، فقال: هي الفِطْرة أنت عليها وأمتك، ثم فرضت عليَّ الصلوات خمسين صلاة كل يوم، فرجعت فمررت على موسى فقال: بما أُمرت؟ فقلت: بخمسين صلاة كل يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة، كل يوم وإني والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لامتك فرجعت، فوضع عني عشراً، فرجعت إلى موسى، فقال: مثله، فرجعت، فوضع عني عشراً، فرجعت إلى موسى فقال: مثله، فرجعت فوضع عني عشراً، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فأُمرت بعشر صلوات كل يوم، فرجعت فقال مثله، فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم، فرجعت إلى موسى فقال بما أُمرت، قلت أُمرت بخمس صلوات كل يوم، قال: أن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم، واني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فأسأله التخفيف لأمتك، قال: سألت ربي حتى استحييت،

ولكن أرضى وأُسلم، قال، فلما جاوزت، ناداني منادٍ أمضيتُ فريضتي وخففتُ عن عبادي)).[(١)]

وهذا الحديث عن المعراج فيه شيء من الاختصار، إذ إن رسول الله ﷺ كان يحدث عمَّا رأى أثناء المعراج في أحاديث كثيرة نقلت عنه، سواء منها وصف الجنة أم وصف النار، وقد أعطى عليه السلام كنوزاً عظيمة من العلم والآيات شاهدها أثناء المعراج، فكان يحدث عنها الأمة بقية حياته في أوقات متفاوتة، مما يصعب معه الحديث عمَّا رأى رسول الله ﷺ في معراجه في حديث واحد.[(٢)]

وقد استشهد كثير من العلماء بما ورد في سورة النجم من آيات وربط بينها وبين المعراج برسول الله ﷺ يقول الله تعالى:

﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (٢) وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ (٤) عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ (٥) ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ (٦) وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ (٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، باب المعراج، ج٤/٢٤٨-٢٥٠، وانظر: ابن أبي شيبة، المغازي، ص١١٥.

(٢) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٢٧٢، ابن أبي شيبة، المغازي، ص١٢٠.

﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ
﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ
رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ
﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ
رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ ﴾ [النجم].

وقد وضع البخاري في صحيحه باباً سماه باب (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس)، أورد فيه حديثاً عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾ ﴾ [الإسراء].

قال هي رؤيا عين أريها الرسول ﷺ ليلة أسري به والشجرة الملعونة شجرة الزقوم.(١)

ثم أعيد رسول الله ﷺ من معراجه إلى بيت المقدس ومنها رجع إلى مكة في ليلته.

وحدث ﷺ أهل مكة عن الحدث في صباح اليوم التالي، وأثار استغرابهم واستنكارهم روى ابن عباس

---

(١) البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، سورة الإسراء، ج٥/٢٢٧.

قـال رسـول الله ﷺ: لمـا كـان ليلـة أسـري بـي أصـبحت بمكـة، قـال: قطعـت بـأمري وعرفـت أن النـاس مكـذبي، فقعـد رسـول الله ﷺ معتـزلاً حزينـاً، فمـر بـه أبـو جهـل، فجـاء حتـى جلـس إليـه، فقـال كالمستهزئ: هـل كـان مـن شـيء؟ قـال نعـم، قـال: ومـا هـو؟ قـال أُسـري بـي الليلـة. قـال: إلى أيـن؟ قـال: إلى بيـت المقـدس. قـال: ثـم أصـبحت بـين أظهرنـا؟ قـال: نعـم، فلـم يُـره أنـه يكذبـه مخافـة أن يجحـد الحـديث إن دعـا قومـه إليـه، قـال: أتحـدث قومـك مـا حـدثتني إن دعـوتهم إليـك؟ قـال: نعـم. قـال: هيـا معشـر بـني كعـب بـن لـؤي هلـم، قـال: فتنفضـت المجـالس، فجـاءوا حتـى جلسـوا إليهمـا، فقـال: حـدث قومـك مـا حـدثتني، قـال رسـول الله: إنـي أُسـري بـي الليلـة، قـالوا: إلى أيـن ؟ قـال: إلى بيـت المقـدس، قـالوا: ثـم أصـبحت بـين ظهرانينـا؟! قـال: نعـم قـال: فمـن بـين مصـفق ومـن بـين واضـع يـده علـى رأسـه متعجبـاً للـذي زعـم، وقـالوا: أتسـتطيع أن تنعـت لنـا المسـجد؟ قـال: وفي القـوم مـن سـافر إلى ذلـك البلـد ورأى المسـجد، قـال رسـول الله ﷺ فـذهبت أنعـت لهـم، فمـا زلـت أنعـت حتـى التـبس علـي بعـض النعـت، فجـيء بالمسـجد وأنـا أنظـر إليـه حتـى وضـع دون

دار عقيل أو دار عقال، فنعته وأنا أنظر إليه، فقال القوم: أما النعت فوالله لقد أصاب.[1]

لقد كشف الله لرسوله في الحال ومباشرة عن المسجد الأقصى، فكان يصف لهم كلما سألوا عنه، وهذه معجزة للرسول ﷺ، حيث هيأ له ما يصدق قوله عن الإسراء.

كما أن هناك شاهداً آخر مما يمكن أن يكون شاهداً للعقلاء، حيث قال لهم ((وآية ذلك أني مررتُ بعير بني فلان بوادي كذا وكذا فأنْفَرَهم حسٌّ الدابة فندَّ لهم بعير فدللتهم عليه وأنا متوجه إلى الشام، ثم أقبلت حتى إذا كنت (بضَجَنان)[2] مررت بعير بني فلان فوجدت القوم نياماً ولهم إناء فيه ماء قد غطوا عليه بشيء فكشفت غطاءه وشربت ما فيه ثم غطيت عليه كما كان، وآية ذلك أن عيرهم تُصوِّب الآن من ثَنِيَّة التَّنْعيم البيضاء يقْدُمها جمل أوْرَقٌ عليه غِرارتان إحداهما سوداء

(١) رواه ابن أبي شيبه، المغازي، ص ١١٨؛ ورواه مسلم في صحيحه عن ابن أبي شيبه؛ وانظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٤٠٢؛ وابن سعد، السيرة النبوية من الطبقات، ج١/٢١٥؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ج٢/٩٧.

(٢) ضجنان، جبل ناحية تهامة؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ج٢/٩٧.

والأخرى بَرْقاء)).[١]

فابتدر القوم الثنية التي ذكر، وسألوهم عن الإناء فأخبروهم بما أخبرهم به ﷺ.

وسألوا بعد ذلك أصحاب البعير الذي وصف لهم فقالوا: نعم قد سمعنا صوت رجل يدعونا إليه حتى أخذناه.[٢]

وقد تميز أبو بكر الصديق رضي الله عنه في صبيحة الإسراء بموقفه من رسول الله ﷺ فقد فرح المشركون بالخبر وهم يعرفون عقل أبي بكر الصديق وتمحيصه للأخبار، لكنهم لا يقيسون بنفس مقاسه وبعد نظره ونظرته للرسول ﷺ.

فسارع أناس من مشركي مكة إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه فأخبروه بما قال الرسول ﷺ من المعراج فقال رضي الله عنه: ((والله لئن كان قاله لقد صدق، وما يعجبكم من ذلك؟! فوالله إنه ليخبرني بالخبر يأتيه من المساء في ساعة

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٣/١٣٠؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٤٠٣.
(٢) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٤٠٣؛ وابن سعد، السيرة النبوية من الطبقات، ج١/٢١٥.

ليل أو نهار فهذا أبعد مما تعجبون منه).[(١)] ثم إن الصديق ﷺ أقبل على النبي ﷺ يسأله أمام القوم ليصدقه، فكلما تحدث النبي ﷺ وذكر شيئاً قال له: صدقت، فيقول له النبي ﷺ : ((وأنت يا أبا بكر الصديق)).[(٢)]

إنه موقف العقل والإيمان وبعد النظر. لقد ذكر الصديق ﷺ أن أمر النبوة والصلة بالسماء والأرض ونزول الوحي أعظم من أن يخبرهم برحلة ليلية قطع المسافة فيها من مكة إلى بيت المقدس وعاد في ليلة واحدة.

أثبت الصديق من هذا الحادث تميز مقاييسه، وأن إيمانه بالوحي أعظم من هذا الحادث وأثبت، وأن الرسول ﷺ لا يكذب، وأن كل ما يقوله صدق إذا ثبت عنه، ومن هنا استحق اللقب الذي أطلقه عليه رسول الله ﷺ (الصديق).

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٣٩٩؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ج٢/٩٧.
(٢) الحاكم، المستدرك، ج٣/٦٣؛ وصححه الذهبي؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٣٩٩.

وزمن الإسراء بدقة مختلَف فيه، فمنهم من يراه في شهر ربيع الأول، ومنهم من يراه في رجب وغير ذلك.[(١)]

والعبرة ليست بالزمن ذاته، ولكنها في الحدث وتشريف الرسول بذلك، والدروس المستفادة منه ومعرفة ظروفه ونتائجه.

العرض على القبائل.[(٢)]

لقد كان من رحمة الله لنبيه ﷺ وما صنعه له وتربيته وتعليمه أن هيأ له ما جعله يتعرف على القبائل ومواطنها، فقد عمل الرسول ﷺ في تجارة خديجة، وكانت له مكانة عند أهل مكة، فكان يخالط القادمين إليها من مختلف القبائل، كما كان ﷺ من المترددين على أسواق العرب التي كثيراً منها ما يكون موسمياً، ومنها ما هو مجاور لمكة مرتبط بموسم الحج، حيث تعتبر مكة من أكثر بلاد العرب تجارة وثراء فكانت أسواقها قائمة

(١) انظر: ابن سعد، السيرة النبوية من الطبقات، ج١/٢١٣؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ج٢/١٠٧؛ محمد أبو شهبة، السيرة النبوية، ج١/٤١٨.

(٢) انظر: ابن أبي شيبه، المغازي، في النبي ﷺ حين عرض نفسه على العرب، ص ١٢٤.

طوال العام، حيث يقدم العرب إلى سوق عكاظ قرب الطائف،[(١)] ثم ينصرفون منه للحج لقرب زمنه ثم تتصل الأسواق إلى مجنة وذي المجاز.[(٢)]

وكان الرسولﷺ متردداً على تلك الأسواق قبل البعثة وبعدها، وقد حاول كفار قريش التنقص من الرسولﷺ : ﴿ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ ﴾ [الفرقان].

فرد عليهم القرآن الكريم ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [الفرقان].

ومن هذه الآيات يتبين لنا أن مشي الرسول ﷺ في الأسواق ليس عيباً، بل من الأمور التي دافع عنها

---

(١) انظر: ناصر الرشيد، سوق عكاظ في الجاهلية والإسلام .. تاريخه ونشأته وموقعه، ط١، دار الأنصار، القاهرة، ١٣٩٧هـ.

(٢) راجع: سعيد الأفغاني، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، ط٣، دار الفكر، بيروت - لبنان، ١٣٩٤هـ.

القرآن الكريم،(١) وكان فيها يتعرف ويطالع ويميز القبائل والرجال وأشرافهم ويسمع ويُسمع قبل البعثة وبعدها.

وحينما بعث الرسول ﷺ وظهرت دعوته حاربه قومه منذ البداية، وكانت دعوته عالمية ليست محصورة بمكة وأهلها، بل هي للخلق من أنفسهم وفيهم.

وتنزل عليه من الآيات من أول البعثة ما يؤكد عالمية رسالته وإنها: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ [الأنبياء]. وأن الله سبحانه وتعالى: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ﴾ [الفاتحة].

ولذلك كانت وجهته ﷺالعالم كله، وما كان ليحصر نفسه في مكة، ومنذ البداية كان يدعو في الأسواق، وبين القادمين لمكة من خارجها، وما قصص إسلام الكثيرين من خارج مكة إلا نتيجة لهذا العرض.

كما كان ﷺ يغشى تجمعات القبائل في موسم الحج، فيعرض دعوة الإسلام عليهم وكان يتبعه أبو لهب، محاولاً إبعاد الناس عن السماع له ﷺ. وكان النبي ﷺ

---

(١) انظر: الطبري، تفسيره، ج٩/٣٧٨؛ ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٣٥٣.

يقـول: ((يـا بـني فـلان إنـي رسـول الله إلـيكم يـأمركم أن تعبـدوا الله ولا تشـركوا بـه شـيئاً وأن تخلعـوا مـا تعبـدون، دونـه مـن هـذه الأنـداد، وأن تؤمنـوا بـي وتصـدقوا بـي وتمنعـوني، حتـى أبـين عـن الله مـا بعثـي بـه، فكـان أبـو لهـب يصـد النـاس عنـه ويحصـبه ويقـول لهـم إنـه مجنـون، فكـان بعضـهم يـرد عليـه رداً قبيحـاً، ويقـول للرسـول ﷺ قومـك أعلم بك ويردون عليه رداً قبيحاً.[١]

وقـد ورد عـن شـاهد عيـان قـال: رأيـت رسـول الله ﷺ بـذي المجـاز يتبـع النـاس في منـازلهم يـدعوهم إلى الله عـز وجـل، وكـان ورائـه رجـل يحصـبه، وهـو يقـول: أيهـا النـاس لا يغـرنكم هـذا عـن ديـنكم وديـن آبـائكم[٢] كـان هـذا الرجـل عَّمـه أبـا لهـب وفـرق بـين مـن يحصِـب ومـن يصحَب.

وكـان أبـو بكـر الصـديق ﷺ يصـحب الـنبي ﷺ حينمـا كـان يطـوف علـى القبائـل وخصوصـاً في موسـم الحـج، فيضـيف خـبرة أخـرى لمعرفتـه بالقبائـل ومواطنهـا وعـددها

(١) انظـر: ابـن كثـير، السـيرة النبويـة، ج٢/١٨٥، ابـن هشـام، السـيرة النبويـة، ج١/٤٢٤.

(٢) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٤٢٣.

وقوتهـا، وكـان أبـو بكـر يسـأل أحيانـاً ((كيـف العـدد فيكم؟ وكيف المنعة؟)).[(١)]

وقـد ثبـت أن الرسـول ﷺ في السـنة العاشـرة للبعثـة والسـنة الـتي تلتهـا، أكثـر مـن عـرض نفسـه علـى القبائـل وخصوصـاً بعـد عودتـه مـن رحلـة الطـائف وممـن عـرض نفسـه علـيهم (غسـان، وفـزارة، ومـرة، وبنـو حنيفـة، وبنـو سُـليم، وعـبس، وثعلبـة، وكنـده، وكلـب، وبنـو الحـارث بـن كلـب وبنـو عُـذرة، وقـيس)،[(٢)] وقـد نقلـت المصـادر بعض التفصيلات عن تلك اللقاءات.

وممـن عـرض الرسـول ﷺ نفسـه علـيهم بنـو عـامر بـن صعصـعة، فقـال أحـد أشـرافهم وهـو بحـيره بـن فـراس: والله لـو أنـي أخـذت هـذا الفتـى مـن قـريش لأكلـت بـه العـرب، ثـم سـأل الـنبي ﷺ أرأيـت إن نحـن بايعنـاك علـى أمـرك ثـم أظهـرك الله علـى مـن خالفـك أيكـون لنـا الأمـر مـن بعـدك؟ قـال: الأمـر لله يضـعه حيـث يشـاء، فقـال:

---

(١) مسند الإمام أحمد، ج٣/٤٩٢. ؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ج٢/١٦٦؛ انظر: الصلابي، السيرة النبوية، ج١/٤٤١.

(٢) انظر إلى أسماء هذه القبائل وقصة عرض الرسول ﷺ نفسه عليهما عند ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٤٢٤؛ وراجع السمعاني في كتابه الأنساب.

أفنهــدف نحورنــا للعــرب دونــك، فــإن أظهــرك الله كــان الأمر لغيرنا، لا حاجة لنا بأمرك.(١)

ومما خاطب به رسول الله ﷺ الناس في المواقف: "هل من رجل يحملني إلى قومه فإن قريشاً منعوني أن أبلغ كلام ربي عز وجل، فأتاه رجل من همدان فقال ﷺ للرجل: من أنت؟ قال: من همدان قال ﷺ: فهل عند قومك من منعة؟ قال: نعم، ثم إن الرجل خشي أن يخفره قومه، فأتى إلى النبي ﷺ فقال له: آتيهم (يعني قومه همدان)، ثم آتيك من عام قابل وانطلق الرجل (٢) لكن وفد الأنصار جاء في رجب قبل الموسوم الذي يليه وقابل الرسول ﷺ.(٣)

وممن قابل الرسول ﷺ من القبائل بنو شيبان بن ثعلبة من بني بكر بن وائل.

---

(١) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٤٢٥؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ج٢/١٧١.

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد، ج٣/٣٩٠؛ وانظر: ابن أبي شيبه، المغازي، ص ١٢٤.

(٣) ابن أبي شيبه، المغازي، ص ١٢٥؛ وانظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٤٢٤؛ وانظر: بيعة العقبة الثانية من هذا الكتاب.

ففي رواية علي بن أبي طالب ﷺقال: لما أمر الله عز وجل نبيه أن يعرض نفسه على قبائل العرب خرج وأنا معه.. إلى أن قال: ثم دفعنا إلى مجلس آخر عليه السكينة والوقار فتقدم أبو بكر فسلم، فقال: من القوم؟ قالوا: شيبان بن ثعلبة، فالتفت أبو بكر إلى رسول الله ﷺ وقال: بأبي وأمي هؤلاء غرر الناس، وفيهم مفروق وقد غلبهم لساناً وجمالاً، وكان له غديرتان تسقطان على تَرِيبته، وكان أدنى القوم مجلساً من أبي بكر ، فقال أبو بكر: كيف العدد فيكم؟ فقال مفروق: إنا لا نزيد على الألف ولن تغلب ألفٌ من قلّة، فقال أبو بكرﷺ: وكيف المنعة فيكم؟ فقال مفروق: إنا لأشدُ ما نكون غضباً حين نَلقى، وأشد ما نكون لقاءً حين نغضب، وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد، والسلاح على اللقاح، والنصر من عند الله يديلنا مرة ويديل علينا أخرى لعلك أخا قريش؟. فقال أبو بكر: إن كان بلغكم أنه رسول الله فها هو ذا. فقال: مفروق إلام تدعونا يا أخو قريش؟ فقال رسول الله ﷺ : (أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وإني عبد الله ورسوله، والى أن تؤووني وتنصروني، فإن قريشاً قد تظاهرت على الله، وكذبت رسوله، واستغنت بالباطل عن الحق، والله هو الغني الحميد) فقال مفروق: وإلام تدعو أيضاً يا أخو قريش؟ فوالله ما

سمعت كلاماً أحسن من هذا، فقال رسول الله ﷺ: قال تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١) ﴾[الأنعام].

فقال مفروق: دعوت والله إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، ولقد أفك قوم كذبوك وظاهروا عليك، ثم رد الأمر إلى هانئ فقال: قد سمعت مقالتك يا أخا قريش وإني أرى تركنا ديننا واتباعنا دينك لمجلس جلست إلينا لا أول له ولا آخر لذلك في الرأي، وقلة نظر في العاقبة، إن الذلة مع العجلة، وإنا نكره أن نعقد على من وراءنا عقداً، ولكن نرجع وترجع وننظر، ثم كأنه أحب أن يشركه المثنى بن حارثة، فقال: وهذا المثنى شيخنا وصاحب حربنا فقال المثنى - وأسلم بعد ذلك- : قد سمعت مقالتك يا أخا قريش والجواب فيه جواب هانئ بن قبيصة في تركنا ديننا ومتابعتنا دينك، وإنا بما نزلنا بين صِرين أحدهما اليمامة والآخر السمامة فقال له رسول الله ﷺ: ((ما هذان الصريان)) قال:

أنهار كسرى ومياه العرب، فأما ما كان من أنهار كسرى فذنب صاحبه غير مغفور وعذره غير مقبول، وإنا إنما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى أن لا نحدث حدثاً ولا نؤوي محدثاً، وإني أرى هذا الأمر الذي تدعونا إليه يا أخا قريش مما تكره الملوك فإن أحببت أن نؤويك وننصرك مما يلي مياه العرب فعلنا، فقال رسول الله ﷺ : ((ما أسأتم في الرد إذ أفصحتم بالصدق، وإن دين الله عز وجل لن ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه، أرأيتم إن لم تلبثوا إلا قليلاً حتى يورثكم الله تعالى أرضهم وديارهم ويعرشكم نساءهم، أتسبحون الله وتقدسونه؟ فقال النعمان اللهم فلك ذلك يا أخا قريش فتلا عليهم رسول الله ﷺ: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ﴾ ثم نهض))[١]

لقد كان الرسول ﷺ عالمياً في الدعوة، لم يقبل من يحد من دعوته جغرافياً أو بشرياً أو زمانياً، ولذلك لم يقبل من بني شيبان إلا إجابة مطلقة دون أن تحدهم حدود فارس بلداً أو سياسة، وذلك سبب لبحث

(١) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج٢/١٦٧، ١٦٨؛ والصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد ج٢/٥٩٦-٥٩٨؛ والصلابي، السيرة، ج١/٤٤٣، ٤٤٤.

الرسـول ﷺ عـن ملجـأ آخـر للـدعوة مـع تضـييق قـريش عليـه وعلـى دعوتـه ومنعهـا مـن الانتشـار، كمـا أن الرسـول ﷺ كـان صـادقاً وفيـاً للعهـد، لا يريـد أن يقبـل شـرطاً ثـم ينقصـه، كمـا كـان يؤسـس لدولـة إسـلامية لهـا قاعـدتها الـتي تنطلـق منهـا إلى العـالم كافـة لا يحـدها سـكان ولا تقطـع معاهـدة أو تخالفهـا ابتـداء، كمـا أنـه لا يريـد شـروطاً تجعـل السـلطة مـن بعـده لقبيلـة معينـة، أو زعـيم معـين فهـي دعـوة ودولـة عالميـة، الإخـلاص والاسـتجابة فيهـا لله تعـالى وحـده، وكأنـه ﷺ يعلـم أن هـذه الـدعوة سـتخوض حربـاً مـع كسـرى فـارس في يـوم مـن الأيـام ولـذلك لم يقبـل اسـتثناء شـيبان، وقـد كـان موقـف بـني شـيبان واضـحاً، لكنـه لم يكـن كافيـاً للـنبي ﷺ. ومـع ذلـك فقـد أثـرت فـيهم دعـوة الـنبي واسـلموا بعـد فـتح مكـة، وكـانوا مـن أوائـل المشـاركين في فتـوح فـارس والعـراق أيـام أبـي بكـر بقيـادة المثنـى بـن حارثـة الشـيباني بعـد حـوالي ثلاثـة عشـر عامـاً مـن هذا اللقاء.

اللقاء الأول بالأنصار.

كــان الأوس والخــزرج مــن ســكان المدينــة المنــورة،[(١)] وقـد حـدثت بينهم بعـض الحـروب أشـهرها يـوم بُعـاث،[(٢)] وقـد كـان كـل مـنهم يبحـث عـن مـن يحالفـه، ويعضـده ويسـاعده في هـذه الحـرب فكـان أول سمـاع لهـم بالإسـلام فقــد روى البخــاري عــن عائشــة (رضــي الله عنهــا) أنهــا قالــت: (كــان يــوم بُعــاث يومــاً قدمــه الله لرســول الله ﷺ، فقــدم رســول الله ﷺ وقــد افــترق ملــؤهم وقتلــت ســراتهم وجرحـــوا فقدمـــه الله لرســـوله ﷺ في دخـــولهم إلى الإسلام).[(٣)]

كانـت هـذه الحـرب باعثـاً لهـم علـى السـماع مـن الـنبي ﷺ حينمـا قـدموا لمكـة لطلـب المسـاعدة، كمـا كانـت ممـا دفعهـم للاتحـاد خلـف الـنبي ﷺ، وقـد عضـتهم الحـرب وأكلتهم فوجدوا بعد ذلك في مبادئه الوحدة والسلام.

---

(١) انظر: ابن قتيبة، المعارف، ص ١٠٩؛ والنويري، نهاية الأرب، ج١/٣١١؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٤٢٨؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ج٢/١٧٢.

(٢) أحد أشهر أيام الحروب بين الأوس والخزرج في العصر الجاهلي. انظر: جواد علي، المفصل، (٤/١٤٠).

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب مناقب الأنصار، ج٤/٢٢١.

وكان يهود يعيشون في المدينة مع الأوس والخزرج، ويحدثونهم بقرب مبعث نبي آخر الزمان ويهددونهم به، فقد ذكر أن يهوداً إذا وقع بينهم وبين جيرانهم من الأوس والخزرج قتال هددهم يهود وقالوا لهم: (إن نبياً مبعوثاً الآن قد أطل زمانه سنتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وإرم). فلما قابل الأوس والخزرج رسول الله ﷺ أثناء عرضه لنفسه على القبائل قال بعضهم لبعض: (تعلمون والله إنه للنبي الذي تواعدكم به يهود فلا يسبُقنكم إليه).[1] وفي رواية لابن إسحاق ذكر فيها هذه التفصيلات وغيرها.[2]

قال ابن إسحاق: فلما أراد الله عز وجل إظهار دينه، وإعزاز نبيه ﷺ، وإنجاز وعده له، خرج رسول الله ﷺ في الموسم الذي لقيه فيه النفر من الأنصار، فعرض نفسه على قبائل العرب، كما يصنع في كل موسم، فبينما هو عند العقبة لقي رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً.

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٤٢٩.

(٢) انظر: ابن كثير، السيرة النبوية، ج٢/١٧٦.

وعندما لقيهم رسول الله ﷺ، قال لهم: من أنتم؟ قالوا: نفر من الخزرج، قال: أمن موالي يهود؟ قالوا: نعم، قال: أفلا تجلسون أكلمكم؟ قالوا: بلى. فجلسوا معه، فدعاهم إلى الله عز وجل، وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن، قال: وكان مما صنع الله به في الإسلام، أن يهوداً كانوا معهم في بلادهم، وكانوا أهل كتاب وعلم، وكانوا هم أهل شرك أصحاب أوثان، وكانوا قد غزوهم ببلادهم، فكانوا إذا بينهم شيء قالوا لهم: إن نبياً مبعوثاً الآن قد أطل زمانه، نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم، فلما كلم رسول الله ﷺ أولئك النفر، ودعاهم إلى الله، قال بعضهم لبعض: يا قوم، تعلمون والله إنه للنبي الذي توعدكم به يهود، فلا يسبقنكم إليه، فأجابوه فيما دعاهم إليه بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام، وقالوا له: إنا قد تركنا قومنا، ولا يقوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم، وعسى أن يجمعهم الله بك، فسنقدم عليهم، فندعوهم إلى أمرك، ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك، ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ راجعين إلى

بلادهم، وقد آمنوا وصدقوا.(١)

فلما قدموا المدينة ذكروا لقومهم لقياهم رسول الله ﷺ، ودعوهم إلى الإسلام حتى انتشر بينهم، فلم تبق دار من دور الأنصار إلا وصلها ذكر رسول الله ﷺ.(٢)

بيعة العقبة الأولى.

كان الرسول ﷺ يخبر أصحابه بقرب تحديد مكان معين لهجرتهم، يجتمع فيه معهم في ذاك المهاجر، وكان بعضهم قد هاجر فعلاً إلى الحبشة قبل ذلك، وما زالوا هناك، لكن الجميع كان بانتظار المكان الموحد الذي يأذن به الله لرسوله بالهجرة ليلحقوا به أو يسبقوه. وقد زاد ضغط قريش لإخراج الرسول ﷺ من مكة ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾﴾ [الإسراء].

وقد أخبر الرسول ﷺ أنه رأى ذلك المكان، ورؤيا الأنبياء حق، فقد روى البخاري في صحيحه عن أبي

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٤٢٩.

(٢) ابن كثير، السيرة النبوية، ج١/١٧٦؛ مهدي رزق الله، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ج١/٢٨٨.

موسى عن النبي ﷺ أنه قال: (رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى ارض بها نخل فذهب وهَلَي إلى أنها اليمامة أو هجر فإذا هي المدينة يثرب). (١)

وثبت أن اختيار المدينة كان بأمر الله وتقديره، ورد عن ابن عباس في البخاري قال: (بعث رسول الله ﷺ لأربعين سنة فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه، ثم أمر بالهجرة فهاجر عشر سنين ومات وهو ابن ثلاث وستين). (٢)

كما أن يهود قد استوطنوا المدينة وما حولها من نخيل وحرات لمعرفتهم بموطن مهاجره ﷺ، وانتظاراً له لكنهم جحدوا حينما علموا به ﷺ، فعاقبهم الله على يديه.

وفي العام الثاني عشر من البعثة النبوية اتفق مجموعة ممن أسلم من الأنصار، وكانوا قد عرفوه وعلموا بدعوته قبل ذلك التاريخ بعدة أشهر، على أن يرتبوا للقاء خاص مع رسول الله ﷺ.

---

(١) رواه البخاري، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، ج٤/٢٥٢.

(٢) صحيح البخاري، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، ج٦/٢٥٣.

كانوا اثني عشر رجلاً،[١] عشرة من الخزرج واثنان من الأوس،[٢] فيما عرف ببيعة العقبة الأولى.

وقد روى شاهد عيان من أصحاب ليلة العقبة وهو عبادة بن الصامت ﷺ: ((أن رسول الله ﷺ قال وحوله عصابة من أصحابه: ((تعالوا بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتون ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوني في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به في الدنيا فهو له كفارة، ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله فأمره إلى الله إن شاء عاقبه، وإن شاء عفا عنه)) فبايعنا على ذلك.[٣]

كانت هذه البيعة بيعة دعوة سلمية عمادها التوحيد والطاعة، لم يذكر فيها قتال ولذلك سماها بعض الصحابة ببيعة النساء مقارنة ببيعة الرسول ﷺ للنساء التي لم يرد فيها القتال ولا النصرة.

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، أمر العقبة الأولى، ج١/٢٩٢.

(٢) د. أكرم العُمري، السيرة النبوية الصحيحة، ج ١ /١٩٧

(٣) رواه البخاري، باب وفود الأنصار، ج٤/٢٥١.

ولـذلك فـإن هـذه البيعـة ركـزت علـى الـدعوة والأمانـة وطاعـة الله ورسـوله، ((فلمـا انصـرف عنـه القـوم بعـث رسـول الله ﷺ معهـم (مصـعب بـن عمـير) رضي الله عنه، وأمـره أن يقـرءاهم القـرآن ويعلمهـم الإسـلام ويفقههـم في الـدين، فكـان يسـمى المقـرئ بالمدينـة مصـعب)).[1] وكمـا كـان إمامهم في الصلاة رضي الله عنه.[2]

وكـان شـاباً صـغيراً تعلـم القـرآن، وصـبر علـى الإسـلام وثبـت عليـه، وكـان اختيـار رسـول الله ﷺ لـه يعـني الثقـة التامـة فيـه لأداء هـذه المهمـة بـين أهـل المدينـة، وهـي مهمـة النيابـة عـن رسـول الله في الـدعوة في المدينـة وتم اسـتقباله رضي الله عنه في المدينـة ونصـرته والـدفاع عنـه مـن قبـل المسـلمين الأوائل من الأنصار.

لقـد كانـت لمصـعب رضي الله عنه جهـود كـبرى بمسـاعدة رجـال مـن الأنصـار، لنشـر الإسـلام في المدينـة بالحسـنى، وخصوصـاً بـين الأشـراف والزعمـاء الـذين لهـم تـأثيرهم علـى البقيـة. روى ابـن هشـام عـن ابـن إسـحاق بسـنده (أن

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٢٩٣؛ وانظر: حديث البخاري، ج٤/٢٦٣.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٢٩٣.

أسْعد بن زُرارة ﷺ خرج بمُصعب بن عُمير ﷺ يريد به دارَ بني عَبْد الأشهل، ودارّ بني ظَفَر، وكان سعدُ بن مُعاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زَيْد بن عبد الأشهل ابن خالةِ أسعد بن زُرارة، فدخلَ به حائطاً من حَوائط بني ظَفر، على بئر يقال لها: بئر مَرَق، فجلسا في الحائط، واجتمع إليهما رجال ممن أسْلم، وسعد بن معاذ، وأُسَيْد بن حُضَير، يومئذ سيدَا قومها من بني عبد الأشهل، وكلاهما مُشْرك على دين قومه، فلمَّا سمعا به قال سعدُ بن معاذ لأُسيد بن حُضَير: لا أبا لك، انطلق إلى هاذين الرجلين اللذين قد أتيا دارنا ليسفِّها ضُعفاءنا، فازجُرهما وانهَهُما عن أن يَأتيا دارَيْنا، فإنه لولا أن أسعد بن زرارة مني حيث قد علمت كفيتُك ذلك، هو ابن خالتي، ولا أجد عليه مقدّما، قال: فأخذ أسيد بن حُضَير حَرْبته ثم أقبل إليها، فلما رآه أسعدُ بن زرارة، قال لمصعب بن عمير، هذا سيَّد قومه قد جاءك، فاصدُق الله فيه قال مصعب: إن يجلسْ أكلمه. قال: فوقف عليهما مُتشمتاً، فقال: ما جاء بكما إلينا تسفِّهان ضعفاءنا؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة، فقال له مصعب: أو تجلسُ فتسمعَ، فإن

رضـيتَ أمـراً قبلتَـه، وإن كرهتُـه كُـفّ عنـك مـا تكـره؟ قـال: أنصـفتَ، ثـم رَكَـز حربتـه وجلـس إليهـا، فكلَّمـه مُصْـعب بالإسـلام، وقـرأ عليـه القـرآن، فقـالا: فيمـا يـذكر عنهمـا: والله لعرفنـا في وجهـه الإسـلامَ قبـل أن يـتكلَّم في إشـراقه وتسـهُّله، ثـم قـال: مـا أحسـنَ هـذا الكـلامَ وأجملَـه! كيـف تصـنعون إذا أردتم أن تـدخلوا في هـذا الـدين؟ قـالا لـه: تغتسـل فتتطهَّـر وتطهَّـر ثوبـك، ثم تَشـهد شـهادة الحـقّ، ثـم تصـلى. فقـام فاغتسـل وطهّـر ثوبيـه، وتشـهد شـهادة الحـقّ، ثـم قـام فركـع ركعـتين، ثـم قـال لهمـا: إنّ ورائـي رجـلاً إن اتبعكمـا لم يتخلّـف عنـه أحـد مـن قومـه، وسأرسـله إليكمـا الآن، سـعد بـن معـاذ، ثـم أخـذ حَرْبتـه وانصـرف إلى سـعد وقومـه وهـم جلـوس في نـاديهم، فلمـا نظـر إليـه سَـعد بـن معـاذ مُقْـبلا، قـال: أحلـف بـالله لقـد جـاءكم أُسَـيْدُ بغـير الوجـه الـذي ذهـب بـه مـن عنـدكم، فلمـا وقَـف علـى النـادي قـال لـه سـعد: مـا فعلـت؟ كلَّمـت الـرجلين، فـوالله مـا رأيـت بهمـا باسـاً وقـد نهيتُهمـا، فقـالا: نفعـل مـا أحببـتَ، وقـد حُـدّثت أن بـني حارثـة قـد خرجـوا إلى أسـعد بـن زُرارة ليقتلـوه، وذلـك أنهـم قـد عرفـوا أنـه ابـن خالتـك، ليُخْفـروك. قـال: فقـام

سعد مُغضَباً مبادراً ، تخوّفاً للذي ذُكر له من بني حارثة ، فأخذ الحربة من يده ، ثم قال : والله ما أراك أغنيت شيئاً ثم خرج إليهما ، فلما رآهما سعدٌ مطمئنين ، عرف سعد أن أُسيداً إنما أراد منه أن يسمع منهما ، فوقف عليهما متشمِّتاً ، ثم قال لأسعد بن زُرارة : يا أبا أمامة ، (أما والله) لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رُمْت هذا مني ، أتَغْشانا في دارنا بما نكره ــ وقد قال أسعدُ بن زرارة لمصعب بن عُمير ، أي مُصْعب ، جاءك والله سيِّد من وراءَه من قومه ، إن يتبعك لا يتخلَّف عنك منهم اثنان ــ قال : فقال له مصعب : أو تقعد فتَسمع ، فإن رضيتَ أمراً ورَغبت فيه قَبِلْتَه ، وإن كرهته عَز لنا عنك ما تكره؟ قال سعد : أنصفْت ثم ركز الحربةَ وجلس ، فعرض عليه الإسلامَ ، وقرأ عليه القرآن ، قالا : فعرفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلَّم ، لإشراقه وتسهُّله ، ثم قال لهما : كيف تَصْنَعُون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين؟ قالا : تغتسل فتطهَّر وتطهر ثوبيك ، ثم تشهد شهادة الحقّ ، ثم تصلي ركعتينْ ، قال : فقام فاغتسل وطهر ثوبيه ، وتشهد شهادة الحقّ ثم ركع ركعتين ، ثم أخذ حربته فأقبل

عامداً إلى نادي قومه ومعه أُسيد بن حُضَير.

قال: فلما رآه قومه مقبلاً، قالوا: نحلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم، فلما وقف عليهم قال: يا بني عبد الأشهل، كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: سيدنا (وأوصلنا) وأفضلُنا رأياً، وأيمننا نقيبةً، قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم عليّ حرام حتى تؤمنوا بالله وبرسوله.

قالا: فوالله ما أمْسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلماً ومسلمة، ورجع أسْعد ومُصْعب إلى منزل أسعد بن زُرارة، فأقام عنده يدعو الناس إلى الإسلام، حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون).[1]

لقد اجتهد مصعب بن عمير ﷺ أيما اجتهاد عاماً كاملاً أسلم فيه على يديه عدد كبير من الأنصار، وأعدهم للقاء رسول الله ﷺ في مكة في موسم حج سنة ثلاث عشرة للبعثة النبوية.

لقد صدق مصعب بن عمير ﷺ في هذا العمل وفي غيره

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٤٣٦.

وهومن الذين قال الله فيهم: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب].[١]

بيعة العقبة الثانية:

سبق القول أن رسول الله ﷺ قد بعث مصعب بن عمير رضي الله عنه للدعوة وتعليم الإسلام في المدينة فعمل بجد سنة كاملة، حتى انتشر الإسلام في بيوت الأنصار في المدينة، فكانوا يتدارسون القرآن ويصلون خلف مصعب وينتظرون لقاء النبي ﷺ. ومن المتوقع أن هناك تنسيقاً بين مصعب وبين رسول الله ﷺ ليَقدُم بهؤلاء المؤمنين، حيث كانوا أشد شوقاً للقاء رسول الله ﷺ ينتظرون ذلك ويعدون له.

كما كان رسول الله ﷺ ينتظر أمثال هؤلاء المصدقين المؤمنين. ويظهر أنه خلال لقاءات مسلمي الأنصار في المدينة كان يقول بعضهم لبعض كما روى جابر بن عبد الله((متى نترك رسول الله ﷺ يطرد في جبال مكة

(١) تفسير الطبري، ج١٠/٢٨٠؛ تفسير ابن كثير، ج٢/١٤٨٨.

ويخاف؟!)).[(١)]

وقد أورد ابن إسحاق رواية مطولة ووافيه في سيرته عن شاهد عيان لبيعة العقبة الثانية بتفصيلات دقيقة حيث روى عن كعب بن مالك قال: ((خرجنا إلى الحجّ وواعدنا رسول الله ﷺ من أوسط أيام التشريق قال: فلما فرغنا من الحجّ، وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله ﷺ لها، ومعنا عبدُ الله بن عمرو بن حَرام أبو جابر، سيِّد من ساداتنا وشريف من أشرافنا، أخذناه معنا، وكنَّا نكتم مَن معنا من قومنا من المشركين أمرَنا، فكلَّمناه وقلنا له: يا أبا جابر، إنك سيِّد من سادتنا، وشريف من أشرافنا، وإنَّا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حَطباً للنار غداً، ثم دَعَوْناه إلى الإسلام، وأخبرناه بميعاد رسول الله ﷺ إيانا العقبة، قال: فأسْلم وشَهد معنا العَقبة، وكان نقيباً.

قال: فنِمْنا تلك الليلة مع قومنا في رِحالنا، حتى إذا مضىَ ثلثُ الليل خرَجنا من رحالنا لميعاد رسول الله ﷺ، نتسلَّل تسلُّلَ القَطا مُسْتخفين، حتى اجتمعنا في

(١) انظر: د. أكرم العُمري، السيرة النبوية الصحيحة، ج١/١٩٨.

الشِّعْب عند العقبة، ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً، معنا امرأتان من نسائنا: نُسَيبة بنت كعب، أمّ عمارة، إحدى نساء بني مازن بن النجَّار، وأسماء بنت عمرو بن عديّ، إحدى نساء بني سلمة، وهي أم منيع.

قال فاجتمعنا في الشِّعب ننتظر رسولَ الله ﷺ، حتى جاءنا ومعه(عمه) العبَّاس بن عبد المطلب، وهو يومئذ على دين قومه، إلا أنه أحَبّ أن يحضُر أمرَ ابن أخيه ويتوثَّق له، فلما جلسَ كان أوّل متكلِّم العبَّاس بن عبد المطلب، فقال: يا معشر الخزرج ــ قال: وكانت العرب إنما يسمُّون هذا الحيَّ من الأنصار: الخزرج، خزرجها وأوْسها: إن محمداً منَّا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا، ممن هو على مثل رأينا فيه، فهو في عزّ من قومه ومَنعة في بلده، وإنه قد أبى إلا الانحيازَ إليكم، واللحوق بكم، فإن كنتم ترَوْن أنكم وافُون له بما دعوتموه إليه، ومانعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإن كنتم ترون أنكم مُسْلموه وخاذِلوه بعد الخروج له إليكم، فمن الآن فَدَعُوه، فإنه في عزّ ومَنَعة من قومه وبلده. قال: فقلنا له: قد سَمِعنا ما قلت، فتكلَّمٍ يا رسول الله ، فخذْ لنفسك ولربك ما أحببتَ.

قـال: فـتكلم رسـولُ الله ﷺ، فـتلا القـرآن، ودعـا إلى الله، ورغَّـب في الإسـلام، ثـم قـال أُبـايعكم علـى أن تَمْنعـوني مما تمنعـون منـه نسـاءكم وأبنـاءكم. قـال: فأخـذ الَـبراء بـن مَعْـرور بيـده، ثـم قـال: نعـم، والـذي بعثـك بـالحقّ (نبيًّـا)، لمنعنَّـك مما نَمْنـع منـه أُزُرَنـا فبايعْنـا رسـولَ الله، فـنحن والله أبنـاء الحـروب، وأهـل الحَلْقـة، وَرثناهـا كـابراً عـن كـابر. قـال: فـاعترض القـولَ، والـبرَاءُ يكلّـم رسـولَ الله ﷺ، أبـو الهيـثم بـن التَّيِّهـان، قـال: يـا رسـول الله إن بيننـا وبـين الرجـال حبـالاً، ــ يعـني اليهـود ــ وإنَّـا قاطعوهـا فهـل عسـيت إن نحـن فَعَلْنـا ذلـك ثـم أظهـرك اللهُ أن ترجـع إلى قومـك وتـدعنا؟ قـال: فتبسّـم رسـولُ الله ﷺ، ثـم قـال: بـل الـدم الـدم، والهَـدْم الهَـدْم، أنـا مـنكم وأنتم مني، أُحارب مَنْ حاربتم، وأسالِم من سالمتم[1]).

لقـد كـان حضـور العبـاس بـن عبـد المطلـب دلـيلاً قويـاً علـى وقوفـه ﵁ مـع رسـول الله ﷺ ومعرفتـه بسـر هـذا اللقـاء، وهـذا يـدعم رأي القـائلين بإسـلامه مبكـراً ﵁،[2] وأنه كان يكتم الأمر عن قريش.

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٤٤٠-٤٤٢.

(٢) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٢/٢٧١؛ وانظر بحثاً خاصاً عن إسلام العباس.

كمـا كـان المبـايعون مـن الأنصـار رضـوان الله علـيهم يـدركون تمامـاً خطـورة البيعـة ومـا يترتـب عليهـا، حيـث تختلـف شـروطها عـن بيعـة العقبـة الأولى، فقـد كانـت بيعـة حـرب تختلـف عـن بيعـة النسـاء.[1] وكـان هـذا واضـحاً، ومـع ذلـك فـإن العبـاس بـن عبـادة الأنصـاري أراد للقـوم أن يعـوا مـا يقومـون بـه، فقـال: ((يـا معشـر الخـزرج هـل تـدرون عـلام تبـايعون هـذا الرجـل؟ قـالوا: نعـم، قـال: إنكـم تبايعونـه علـى حـرب الأحمـر والأسـود مـن النـاس، فـإن كنـتم تـرون أنكـم إذا نُهكـت أمـوالكُم مصـيبة وأشـرافكم قتلـى أسـلمتموه، فمـن الآن فهـو والله إن فعلـتم خـزي الـدنيا والآخـرة، وإن كنـتم تـرون أنكـم وافـون لـه بمـا دعوتمـوه إليـه علـى نَهكـة الأمـوال وقتـل الأشـراف فخـذوه فهـو والله خـير الـدنيا والآخـرة؟ قـالوا: فإنـا نأخـذه علـى مصـيبة الأمـوال وقتـل الأشـراف فمـا لنـا بـذلك يـا رسـول الله إن نحـن وفينـا؟ قال: الجنـة، قـالوا: ابسط يدك، فبسط يده فبايعوه)).[2]

لقـد كـانوا صـادقين في البيعـة، فقـالوا لرسـول الله ﷺ

---

(١) انظر: الغزالي، فقه السيرة، ص: ١٦٠.

(٢) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٤٤٦.

والـذي بعثـك بـالحق إن شئت لنميلنَّ علـى أهـل مِنًـى غـداً بأسـيافنا، فقـال ﷺ: ((لم نُـؤْمَر بـذلك، ولكـن ارجعـوا إلى رحـالكم))،[١] فرجعـوا إلى رحـالهم. وقـد طلـب مـنهم رسـول الله ﷺ أن يخرجـوا لـه اثنـى عشـر نقيبـاً مـن بيـنهم، فـأخرجوا تسـعة مـن الخـزرج وثلاثـة مـن الأوس، كـانوا على قومهم.[٢]

وتـذكر روايـة أخـرى عـن كعـب بـن مالـك ((فلمـا بايعنـا رسـول الله ﷺ صـرخ الشـيطان مـن رأس العقبـة بأنفـذ صـوت سمعتـه قـط: يـا أهـل الجباجـب (المنـازل)! هـل لكـم في مـذمم والصـباة معـه، قـد اجتمعـوا علـى حـربكم قـال: فقـال رسـول الله ﷺ: هـذا أزب العقبـة، هـذا ابـن أزيـب، أتسمع أي عدو الله أما والله لأفرغن لك)).[٣]

كانـت البيعـة ذات معنـى عنـد قـريش، وإن لم تعلـم بتفصـيلاتها، لكنهـا أحسـت بهـا فلمـا أصـبح القـوم جـاءت جماعـة مـن قـريش إلى الأنصـار وهـم يشـكون في الأمـر فحـدثوا المشـركين مـن أهـل المدينـة، الـذين كـان الأمـر

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٤٤٦.

(٢) ابن كثير، السيرة النبوية، ج٢/١٩٨.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٤٤٧.

خافياً عليهم فقالوا: ((يا معشر الخزرج، إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا وتبايعونه على حربنا، وإنه والله ما من حي من العرب أبغض إلينا أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم أو منكم، قال: فانبعث من هناك من مشركي قومنا يحلفون بالله ما كان من هذا شيء وما علمناه، قال وصدقوا لم يعلموه قال: وبعضنا ينظر إلى بعض، قال ثم قام القوم)).[1]

ثم إنهم أتوا عبد الله بن أبي بن سلول زعيم المنافقين، وكان لا يزال على شركه وكان محل ثقتهم فسألوه وما كان يعلم بالأمر، فقال: إن هذا لأمر جسيم، ما كان قومي ليتفوتّوا عليّ بمثل هذا، وما علمته كان فانصرفوا عنه.[2]

وبعد انصراف الناس من منى تيقنت قريش من الخبر، فحاولوا أن يمسكوا بأناس من الأنصار فتمكنوا من القبض على سعد بن عبادة ﷺ، وربطوا يديه إلى

---

(١) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٤٤٨.

(٢) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٤٤٨.

عنقــه وجــروه إلى مكــة وأخــذوا يضــربونه ﷺ ويؤذونــه ويسـبونه، فقـال لـه رجـل مـن قـريش يظهـر أنـه مسـلم، أو ممـن يعطفـون علـى المسـلمين: ويحـك أمـا بينـك وبـين أحـد مـن قـريش جـوار ولا عهـد، قـال : بلـى لقـد كنـت أُجـيرُ لجـبير بـن مطعـم بـن عـدي، وللحـارث بـن حـرب بـن أميـة، قـال لــه الرجــل ويحــك فــاهتف باســم الــرجلين، ففعــل سـعد، وخـرج الرجـل إليهـا فوجـدهما عنـد الكعبـة فقـال لهمـا: إن رجـلاً مـن الخـزرج يضـرب الآن بـالأبطح وإنـه ليهتــف باسمكمــا ويــذكر أن بينــه وبينكمــا جــواراً، قــال: ومـن هـو؟ قـال: سـعد بـن عبـادة، قـال: صـدق والله إن كـان لـيجير لنـا تجارتنـا ويمـنعهم أن يظلمـوا ببلـده، قـال: فجاء فخلَّص سعداً من بين أيديهم فانطلق)).(١)

كانـت البيعـة اسـتعداداً للتضـحية بالمـال والـنفس و دفاعـاً عن الله ورسوله ودعوته.(٢)

كمـا أنهـا احتاجـت إلى تنظـيم وترتيـب سـبقها علـى يـد مصعب بن عمير ﷺ ومن آمن من الأنصار.

---

(١) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٤٥٠.

(٢) انظر: عبدالكريم الزيد، فقه السيرة، ص: ٢٩٠.

كما كان الأمر واضحاً عند الرسول ﷺ، فهو سيقف معهم كما وقفوا معه: (الدم الدم والهدم الهدم).[(١)]

كما أنه لن يدعهم وسيبقى معهم وقد وفى لهم بهذا الأمر بعد فتح مكة وغزوة حنين، حيث قال: (يا معشر الأنصار ألا ترضون أن يرجع الناس بالشاة والبعير، وترجعون برسول الله إلى رحالكم).[(٢)]

وقد علمهم الرسول ﷺ الترتيب والنظام والمسؤولية والشورى في وقت واحد بأن طلب منهم أن يخرجوا لهم ـــ بأنفسهم ـــ اثني عشر نقيباً يكونون مسئولين عن قومهم، فالمرحلة القادمة غير الماضية والترتيب والتنظيم وتحديد المسؤوليات واستشارة الآخرين من سنته ﷺ [(٣)].

وهكذا كان الأنصار منظمين ومستعدِّين لاستقبال الرسول ﷺ في دار الهجرة مدينة المختار دار الأنصار ورجالها.

ولا شك أن الأنصار كانوا مرتبين بطريقة جيدة،

(١) انظر: ابن كثير، السيرة النبوية، ج٢/١٩٨.
(٢) انظر: أحداث غزوة حنين وتوزيع الغنائم من هذا الكتاب.
(٣) انظر: محمد الغزالي، فقه السيرة، ص: ١٥٩.

حيث كتموا الأمر عن بقية قومهم، ولم يعلم بالبيعة إلا المسلمون الصادقون، كما أنهم - رضوان الله عليهم - كانوا صادقين في بيعتهم مستعدِّين لتقديم أموالهم وأنفسهم في سبيل الله، حيث نجد أن ما يزيد على الخمسين رجلاً من المبايعين شهدوا بدراً مع النبي ﷺ،[١] مع أنها معركة عاجلة عذر من لم يخرج فيها مع النبي ﷺ. وفي هذا وغيره ما بيِّن فضل هؤلاء المبايعين على الإسلام وأهله إلى يوم الدين بما نصروا نبيه وحبيبه ﷺ.

كان الرسول ﷺ حريصاً كل الحرص على السرية والاحتياط واتخاذ كافة الأسباب الدنيوية، مع أنه ﷺ أعظم المتوكلين على الله، حيث أخفى الموعد ومكان الاجتماع، ولم يعلم به إلا قلة، كل منهم كان له دوره، فعمه العباس جاء معه ليصحبه وليستوثق له، وكان علي بن أبي طالب عيناً للنبي ﷺ على فم الشعب، وأبو بكر الصديق رضي الله عنه عيناً على الطريق، كما أنه ﷺ كان حريصاً على اختصار الكلام وحفظ الوقت

(١) انظر: صالح الشامي، من معين السيرة، ص ١٥٤.

وخفض الصوت،[1] ومع أهمية الموضوع وخطورته، فسرعة الإنجاز فيه كانت مهمة مع السرية، ويتضح من محاولات اعتداء قريش وكفارها على سعد بن معاذ وغيره من الأنصار، أن قريشاً كانت مستعدة لإيذاء كل من يؤمن بالله والرسول، سواء من قريش أم من خارجها، وأنها مستعدة لمحاربة الرسول ﷺ حتى لو خرج وترك مكة، وقد كان الأنصار في حوراهم يدركون هذا ويدركون أن العرب وقريش سترميهم عن قوس واحدة.

وكان في بيعتهم الاستعداد للقتال وحماية الرسول ﷺ ودعوته، وإن كان لم يؤمر بعد بالقتال ولم يؤذن له، وكان ﷺ يبين أن هذا الأمر سيأتي دوره بإذن من الله.

وقد كانت هذه البيعة إعلاناً بفتح باب الهجرة لرسول الله ﷺ مستقبلاً وفي أجل قريب ــ بإذن الله ــ وفي الوقت نفسه فتح باب الهجرة للمؤمنين ليسبقوا الرسول ﷺ إلى المدينة لتأسيس المجتمع المسلم ودولته النبوية ونظامه المدني والعسكري.

(١) انظر: الصلابي، السيرة النبوية، ج١/٤٦٤.

ولذلك فإن مشركي مكة شددوا قبضتهم على المسلمين بعد أن عرفوا تفاصيل البيعة، فضيقوا على الصحابة من مسلمي قريش وغيرهم في مكة، فكانوا يشكون لرسول الله ﷺ فيأمرهم بالهجرة، ويقول: ((إن الله عز وجل قد جعل لكم إخواناً وداراً تأمنون بها)).[١]

هجرة أصحاب الرسول ﷺ.

الهجرة في اللغة العربية الخروج من أرض إلى أخرى:[٢] وفي المصطلح الشرعي: هي ترك بلد الشرك إلى بلد الإسلام، والبلد الذي يسلم فيه بدينه،[٣] انطلاقاً من قوله تعالى:

﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ ﴾[النساء].

---

(١) انظر: صالح الشامي، من معين السيرة، ص١٥٣.

(٢) الزبيدي، تاج العروس، ج٣/٦١١.

(٣) انظر: الزبيدي، تاج العروس، ج٣/٦١١.

أبو فارس، محمد عبدالقادر، في ظلال السيرة"الهجرة إلى النبوية، ط١، دار الفرقان، عمان، ١٤٠٢هـ

أما سببها فهو الحفاظ على الدين وتطبيقه ونصرته والتجمع مع الرسول ﷺ وأصحابه والاستعداد لنشر الدين وبذل المال والنفس في سبيل الله، وتسهيل عبودية الله لعباده بإقامة نظام يتيح لهم ذلك. وكانت بيعة العقبة ثاني أيام التشريق من السنة الثالثة عشرة للبعثة النبوية.

وقد أمر الرسول ﷺ الصحابة في مكة وخارجها بأن يلحقوا بإخوانهم في المدينة، ومن المؤكد أنه لولا مضايقة قريش لما خرج المهاجرون، وبالتالي فالمهاجرون أخرجوا من ديارهم كما يقول الله تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [الحشر].

كما كان الأنصار (رضوان الله عليهم) محبين لهؤلاء المهاجرين مواسين لهم، قائمين بحقهم فامتدحهم الله بذلك في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحشر].

وقد ذهب المهاجرون الأوائل ومن ناصرهم بفضل السبق على غيرهم، وأشار القرآن الكريم إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة].

كان الصحابي الجليل أبو سلمة بن عبد الأسد أول المهاجرين من مكة إلى المدينة،[1] فقد هاجر بأهله إلى الحبشة وعاد قبيل بيعة العقبة، حيث آذته قريش وضيقت عليه، فعزم الهجرة مرة أخرى ولكن إلى المدينة، فمنعته قريش من اصطحاب زوجته وولده، فقصت أم سلمه (رضي الله عنها) قصة هجرة هذا البيت من المؤمنين تقول (رضي الله عنها): ((لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحَل بعيره ثم حَمَلني عليه، وحمل معي ابني سلمة بن أبي سلمة في حجري، ثم خرج بي يقودُ بي بعيره، فلما رأته رجالُ بني المُغيرة بن

(١) هو: الصحابي الجليل عبدالله بن عبد الأسد المخزومي من أوائل المسلمين، زوج أم المؤمنين أم سلمة، قبل النبي ﷺ ابن عمة النبي ﷺ برة بنت عبد المطلب، من أوائل المهاجرين إلى الحبشة، توفي في المدينة بعد غزوة بدر فتزوج الرسول ﷺ من بعده أم سلمة.

انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٢/٣٣٥؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٤٦٨.

عبد الله بن عمر بن مخزوم قاموا إليه، فقالوا هذه نفسك غلبتنا عليها، أرأيت صاحبتك هذه؟ علامَ نتركك تسير بها في البلاد؟ قالت: فنزعوا خطام البعير من يده، فأخذوني منه. قالت: وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد، رهْط أبي سلمة، فقالوا: لا والله، لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا. قالت: فتجاذبوا بُنَيَّ سلمَة بينهم حتى خلعوا يده، وانطلق به بنو عبد الأسد، وحبسني بنو المُغيرة عندهم، وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة. قالت: ففرّق بيني وبين زوجي وبين ابني. قالت: فكنت أخرج كلّ غداة فأجلس بالأبطح، فما أزال أبكي، حتى أمسى سنةً أو قريبا منها، حتى مرّ بي رجلُ من بني عمِّي، أحدُ بني المغيرة، فرأى ما بي فرحمني، فقال لبني المغيرة: ألا تُخْرجون هذه المسكينة، فرقتم بينها وبين زوجها وبين وَلدها! قالت: فقالوا لي: إلحقي بزوجك إن شئت. قالت: وردّ بنو عبد الأسد إليّ عند ذلك ابني. قالت فارتحلت بعيري، ثم أخذت ابني فوضعته في حجري، ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة. قالت: وما معي أحد من خَلْق الله. قالت: فقلت: أتبلّغ بمن لقيتُ حتى أقْدَم على زوجي،

حتـى إذا كنـت بـالتَّنْعيم لَقيـتُ عثمـان بـن طَلْحـة بـن أبـي طلحـة، أخـا بـني عبـد الـدار فقـال لـي: إلى أيـن يـا بنـت أبـي أميّـة؟ قالـت: فقلـت أريـد زوجـي بالمدينـة. قـال أو مـا معـك أحـد؟ قالـت: فقلـت: لا والله، إلا الله وُبَـنيّ هـذا. قـال: والله مالـك مـن مَتْـرك، فأخـذ بخطـام الـبعير، فـانطلق معـي يَهّـوِي بـي، فـوالله مـا صـحبت رجـلاً مـن العـرب قـطَ، أرى أنـه كـان أكـرم منـه، كـان إذا بلـغ المنـزل أنـاخ بـي، ثـم اسـتأخر عـني، حتـى إذا نزلـت اسـتأخر بـبعيري، فحـطّ عنـه، ثـم قيّـده في الشـجرة، ثـم تنحّـى (عـني) إلى شـجرة، فأضـجع تحتهـا، فـإذا دنـا الـرَّواح، قـام إلى بعـيري فقدّمـه فرَحلـه، ثـم اسـتاخر عـني، وقـال: اركـبي. فـإذا ركبـت واسـتويتُ علـى بعـيري أتـى فأخـذ بخطامـه، فقـاده، حتـى ينـزل بـي. فلـم يـزل يصـنع ذلـك بـي حتـى أقْـدمني المدينـة، فلمـا نظـر إلى قريـة بـني عمـرو بـن عـوف بقُبـاء، قـال: زوجـك في هـذه القريـة ــ وكـان أبـو سـلمة بهـا نـازلاً ــ فادخُليهـا علـى بركـة الله، ثـم انصـرف راجعـاً إلى مكـة)). (١)

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٤٦٩.

كما كان عبدالله ابن أم مكتوم من أوائل المهاجرين.[١] ولا شك أن أعداد المهاجرين توالت وتكاثرت بالتدريج.

وقد نقل الرواة من كانت له حادثة تستحق من وجهة نظرهم النقل، وبعد أبي سلمة وصل إلى المدينة مهاجراً عامر بن ربيعة مع امرأته (ليلي بنت أبي حثمة بن غانم)، ثم عبد الله بن جحش بأهله وبأخيه الكفيف أبي أحمد[٢] وزوجته، حتى أغلقت دار بني جحش ولم يبق بها أحد[٣] حتى النساء منهم هاجرن إلى المدينة، منهن زينب بنت جحش وأم حبيب وأم قيس بنت جحش وغيرهن.[٤] وكان أبو أحمد الكفيف شاعراً قال أبيات في هجرتهم، ومنها قوله:

إلى الله نغدو بين مثنى وواحد

ودين رسول الله بالحق دينها.[٥]

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١/٣٦.
(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٤٧٠.
(٣) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٤٧٠.
(٤) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٤٧١.
(٥) انظر : المصدر السابق في أبيات طويلة.

كما هاجر عمر بن الخطاب، ومعه عياش بن أبي ربيعة، وهشام بن العاص بن وائل السهمي، ويقص عمر القصة فيقول: (اتَّعدتُ لما أردنا الهجرةَ إلى المدينة، أنا وعيَّاش بن أبي رَبيعة، وهشام بن العاصي بن وائل السهميّ التَّناضب من أضاة بني غفار، فوق سَرِف،[1] وقلنا: أينا لم يُصْبح عندها فقد حُبِس فَلْيَمْضِ صاحباه، قال: فأصبحت أنا وعيَّاش بن أبي ربيعة عند التَّناضب، وحُبس عنا هشام وفُتن فافتتن.

ولما قدمنا المدينةَ نزلنا في بني عمرو بن عوف بقُباء، وخرج أبو جهل بن هشام والحارثُ بن هشام إلى عيَّاش بن أبي ربيعة، وكان ابنَ عمهما وأخاهما لأمهما، حتى قَدِما علينا المدينةَ، ورسولُ الله ﷺ، بمكة، فكلَّماه وقالا: إنّ أُمَّك قد نذرت أن لا يمسّ رأسَها مُشطٌ حتى تراك، ولا تستظلّ من شمس حتى تراك، فرقّ لها، فقلت له: يا عياش، إنه والله إن يريدك القوم إلا ليفتنوك عن دينك فاحذرْهم، فوالله لو قد آذى أمَّك القملُ لامتشطت، ولو قد اشتدّ عليها حرُّ مكة

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٤٧٤.

لاستظلَّت، قال: فقال: أبرّ قسمَ أُمَّي، ولي هناك مالٌ فآخذه، قال: فقلت: والله إنك لتعلم أني لمن أكثر قريش مالاً، فلك نصفُ مالي ولا تذهبْ معهما. قال: فأبى عليّ إلا أن يخرج معهما، فلما أبى إلا ذلك، قال: قلت له: أمَّا إذ قد فعلتَ ما فعلت، فخُذْ ناقتي هذه، فإنها ناقةٌ نجيبة ذَلول فالزَمْ ظهرها، فإن رابك من القوم ريبٌ فانجُ عليها.

فخرج عليها معهما حتى إذا كانوا ببعض الطريق، قال له أبو جهل: يا بن أخي، والله لقد استغلظتُ بعيري هذا، أفلا تُعْقبني على ناقتك هذه؟ قال: بلى، قال: فأناخ، وأناخا ليتحوّل عليها، فلما استَوَوْا بالأرض عدَوَا عليه، فأوثقاه وربطاه، ثم دخلا به مكة، وفتناه فافتتن.

قال ابن إسحاق: فحدثني به بعض آل عيَّاش بن أبي ربيعة: أنهما حين دخلا به مكة دخلا به نهارا موثقاً، ثم قالا: يا أهل مكة، هكذا فافعلوا بسُفهائكم، كما فعلنا بسفيهنا هذا.[1]

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٤٧٤ - ٤٧٥.

يقول ابن عمر عن عمر: فكنَّا نقول: ما الله بقابلٍ ممن افتتن صَرْفا ولا عَدْلا ولا توبة، قوم عَرفوا الله، ثم رجعوا إلى الكُفر لبلاءٍ أصابهم! قال: وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم، فلما قَدم رسولُ الله ﷺ المدينةَ، أنزل الله تعالى فيهم، وفي قولنا وقولهم لأنفسهم ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الزمر].

قال عمر بن الخطاب: فكتبتها بيدي في صحيفة، وبعث بها إلى هشام بن العاصي، قال: فقال هشام بن العاصي، فلما أتتني جعلت أقرؤوها بذي طوى، أُصعَّد بها فيه وأُصوّب ولا أفهمها، حتى قلت: اللهمّ فَهِّمنيها. قال: فألقى الله تعالى في قلبي أنها إنما أُنزلت فينا، وفيما كنَّا نقول في أنفسنا ويقال فينا. قال: فرجعت إلى بعيري، فجلست عليه، فلحقتُ برسول الله ﷺ وهو

بالمدينة.[١]

ثم تتابع المهاجرون ومنهم طلحة بن عبيد الله، وعمار بن ياسر، وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود، وبلال بن رباح، وزيد بن حارثة، وحمزة بن عبد المطلب، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو كبشه، وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب، والزبير بن العوام وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة، وعتبة بن غزوان، وعثمان بن عفان وغيرهم.[٢]

ومن أشهر قصص المهاجرين قصة صهيب بن سنان الرومي ﷺ،[٣] فقد كان في مكة يعمل بالحدادة، فكون مالاً نتيجة جهده وعرقه، وقد آمن برسول الله ﷺ وصدقه ودخل الإسلام مبكراً.

فلما أراد ﷺ الهجرة جاءه كفار مكة وقالوا له": أتيتنا صعلوكاً فقيراً فكثر مالك عندنا وبلغت ما بلغت ثم تنطلق بنفسك، ومالك والله لا يكون ذلك، فقال

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٤٧٦.
(٢) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٣٢٩، ٣٣١.
(٣) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٢٦٦.

لهم: أرأيتم إن تركت لكم مالي أتخلون سبيلي؟ قالوا: نعم. فوصف لهم مكان ماله فخلوا سبيله".[(١)]

وقيل إنه لحقه منهم جماعة من الرجال فأخرج من كنانته أربعين سهماً، وكان رجلاً رامياً فقال: " لا تصلون إلى حتى أضع في كل رجل منكم سهماً، ثم أصير بعد إلى السيف فتعلمون أني رجل، وقد خلفت بمكة قينتين فهي لكم".[(٢)]

ثم واصل طريقه إلى المدينة، وقد قال الرسول ﷺ عنه: ((ربح البيع أبا يحي)).[(٣)]

وقيل إنه نزل فيه ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ ﴾ [البقرة].[(٤)]

وقد تحدثت المصادر عن منازل هؤلاء المهاجرين على أصحابهم من الأنصار الذين قال الله عنهم: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٤٧٨.
(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٢٢.
(٣) الواحدي النيسابوري، أسباب النزول، ص ٣٩؛ الطبري، تفسيره، ج٢/٣٣٢.
(٤) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٣٣١؛ والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٢٢.

ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحشر].

نزل بعض العزاب على عزاب مثلهم كنزولهم على سعد بن خيثمة الأنصاري رضي الله عنه.

وقد كان الأنصار يتنافسون على إيواء المهاجرين وسكناهم ومواساتهم، حتى أنهم كانوا يقترعون على سكنى من يصلهم من المهاجرين،[(١)] وكانت الآيات تتنزل على الرسول ﷺ في الثناء على المهاجرين والوعد بنصرهم. يقول تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةًۖ وَلَأَجْرُ ٱلْأٓخِرَةِ أَكْبَرُۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [النحل]. وفي قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾ ﴾ [النحل].[(٢)]

---

(١) عبد الحميد طهماز، سيرة النبي، ص٢٤٦.

(٢) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٢١.

وقد تحدثت الكثير من الآيات عن المهاجرين رضي الله عنهم[(١)]

وبعد هجرة الرسول ﷺ كان عدد من المستضعفين الراغبين في الهجرة يتعرضون للحبس والإيذاء فكان الرسول ﷺ يدعو لهم، فقد ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه ((أن النبي ﷺ كان إذا رفع رأسه من الركعة الأخيرة يقول: ((اللهم انج عياش بن أبي ربيعة، اللهم انج سلمة بن هشام، اللهم انج الوليد بن الوليد، اللهم انج المستضعفين من المؤمنين، اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها سنين كسنين يوسف)).[(٢)]

وقد كان استقبال الأنصار للمهاجرين رائعاً وحميمياً، حيث توزع المهاجرون على بيوت الأنصار، واسوهم في المسكن والطعام والمال، وضربوا أروع الأمثلة في الإيثار وقدموهم على أنفسهم فأثنى الله سبحانه وتعالى عليهم في قوله: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا

(١) انظر: الجمل، أحمد عبد الغني النجولي، هجرة الرسول صل وصحابته في القرآن والسنة، ط١، دار الوفاء، المنصورة، ١٤٠٩هـ.

(٢) رواه البخاري، كتاب الاستسقاء، باب وعاء النبي ﷺ: أجعلها عليهم سنين كسني يوسف، ج١٥/٢.

مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحشر].

وقد وضع البخاري في صحيحه باباً سماه "باب مناقب الأنصار وقول الله عز وجل والذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجاً مما أوتوا".(١) والأمثلة على ذلك كثيرة منها: ما حدث قبل هجرة الرسول ﷺ من تنافس الأنصار على استضافة المهاجرين، ومنها ما حدث بعد وصول الرسول ﷺ وقيامه بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار. ولعل من أفضل الأمثلة في ذلك قصة عبد الرحمن بن عوف مع سعد بن الربيع، حيث آخى بينهما النبي ﷺ فجاء سعد بن الربيع لعبد الرحمن بن عوف فقال: يا عبد الرحمن إني من أكثر الأنصار مالاً، فأَقسمُ مالي نصفين، ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك

---

(١) البخاري في صحيحه، ج٤/٢٢١.

فسمها لي أطلقها فإذا انقضت عدتها فتزوجها. قال عبد الرحمن: بارك الله لك في مالك وأهلك، أين سوقكم؟ فدلوه على سوق بني قينقاع، فما انقلب إلا ومعه فضل من أقط وسمن ثم تابع الغدو يبيع ويشتري.

ثم جاء يوماً وبه أثر صفرة[1] فقال النبي ﷺ مهيم؟ قال: تزوجت، قال: كم سقت إليها؟ قال: نواة من ذهب، أو وزن نواة من ذهب قال: أولم ولو بشاة.[2]

وقد روى أحمد بن حنبل عن أنس بن مالك قال: قال المهاجرون: يا رسول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة في قليل ولا أحسن بذلاً في كثير، لقد كفونا المؤونة، وأشركونا في المهنأ حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله قال: لا ما أثنيتم عليهم ودعوتم الله لهم)).[3]

(١) الصفرة نوع من الأطياب الصفراء من الزعفران وغيره يظهر أثره على الوجه

(٢) رواه البخاري في المناقب، باب إخاء النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار، حديث رقم: ٣٧٨٠، ج٤/٢٢٢.

(٣) ابن كثير، تفسيره، ج١/١٨٥١، تفسير الآية (٨ ـ ١٠) سورة الحشر؛ مسند الإمام أحمد، ج٣/٢٠٠.

وقد وضع البخاري في صحيحه في كتاب مناقب الأنصار باباً سماه: (باب قول الله تعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) روى فيه عن أبي هريرة ﷺ أن رجلاً أتى النبي ﷺ فبعث إلى نسائه فقلن: ما معنا إلا الماء، فقال رسول الله ﷺ: ((من يضم أو يضيف هذا))؟ فقال رجل من الأنصار: أنا فانطلق به إلى امرأته، فقال: أكرمي ضيف رسول الله ﷺ فقالت: ما عندنا إلا قوت صبياني، فقال: هيئي طعامك وأصبحي سراجك ونومي صبيانك إذا أرادوا عشاء، فهيأت طعامها وأصبحت سراجها ونومت صبيانها، ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته، فجعلا يريانه أنهما يأكلان، فباتا طاويين، فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ فقال: ((ضحك الله الليلة أو عجب من فعليكما)) فأنزل الله: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٩ ﴾ [الحشر]. [1]

كان الأنصار حريصين على مخالطة المهاجرين

---

(١) رواه البخاري، ج٤/٢٢٦.

ومصاهرتهم، فهذا (حمزة بن عبد المطلب) عم النبي ﷺ يخطب خولة بنت قيس من بني النجار من الأنصار فيتزوجها، ويقيمان بيتاً مؤمناً عماده مهاجر وأنصارية، كان بيت عم رسول الله ﷺ، وكان يزوره في البيت وتنقل عنه خولة الأحاديث، وقد روت أن رسول الله ﷺ دخل على عمه حمزة فسمعته يقول: ((إن الدنيا خضرة حلوة فمن أخذها بحقها بورك له فيها، ورب متخوض في مال الله ومال رسوله له النار يوم يلقى الله)).[١]

أهل الصفه.

وهم عدد من المهاجرين سكنوا حجرة في مسجد رسول الله ﷺ، عرفوا بأهل الصفة، كانوا عزاباً فقراء لا يجدون ما يأكلون[٢]، وكان رسول الله ﷺ إذا أتته صدقة بعث إليهم (أهل الصفة أضياف الإسلام لا يأوون على أهل ولا مال إذا أتته ﷺ صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئاً، وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده، ج٦/٣٦٤. وانظر: محمد الصوياني، السيرة النبوية، ج١/٢٣٧.

(٢) أبو تراب الظاهري، أصحاب الصفة، دار القبلة، جدة، ١٤٠٣هـ

منها وأشركهم فيها)).[١]

وكان ﷺ يجري عليهم كل يوم ((مداً من تمر بين رجلين)).[٢]

وكان رسول الله ﷺ يطلب من ذوي العائلات من الصحابة إطعامهم، فكان الأنصار رضوان الله عليهم يأخذون بعضاً من أصحاب الصفة إلى منازلهم فيطعمونهم ويواسونهم : ((إن أصحاب الصفة كانوا أناساً فقراء وإن رسول الله ﷺ قال: "من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس، بسادس، وإن أبا بكر جاء بثلاثة وانطلق النبي ﷺ بعشرة".[٣]

وكان بعض هؤلاء يحاول العمل في السوق كحمال، أو يحتطب أو يؤدي أي شيء ممكن من البيع أو الشراء البسيط، وما كانت ظروفهم تساعدهم ومع ذلك

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده، ج٣/٢٨٧؛ وانظر: الصوياني، السيرة النبوية، ج٢/٢٩؛ وانظر: ما كتبه د. أكرم العمري عن أهل الصفة في المجتمع المدني في عهد النبوة، خصائص وتنظيماته الأولى، (ص:٨٩).

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده، ج٣/٢٨٧.

(٣) أبو نعيم، حلية الأولياء، ج٢/٢٢ – ٣٣. الصوياني، السيرة النبوية، ج٢/٣٢.

فإن الرجل إذا باع حطباً أو غير ذلك جاء بطعام لأصحابه.(١)

هجرة النبي ﷺ.

"أبو بكر الصديق ﷺ وأهله ودورهم في الهجرة":

لم يكن رسول الله ﷺ أول من هاجر من الأنبياء، فقد سبقه إبراهيم عليه السلام في الهجرة، قال تعالى: ﴿ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ ﴾ [العنكبوت].

كما أن اعتداءات المشركين واستفزازاهم ومحاولتهم حبسه أو قتله ﷺ كانت وراء هجرته من مكة، وهي أحب بلاد الله إلى الله وإلى رسوله. قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [سورة الأنفال]، ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَسۡتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ لِيُخۡرِجُوكَ مِنۡهَاۖ وَإِذٗا لَّا يَلۡبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٧٦﴾ ﴾ [الإسراء].

ولا شك أن قوم الرسول ﷺ من كفار قريش تضامنوا على إخراجه، كما عبر الله عن ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن

(١) أبو نعيم، حلية الأولياء، (٣٤٨/١)؛ وقد أجريت أبحاث كثيرة حول أهل الصفة.

قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ ﴾ [محمد].

وتؤكد آية الهجرة والصحبة إخراج الذين كفروا للرسول ﷺ ونصر الله في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [التوبة].

كما تؤكد الأحاديث ﷺ أنه أخرج من مكة، وكان يدعو على من أخرجه. ومن ذلك ما رواه البخاري أنه كان يقول: ((اللهم العن شيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة وأمية بن خلف، كما أخرجونا من أرضنا إلى أرض الوباء)).(١)

ورسول الله ﷺ يحب مكة أشد الحب، بها ولد وترعرع

---

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل المدينة، باب (١٣). ج٢/٢٢٥
والوباء الذي كان منتشراً في مكة هي الحمى

وتزوج ورزق، إضافة إلى ما يعلمه الرسول ﷺ ويعلمه الناس من حرمة مكة، ومكانتها عند الله، فهي أفضل أرض الله وبها كان أول مسجد وضع في الأرض ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [آل عمران].

ولعل ما يشهد لذلك قول الرسول ﷺ حينما التفت إلى مكة عند هجرته ((والله إنك لأحب ارض الله إلي وإنك لأحب أرض الله إلى الله، ولولا أن أهلك أخرجوني ما خرجت منك)).(١)

هاجر عدد من أصحاب رسول الله ﷺ في الفترة من بيعة العقبة التي وقعت في اليوم الثاني عشر من شهر ذي الحجة سنة ١٣هـ للبعثة النبوية، الأولى قبل الهجرة، وزادت أعدادهم بالتدريج، وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه مستعداً للهجرة تنفيذاً لأمر رسول الله ﷺ للصحابة بالهجرة، إلا أن الرسول ﷺ كان يطلب التريث من أبي بكر الصديق لأمر يعلمه الله ورسوله، ولا يعلمه الصديق نفسه.

---

(١) الزرقاني، المواهب، ج٣٢٨/١؛ ابن ماجه، سننه، كتاب السير، باب إخراج الرسول ﷺ من مكة، ص : ٢٣٩.

وكان الرسول ﷺ ينتظر الأمر من الله تعالى والإذن له بالهجرة بتدبيره سبحانه وتعالى وهو الذي يمكر لرسول الله ويهيئ له ﷺ. ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأنفال].

وكان الصديق ﷺ يستعد لحاجة رسول الله في الهجرة وخصوصاً الرواحل وما يلزمها، قبل أن يعلم أنه رفيقه في الهجرة.

وقد أحست قريش بعد بيعة العقبة بما يعزم عليه الرسول ﷺ من الهجرة إلى المدينة، وخشيت من ذلك خصوصاً بعد أن سبقه عدد من المهاجرين، ولذلك اجتمعوا للمكر بالرسول ﷺ، [١] كما أشارت الآية الكريمة. وقد أورد ابن إسحاق رواية مطولة عن ما جرى في هذا الاجتماع ونتائجه وما حدث بعده: (ولما رأت قريش أن الرسول ﷺ قد كانت له شيعةٌ وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم، ورأوا خروجَ أصحابه من

---

(١) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢/٤٨٠٩؛ ابن كثير، السيرة، ج١/٨٣٤.

المهاجرين إليهم، عَرفوا أنهم قد نزلوا داراً، وأصابوا منهم مَنَعة، فحَذِرُوا خروجَ رسول الله ﷺ إليهم، وعَرفوا أنه قد أجمع لحَرْبهم. فاجتمعوا له في دار النَّدوة ــ وهي دار قصيّ بن كلاب التي كانت قريش لا تَقْضي أمراً إلا فيها ــ يتشاورون فيها ما يصنعون في أمر رسول الله ﷺ، حين خافوه.

وقد اجتهدوا في وضع الخطط ليحولوا دون هجرة الرسول ﷺ حتى لو أدى ذلك لقتله ﷺ.

قال ابن إسحاق: "عن عبد الله بن عبّاس رضي الله عنهما قال: لمَّا أجمعوا لذلك، واتَّعدوا أن يدخلوا في دار النَّدوة ليتشاوروا فيها في أمر رسول الله ﷺ، غَدوْا في اليوم الذي اتّعدوا له، وكان ذلك اليوم يسمى يومَ الزَّحْمة، فاعترضهم إبليس في هيئة شيخ جليل، عليه بتلة،[1] فوقف على باب الدار، فلما رأوه واقفاً على بابها، قالوا: من الشيخ، قال: شيخ من أهل نجد سمع بالذي اتعدتم له، فحضر معكم ليسمع ما تقولون،

---

(١) البتلة: الكساء الغليظ. ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٤٨١، حاشية رقم: (١).

وعسى أن لا يُعْدمكم منه رأياً ونُصحا، قالوا: أجل، فادخل، فدخل معهم، وقد اجتمع فيها أشرافُ قُرَيش.

فقال بعضهم لبعض: إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتهم، فإنا والله ما نأمنه على الوثوب علينا فيمن قد اتبعه من غيرنا، فأجمعوا فيه رأياً، قال: فتشاوروا ثم قال قائل منهم: احبسوه في الحديد، وأغلقوا عليه باباً، ثم تربَّصوا به ما أصاب أشباهَه من الشعراء الذين كانوا قبله، زُهيراً والنابغة، ومن مضى منهم، من هذا الموت، حتى يُصيبه ما أصابهم، فقال الشيخ النجديّ: لا والله، ما هذا لكم برأي. والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه إلى أصحابه، فلأوشكوا أن يثبوا عليكم، فينزعوه من أيديكم، ثم يُكاثروكم به، حتى يغلبوكم على أمركم، ما هذا لكم برأي، فانظروا في غيره، فتشاوروا، ثم قال قائل منهم: نُخرجه من بين أظهرنا، فننْفيه من بلادنا، فإذا أُخرج عنَّا فوالله ما نُبالي أين ذهب، ولا حيث وقع، إذا غاب عنّا وفرغنا منه، فأصلحنا أمرنا وألفْتنا كما كانت. فقال الشيخ النجديّ: لا والله، ما هذا لكم برأي، ألم تَرَوْا حُسْن حديثه وحلاوة منطقه، وغلبته

علـى قلـوب الرجـال بمـا يـأتي بـه؟ والله لـو فعلـتم ذلـك مـا أمنـتم أن يحـلّ علـى حـيّ مـن العـرب، فيغلـب علـيهم بـذلك مـن قولـه وحديثـه حتـى يتـابعوه عليـه، ثـم يسـير بهـم علـيكم حتـى يطـأكم بهـم في بلادكـم، فيأخـذ أمـركم مـن أيـديكم، ثـم يفعـل بكـم مـا أراد، دبِّـروا فيـه رأيـاً غـير هـذا. قـال: فقـال أبـو جهـل بـن هشـام: والله إن لـي فيـه لرأيـاً مـا أراكـم وقعـتم عليـه بعـد، قـالوا: ومـا هـو يـا أبـا الحكـم؟ قـال: أرى أن نأخـذ مـن كـلّ قبيلـة فتـى شـاباً جليـداً نسـيباً وسـيطاً فينـا، ثـم نعطـي كـل فتـى مـنهم سـيفاً صـارماً، ثـم يعمـدوا إليـه، فيضـربوه بهـا ضـربةً رجـل واحـد، فيقتلـوه، فنسـتريح منـه. فـإنهم إذا فعلـوا ذلـك تفـرّق دمـه في القبائـل جميعـاً، فلـم يقـدر بنـو عبـد منـاف علـى حـرب قـومهم جميعـاً، فرضـوا منـا بالعَقْـل، فعقلنـاه لهـم. قـال: فقـال الشـيخ النجـديّ: القـول مـا قـال الرجـل، هـذا الـرأي الـذي لا رأي غيره، فتفرق القوم على ذلك وهم مجمعون له.

فـأتي جبريـلُ عليه السلام رسـول الله ﷺ، فقـال: لا تَبِـتْ هـذه الليلـة علـى فراشـك الـذي كنـت تبيـت عليـه. قـال: فلمَّـا كانـت عَتْمـة مـن الليـل اجتمعـوا علـى بابـه يرصـدونه متـى ينـام، فيثبـون عليـه، فلمـا رأى رسـول الله ﷺ مكـانهم ،

قال لعليّ بن أبي طالب: نمْ على فراشي وتَسجّ بِبُرْدي هذا الحَضْرميّ الأخضر، فَنَمْ فيه، فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم، وكان رسول الله ﷺ ينام في بُرْده ذلك إذا نام.

ولما اجتمعوا له، وفيهم أبو جهل بن هشام، قال وهم على بابه: إن محمداً يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره، كنتم ملوك العرب والعجم، ثم بُعثتم من بعد موتكم، فجُعلت لكم جنان كجنان الأردن، وإن لم تفعلوا كان له فيكم ذبح، ثم بُعثتم من بعد موتكم، ثم جعلت لكم نار تُحرقون فيها.

قال: وخرج عليهم رسول الله ﷺ، فاخذ حَفْنة من تراب في يده، ثم قال: أنا أقول ذلك، أنت أحدُهم واخذ الله تعالى على أبصارهم عنه، فلا يَرَوْنه، فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم وهو يتلو هؤلاء الآيات: ﴿ يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ

﴿فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩﴾ [يس]. حتى فرغ رسولُ الله ﷺ من هذه الآيات، ولم يبق منهم رجل إلا وقد وضع على رأسه تراباً، ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب، فأتاهم آت ممن لم يكن معهم، فقال: ما تَنتظرون هاهنا؟ قالوا: محمداً، قال: خيَّبكم الله! قد والله خرج عليكم محمد، ثم ما ترك منكم رجلاً إلا وقد وضع على رأسه تراباً، وانطلق لحاجته، أفما ترون ما بكم. قال: فوضع كلّ رجل منهم يده على رأسه، فإذا عليه تراب، ثم جعلوا يتطلّعون فَيرَوْن عليّاً على الفراش متسجيّاً بِبُرْدة رسول الله ﷺ، فيقولون: والله إن هذا لمحمدٌ نائماً، عليه بُرده. فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا فقام عليّ ﷺ عن الفراش فقالوا: والله لقد كان صدقنا الذي حدثنا.

قال ابن إسحاق: وكان مما أنزل الله عزّ وجلّ من القرآن في ذلك اليوم، وما كانوا أجمعوا له: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ۝٣٠﴾ [الأنفال]. وقول الله عزّ وجلّ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ۝٣٠ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ۝٣١﴾ [الطور]".[1]

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٤٨٤؛ وانظر: ابن سعد، السيرة النبوية

ولعل عائشة (رضي الله عنها)، ابنة الصديق ثاني اثنين إذ هما في الغار، وأم المؤمنين زوجة المصطفى وشاهدة عيان لبداية أحداث الهجرة، خير من ينقل الحديث عن حادثة الهجرة وبرواية البخاري، وما نقلته (رضي الله عنها) يعد من أوسع الأحاديث في تفصيلات الهجرة مع ما لحقه من روايات أخرى.

عن عروة بن الزبير أن عائشة (رضي الله عنها) زوج النبي ﷺ قالت: (لم أعقل أبوي قط إلا وهما يدينان الدين ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفي النهار، بكرة وعشية، فلما ابتلي المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً نحو أرض الحبشة، حتى إذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة، فقال: أين تريد يا أبا بكر فقال أبو بكر: أخرجني قومي فأريد أن أسيح في الأرض وأعبد ربي، قال ابن الدغنة: فإن مثلك يا أبا بكر لا يَخرج ولا يُخرج، إنك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقرئ الضيف وتعين على نوائب الحق، فأنا لك

من الطبقات، (٢٢٧/١)؛ وانظر : ابن كثير، تفسيره، (٧٣٤/١).

جار، ارجع واعبد ربك ببلدك، فرجع وارتحل معه ابن الدغنة، فطاف ابن الدغنة عشية في أشراف قريش فقال لهم: إن أبا بكر، لا يخرج مثله ولا يخرج، أتخرجون رجلا يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقرئ الضيف ويعين على نوائب الحق، فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة: وقالوا لابن الدغنة مر أبا بكر فليعبد ربه في داره فليصل فيها وليقرأ ما شاء ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به، فإنا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا، فقال ذلك ابن الدغنة لأبي بكر، فلبث أبو بكر بذلك يعبد ربه في داره ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ في غير داره، ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجدا بفناء داره، وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن، فينقذف عليه نساء المشركين وأبناؤهم وهم يعجبون منه وينظرون إليه، وكان أبو بكر رجلاً بكاء لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن، وأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين، فأرسلوا إلى ابن الدغنة، فقدم عليهم فقالوا: إنا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه في داره فقد جاوز ذلك، فابتنى مسجدا بفناء داره فأعلن بالصلاة والقراءة فيه، وإنا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا فانهه، فإن أحب

أن يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل، وإن أبى إلا أن يعلن بذلك فسله أن يرد إليك ذمتك، فإنا قد كرهنا أن نخفرك، ولسنا مقرين لأبي بكر الإستعلان، قالت عائشة: فأتى ابن الدغنة إلى أبي بكر فقال: قد علمت الذي عاقدت لك عليه، فإما أن تقتصر على ذلك، وإما أن ترجع إلي ذمتي، فإني لا أحب أن تسمع العرب أني أُخفرت في رجل عقدت له، فقال أبو بكر: فإني أرد إليك جوارك وأرضى بجوار الله عز وجل، والنبي ﷺ يومئذ بمكة، فقال النبي ﷺ للمسلمين: إني أُريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين، وهما الحرتان، فهاجر من هاجر قبل المدينة ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة وتجهز أبو بكر قِبل المدينة، فقال له رسول الله ﷺ: على رسلك فإني أرجو أن يؤذن لي، فقال أبو بكر: وهل ترجو ذلك؟ بأبي أنت قال: نعم فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه، وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر، وهو الخبط أربعة أشهر، قال: عروة قالت عائشة: فبينما نحن يوما جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة قال قائل لأبي بكر: هذا

رسـول الله ﷺ متقنعـا في سـاعة لم يكـن يأتينـا فيهـا ، فقـال أبـو بكـر : فـداء لـه أبـي وأمـي والله مـا جـاء بـه في هـذه السـاعة إلا أمـر ، قالـت : فجـاء رسـول الله ﷺ فاسـتأذن ، فـأذن لـه ، فـدخل فقـال الـنبي ﷺ لأبـي بكـر : اخـرج مـن عندك ، فقال أبـو بكـر: إنما هـم أهلـك بـأبي أنـت يـا رسـول الله قـال : فـإني قـد أُذن لـي في الخـروج فقـال أبـو بكـر : الصـحابة بـأبي أنـت يـا رسـول الله؟ قـال رسـول الله ﷺ : نعـم قـال أبـو بكـر : فخـذ بـأبي أنـت يـا رسـول الله إحـدى راحلـتي هـاتين ، قـال رسـول الله ﷺ : بـالثمن قالـت ، عائشـة فجهزناهمـا أحـث الجهـاز وصـنعنا لهمـا سـفرة في جـراب ، فقطعـت أسمـاء بنـت أبـي بكـر قطعـة مـن نطاقهـا فربطـت بـه علـى فـم الجـراب ، فبـذلك سميـت (ذات النطـاقين) ، قالـت : ثـم لحـق رسـول الله ﷺ وأبـو بكـر بغـار في جبـل ثـور فكمنـا فيـه ثـلاث ليـال يبيـت عنـدهما عبـد الله بـن أبـي بكـر ، وهـو غـلام شـاب ثقـف لقـن ، فيـدلج مـن عنـدهما بسـحر ، فيصـبح مـع قـريش بمكـة كبائـت ، فـلا يسـمع أمـرا يُكتـادان بـه إلا وعـاه ، حتـى يأتيهمـا بخـبر ذلـك حـين يختلط الظـلام. ويرعـى عليهمـا عـامر بـن فهـيرة مـولى أبـي بكـر منحـة مـن غـنم فيريحهـا عليهمـا حـين تـذهب

ساعة من العشاء، فيبيتان في رسل وهو لبن منحتهما ورضيفهما، حتى ينعق بها عامر بن فهيرة بغلس يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث، واستأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر رجلاً من بني الديل، وهو من بني عبد بن عدي هادياً خريتاً، والخريت الماهر بالهداية، قد غمس حلفاً في آل العاص بن وائل السهمي وهو على دين كفار قريش فأمناه، فدفعا إليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال، براحلتيهما صبح ثلاث وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل فأخذ بهم طريق السواحل).[١]

ومن رواية عائشة وغيرها يتبين لنا دور الصديق رضي الله عنه وأهل بيته في المشاركة في الهجرة. إنها مشاركة مباشرة من أبي بكر الصديق بنفسه وماله وأهله.

فمن هذه الرواية للبخاري وما يدعمها من روايات نجد أن الصديق رضي الله عنه كان صادقاً حينما قال لرسول الله ﷺ ((إنما هم أهلك بأبي أنت يا رسول الله)).[٢]

---

(١) صحيح البخاري، باب هجرة النبي ﷺ، ج٤/٢٥٧.

(٢) من رواية البخاري، ج٤/٢٥٤-٢٥٨.

إن فرح أبي بكر الصديق بصحبة الرسول ﷺ كان عظيماً وأي صحبة كتلك الصحبة الواردة في القرآن الكريم ((ثاني اثنين))، حيث نال الصديق من الشرف ما لم ينله أحد من البشر بتلك الصحبة المباركة المنصوص عليها في القرآن الكريم ((إذ يقول لصاحبه)).

تلك الفرحة يعبر عنها الصديق ﷺ حينما قال الرسول ﷺ: ((قد أذن لي بالخروج)) فيقول الصديق ﷺ: الصحابة بأبي أنت وأمي يا رسول الله، كان مستشرفاً متشوقاً لصحبة خير البشر، في رحلة مباركة جاهز لترك الأهل والوالدين والمال ومرافقة رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: نعم.

كانت مرافقة وموافقة نبوية مباركة، ولا شك أن الرسول ﷺ لا ينطق عن الهوى، ولذلك فإن هذه الصحبة كانت بعلم الله ورضاه لنبيه بخير رفيق وصاحب.

كان الصديق ﷺ متوقعاً لهذه الصحبة، وإن كان لم يعلم بها إلا ساعة وافق له النبي ﷺ على ذلك. وعندها

بكـى أبـو بكـر الصـديق مـن شـدة الفـرح ،[١] ومـع هـذا فقـد كـان الصـديق محتاطـاً للأمـر ، قـد اشـترى راحلـتين مـن خاصـة مالـه لمثـل هـذا الموقـف فقـال : يـا نـبي الله إن هـاتين راحلـتين قـد كنـت أعـددتها لهـذا ، وكـان أبـو بكـر ﵁ رجـلاً ذا مـال فكـان حـين اسـتأذن رسـول الله ﷺ في الهجـرة فقـال لـه رسـول الله ﷺ : لا تعجـل لعـل الله يجـد لـك صـاحباً ، قـد طمـع بـأن يكـون رسـول الله ﷺ ، إنمـا يعـني نفسـه ، حـين قـال لـه ذلـك ، فابتـاع راحلـتين فاحتبسـهما في داره يعلفهـا إعداداً لذلك.[٢]

وقـد خـرج رسـول الله ﷺ ومعـه أبـو بكـر للـهجرة مـن خوخـه (بـاب صـغير) في ظهـر بيـت أبـي بكـر مسـتخفياً عـن النـاس الـذين ربمـا كـان بعضـهم يرقـب البـاب الرئيسـي لبيـت أبـي بكـر مظنـة وجـود الرسـول ﷺ فيـه بعـد بيـت الرسـول ﷺ وهــذه هــي الحقيقــة ، حيــث انطلقــا منــه إلى جبــل ثــور واختفيا في غار فيه.

وحـــين خـــروج الرســـول ﷺ للـــهجرة قـــدم الصـــديق

(١) انظر : ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٤٨٤.

(٢) انظر : ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٤٨٥.

الراحلة هدية للمصطفى ﷺ الذي يقدر جهد أبي بكر ويحترم بذلك عطاءه، لكنه رفض أن يأخذ الراحلة إلا بثمنها.[(١)] إنه الكريم ﷺ عزيز النفس الذي لم يكن في يوم من الأيام عالة على أحد، كما أن أبا بكر رضي الله عنه قد استأجر عبد الله بن أريقط ليكون دليلاً لهما على طريق مجهولة لقريش لا يتوقعها الناس، إذ إنهما كانا ينويان مخالفة الطريق المشهورة، حتى لا يتم العثور عليهما، وهذا بترتيب الصديق مع الرجل الذي كان محل ثقة ومأمون وإن كان غير مسلم في حينها.[(٢)]

ولعل نقل عائشة أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق لهذه الروايات الدقيقة عن حادثة الهجرة وتفصيلاتها التي رواها البخاري (رحمه الله) في صحيحه من أثر آل أبي بكر على الدعوة، حيث كانت عائشة أفضل من نقل الحديث بتفصيلاته.

كما كان أبو بكر أيضاً رضي الله عنه خير رفيق لرسول الله في تلك الرحلة، وظهر منه مواقف مختلفة كان يفدي رسول

(١) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٤٨٧؛ انظر: محمد الغزالي، فقه السيرة،ص ١٧١ .
(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٤٨٥.

الله ﷺ بنفسه منها :

إن الرسول ﷺ لما أقبل على غار جبل ثور ليدخله طلب منه الصديق ﷺ الانتظار حتى يتأكد من الغار وسلامته للرسول ﷺ .

وأثناء جلوسهما في الغار إذا جحر فألقمه أبو بكر الصديق ﷺ رجله وقال يا رسول الله إن كانت لدغة أو لسعة كانت بي.(١)

كان ﷺ خائفاً مشفقاً على رسول الله ﷺ أثناء وجودهما في الغار، ففي حديث انس بن مالك عن أبي بكر الصديق ﷺ قال: كنت مع النبي ﷺ في الغار فرفعت راسي فإذا أنا بأقدام القوم فقلت: يا نبي الله لو أن بعضهم طأطأ بصره رآنا، فقال ﷺ : ((اسكت يا أبا بكر اثنان الله ثالثهما)).(٢)

إن هذا الترقب والخشية وثقة رسول الله ﷺ بالله وتوثيقه أبا بكر وطمئنته ذكر في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ

---

(١) رواه ابن أبي شيبة، في المغازي، ص ١٥١.

(٢) رواه البخاري، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، ج٤/٢٦٣.

هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [التوبة]. نعم أنزل الله سكينته على رسوله.

وقد خدم أبو بكر رسول الله ﷺ أثناء الطريق، فقد ورد في رواية لابن أبي شيبة عن البراء بن عازب، قال: "اشترى أبو بكر من عازب رحلاً بثلاثة عشر درهماً، فقال أبو بكر لعازب: مر البراء فليحمله إلى رحلي، فقال له عازب: لا حتى تحدثني كيف صنعت أنت ورسول الله ﷺ، حيث خرجتما والمشركون يطلبونكما، قال: رحلنا من مكة فأحيينا ليلتنا ويوماً حتى أظهرنا، وقام قائم الظهيرة، فرميت ببصري هل أرى من ظل نأوي إليه، فإذا أنا بصخرة فانتهينا إليها، فنظرت بقية ظل فسويته ثم فرشت لرسول الله ﷺ فروة، ثم قلت: اضطجع يا رسول الله! فاضطجع ثم ذهبت أنفض ما حولي هل أرى من الطلب أحداً، فإذا أنا براعي غنم.يسوق غنمه إلى الصخرة يريد منها الذي أريد،

فسألته فقلت لمن أنت يا غلام؟ فقال: لرجل من قريش، قال: فسماه فعرفته، فقلت: هل في غنمك من لبن؟ قال: نعم، قلت: هل أنت حالب لي؟ قال: نعم، قال: فأمرته فاعتقل شاة من غنمه فأمرته أن ينفض ضرعها من الغبار، ثم أمرته أن ينفض كفيه، فقال هكذا فضرب إحدى يديه بالأخرى، فحلب كثبة من لبن، ومعي لرسول الله ﷺ أداوة على فمها خرقة، فصببت على اللبن حتى برد أسفله، فأتيت رسول الله ﷺ فوافقته قد استيقظ، فقلت: اشرب يا رسول الله، فشرب رسول الله ﷺ حتى رضيت، ثم قلت: أتى الرحيل يا رسول الله، فارتحلنا والقوم يطلبوننا، فلم يدركنا أحد منهم غير سراقة بن مالك بن جعشم على فرس له، فقلت: هذا الطلب قد لحقنا يا رسول الله وبكيت، فقال: ما يبكيك؟ فقلت: أما والله ما على نفسي أبكي، ولكني أبكي عليك قال: فدعا عليه رسول الله ﷺ فقال: اللهم اكفناه بما شئت، قال: فساخت به فرسه في الأرض إلى بطنها، فوثب عنها، ثم قال: يا محمد، قد علمت أن هذا عملك فادع الله أن ينجيني مما أنا فيه، فو الله لأُعمين على من ورائي من

الطلب، وهذه كنانتي فخذ سهماً منها فإنك ستمر على إبلي وغنمي بمكان كذا وكذا، فخذ منها حاجتك، فقال رسول الله ﷺ: لا حاجة لنا في إبلك، وانصرف عن رسول الله ﷺ ودعا له رسول الله ﷺ، وانطلق راجعاً إلى أصحابه، ومضى رسول الله ﷺ وأنا معه حتى قدمنا المدينة ليلاً، فتنازعه القوم أيهم ينزل عليه".[(١)]

وقد كان أبو بكر رضي الله عنه رديف النبي ﷺ، وكان معروفاً للناس لكثرة تردده على الشام، فكان يعميهم عن معرفة الرسول ﷺ وهو مطارد، روى ابن أبي شيبة:

عن أنس أن أبا بكر كان رديف النبي ﷺ من مكة إلى المدينة، وكان أبو بكر يختلف إلى الشام، فكان يُعرف، وكان النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ لا يُعرف، فكانوا يقولون: يا أبا بكر! من هذا الغلام بين يديك؟ قال: هاد يهديني السبيل، قال: فلما دنوا من المدينة نزلوا الحرة وبعثا إلى الأنصار، فجاءوا، قال: فشهدته يوم

---

(١) ابن أبي شيبة، المغازي، ص ١٤٥. وانظر: جزء من الرواية عند البخاري في صحيحه، باب هجرة النبي ﷺ، ج٤/٢٥٧.

دخل المدينة، فما رأيت يوماً كان أحسن ولا أضوء من يوم دخل علينا فيه، وشهدته يوم مات، فما رأيت كان أقبح ولا أظلم من يوم مات فيه ﷺ.[(١)]

وعند خروج أبي بكر الصديق للهجرة حمل ماله كله، خمسة آلاف درهم أو تزيد فدخل والده أبو قحافة وكان عمي وذهب بصره، فقال لأسماء ابنة أبي بكر: إني لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه فقالت له: كلا يا أبت، إنه قد ترك لنا خيراً كثيراً، ووضعت حجارة في كوه من البيت ووضعت عليها ثوباً ووضعت يده عليها، فقال لا بأس، وكانت الفضة في ذلك الزمن كتلاً كالحجارة توزن ولا تعد.[(٢)] وسكت الشيخ وكان لم يسلم بعد، حيث كان إسلامه عام الفتح.[(٣)]

كانت بنات أبي بكر من المساهمات في رحلة الهجرة، فقد ورد عن أسماء (رضي الله عنها) قالت: جهزت سفرة النبي ﷺ في بيت أبي بكر حين أراد أن يهاجر إلى

(١) انظر: ابن أبي شيبه، المغازي، ص ١٥٤؛ محمد أبو شهبة، السيرة النبوية، ج١/٤٨٢.
(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص : ٤٥٢.
(٣) ابن حجر، الإصابة، ج٢/٤٦١.

المدينــة، فلــم نجــد لســفرته ولا ســقائه مــا نربطهمــا بــه، فقلـت لأبـي بكـر: والله مـا أجـد شـيئاً اربطـه بـه إلا نطـاقي قالــت: فقــال: شــقيه بــاثنين فــاربطي بواحــد الســقاء وبالآخر السفرة، فلذلك سميت ذات الناطقين.(١)

وقـد تعرضـت أسمـاء نفسـها لـلأذى مـن مشـركي مكـة بعــد خــروج الرســول ﷺ للــهجرة، تقــول أسمــاء: ((لمــا خـرج رسـول الله ﷺ أتانـا نفـر مـن قـريش فـيهم أبـو جهـل بـن هشــام، فوقفــوا علــى بــاب أبــي بكــر، فخرجــت إلــيهم فقـالوا: أيـن أبـوك يـا بنـت أبـي بكـر؟ قالـت: قلـت لا أدري والله أيــن أبــي؟ قالــت فرفــع أبــو جهــل يــده وكــان فاحشــاً خبيثاً فلطم خدي لطمة طرح منها قرطي)).(٢)

وكانـت أسمـاء بنـت أبـي بكـر زوجـة الـزبير بـن العـوام هــاجرت إلى المدينــة ﷺ بعــد الرســول وأبيهــا ((وهــي حبلــى بعبـد الله بـن الـزبير ﷺ فوضـعته في قُبـاء، فلـم ترضـعه حتـى أتــت بــه الــنبي ﷺ فأخــذه فوضــعه في حجــره، فطلبــوا تمــراً ليحنكـوه حتـى وجـدوها فحنكوهـا فكـان أول شـيء دخـل

(١) ابـن أبي شـيبه، ص ١٤٤؛ ورواه البخـاري في صـحيحه، بـاب هجـرة النـبي ﷺ وأصحابه، ج٤/٢٥٨.

(٢) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٤٨٧.

بطنه ريق رسول الله ﷺ وسماه عبد الله)). [(١)]

كما كان عبد الله بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه يختلف بالطعام لرسول الله ﷺ ولوالده الصديق وهم في الغار، [(٢)] قبل أخذهما طريق المدينة، كما كان يأتيهما بالأخبار.

كما كان عامر بن فهيرة مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنه يروح عليهم بغنم الصديق ليأخذوا من حليبها، وقد صحب الرسول والصديق في رحلة الهجرة. [(٣)]

علي رضي الله عنه وفداؤه للرسول ﷺ وأداء أماناته:

حينما تشاورت قريش ليلة الهجرة فيما يفعلونه برسول الله ﷺ واتفقوا على قتله مجتمعين أطلع الله نبيه على ذلك، وأمره جبريل أن لا يبيت على فراشه، فدعا ﷺ علياً بن أبي طالب رضي الله عنه وأمره أن يبيت على فراشه، وتسجى علي رضي الله عنه ببرده الأخضر، وخرج النبي ﷺ على القوم وهم عند الباب فلم يروه، وأعمى

---

(١) ابن أبي شيبه، المغازي، ص ١٥٢؛ ورواه البخاري في صحيحه، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه، ج٤/٢٥٩.

(٢) ابن أبي شيبة، المغازي،ص ١٥٠. ورواه البخاري في صحيحه، (٢٥٦/٤).

(٣) ابن أبي شيبة، المغازي،ص ١٥٠.

الله أبصارهم عنه فأخذ حفنة من تراب وضعها على رؤوسهم وهو يقرا من سورة يس ﴿ يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ۝٦ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩ ﴾ [يس].

وقد بقي المشركون يرقبون بيت النبي ﷺ، وكان بعضهم يرى الفراش وعلي رضي الله عنه فيه مسجى، فيظنونه النبي ﷺ وينتظرون، مما أعطى النبي ﷺ فرصة للخروج مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى الغار.[1]

و هذا العمل البطولي من علي رضي الله عنه واستعداده لفداء الرسول ﷺ يأتي ضمن أعمال جليلة وعظيمة قام بها ابن عم رسول الله ﷺ وصهره المبشر بالجنة للنبي ودعوته، وهو الذي تربى على الإيمان في بيت رسول الله ﷺ. وقد تضافرت جهود علي مع جهود أبي بكر وأهله لخدمة

---

(١) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٤٨٢.

الرســـول ﷺ في الهجـــرة، وأكمـــل بعضـــها بعضـــاً. ولا تنــاقض في ذلــك فهــو تكامــل وتنــافس في عمــل الخــير، ومحبة الرسول ﷺ وخدمته وحمايته.

وقـد تـأخر علـي ﷺ عـن الهجـرة قلـيلاً بـأمر مـن الرسـول ﷺ يـؤدي الأمانـات والودائـع الـتي كانـت عنـد رسـول الله ﷺ لقـريش، بمـن فـيهم المشـركون، وكـان علـي ﷺ أهـلاً لأداء الأمانـــة ومحـــل ثقـــة رســـول الله ﷺ، [١] والمـــؤمنين والناس جميعاً.

وقـد بقـي علـي ﷺ ثلاثـة أيـام بعـد رسـول الله ﷺ في مكـة أدى فيها الأمانات ثم لحق برسول الله ﷺ في المدينة.[٢]

ويتضــح أن قريشــاً لا تشــك في أمانــة الرســول ﷺ وتثــق بـه علـى أموالهـا، وكـان ﷺ أمينـاً حـق أمـين، رغـم ظـروف خروجـه المفاجئـة للـهجرة، ورغـم عـدائهم لـه ومحـاولتهم قتلـه وصـاحبه. فقـد أدى أمانـاتهم ﷺ وأختـار اقـرب النـاس إليه وأوثقهم عنده للمهمة.

---

(١) انظر: ابن هشام ، السيرة النبوية، ج١/٤٨٢.

(٢) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٤٩٣.

الطريق إلى المدينة.[١]

مكث رسول الله ﷺ وأبو بكر الصديق ثلاثة أيام في غار حراء في جبل ثور جنوب غرب مكة عكس اتجاه الطريق إلى المدينة زيادة في السرية وبعيداً عن الطلب.

وقد جعلت قريشاً جائزة مقدارها مائة من الإبل لمن يأتي برسول الله ﷺ حياً أو ميتاً،[٢] مما دفع الكثيرين للبحث عن رسول الله ﷺ بجدية تامة في كل اتجاه وطريق قريباً من مكة.

ومع وصول المشركين إلى الغار أكثر من مرة فإن الله حمى نبيه ﷺ.

فلما هدأ بحثُ المشركين وطلبهم خرج رسول الله ﷺ ليلاً من الغار، ومعه أبو بكر الصديق والتقيا بعبد الله بن أُريقط دليلهما ومعه الراحلتين، فسلك بهما الطريق من أسفل مكة ثم عارض بهما الساحل، ثم مر بهما

---

(١) انظر: حديث عائشة المطول عند البخاري، وهو أكثر الأحاديث تفصيلاً عن الهجرة برواية عروة بن الزبير، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدية، ج٤/٢٥٤ - ٢٥٨.

(٢) انظر: صحيح البخاري، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه، ج٤/٢٥٦؛ أكرم العُمري، صحيح السيرة، ج /٢١١.

علـى مجـازات وطـرق وأوديـة مـا كـان النـاس يسـلكونها إلى المدينـة ،[١] زيـادة في التعميـة علـى المطـاردين. ومـا كانـت تلـك المسـالك مظـان أن يعبرهـا المسـافر العـادي ، وكـان رسـول الله ﷺ مسـتخفياً ، ولـذلك اسـتأجر مـع أبـي بكـر هـذا الخـبير بـالطريق الخريـت ، كمـا وصـفته أم المـؤمنين عائشـة (رضـي الله عنهـا).[٢] وفي الطريـق حـدثت لهـم عـدة حـوادث ، ومنهـا مـا رواه أبـو بكـر قـال : أخـذنا علينـا بالرصـد فخرجنـا لـيلاً فأحيينـا ليلتنـا ويومنـا حتـى قـام قـائم الظهيرة.[٣]

مـن القصـص المشـهورة في طريـق رحلـة الهجـرة قصـة أم معبـد صـاحبة الخيمـة الـتي مـر بهـا الرسـول ﷺ. وقـد ضـعف أكـرم العُمـري معظـم الطـرق والتفصـيلات الـواردة في القصـة ، سـوى طريـق واحـد مختصـر جـاء في روايتـه ((ولمـا انطلـق رسـول الله ﷺ وأبـو بكـر يسـتخفيان ، نـزلا بـأم معبـد

---

(١) أُلفـت عـدة أبحـاث ودراسـات ووقعـت عـدة خـرائط عـن الطريـق الـتي سلكها الرسول ﷺ في هجرته إلى المدينة .

(٢) انظر: حديث البخاري الوارد في الهجرة من هذا الكتاب.

(٣) مـن روايـة البخـاري في صـحيحه، حـديث رقـم: ٣٩١٧، وانظـر: ج٤/٢٦٢.

فقالت: والله مالنا شاه وإن شياهنا لحوامل فما بقى لنا لبن فقال رسول الله ﷺ: - أحسبه- فما تلك الشاة؟ فأتي بها فدعا رسول الله ﷺ بالبركة عليها ثم حلب عساً فسقاه، ثم شربوا فقال: أنت الذي يزعم قريش أنك صابئ؟ قال: إنهم ليقولون قال أشهد أن ما جئت به حق، ثم قال اتبعك؟ قال: لا حتى تسمع أنا قد ظهرنا)).[١]

وللروايات تفصيلات أخرى،[٢] وقد جاء لها شواهد من أبيات شعرية سمعت بمكة أوردها ابن اسحق وفيها:

جزى الله رب الناس خير جزائه

رفيقين حلاَّ خيمتي أم معبد

هما نزلا بالبر ثم تروحـــا

فافلح من أمسى رفيق محمد

ليهن بني كعب مكان فتاتــهم

(١) انظر: د. أكرم العُمري، السيرة الصحيحة، ج١/٢١٤. وانظر: تخريجه للرواية التي رجح صحتها في نفس الموضع.

(٢) انظر لمزيد من التفصيلات، الصلابي، السيرة النبوية، ج١/٥٠٨، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٣/١٨٨.

ومقعدها للمؤمنين بمرصد

وأم معبد بنت كعب من خزاعة.[1]

كما أن من أشهر القصص الواردة في طريق الرسول ﷺ إلى المدينة قصة سراقة بن مالك رضي الله عنه التي وردت بعدة طرق عند البخاري وغيره، ومن أكثرها تفصيلاً ما ورد برواية عبد الرحمن بن مالك المدلجي وهو ابن أخي سراقة بن مالك بن جعشم أن أباه أخبره أنه سمع سراقة بن جعشم يقول: "جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله ﷺ وأبي بكر دية كل واحد منهما من قتله، أو أسره، فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال: يا سراقة إني قد رأيت آنفاً أسودة بالساحل أراها محمدا وأصحابه، قال سراقة: فعرفت أنهم هم فقلت له: إنهم ليسوا بهم، ولكنك رأيت فلانا وفلانا انطلقوا بأعيننا، ثم لبثت في المجلس ساعة ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتي أن تخرج بفرسي وهي من وراء أكمة فتحبسها علي، وأخذت رمحي فخرجت

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٣٣٨.

به من ظهر البيت فحططت بزجه الأرض وخفضت عاليه، حتى أتيت فرسي فركبتها فرفعتها تقرب بي حتى دنوت منهم فعثرت بي فرسي فخررت عنها فقمت، فأهويت يدي إلى كنانتي فاستخرجت منها الأزلام، فاستقسمت بها أضرهم أم لا فخرج الذي أكره، فركبت فرسي وعصيت الأزلام تقرب بي حتى إذا سمعت قراءة رسول الله ﷺ وهو لا يلتفت، وأبو بكر يكثر الالتفات ساخت يدا فرسي في الأرض حتى بلغتا الركبتين فخررت عنها، ثم زجرتها فنهضت، فلم تكد تخرج يديها، فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها عثان ساطع في السماء مثل الدخان، فاستقسمت بالأزلام فخرج الذي أكره، فناديتهم بالأمان، فوقفوا فركبت فرسي حتى جئتهم ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم، أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ فقلت له: إن قومك قد جعلوا فيك الدية وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم، وعرضت عليهم الزاد والمتاع، فلم يرزآني ولم يسألاني إلا أن قال أخف عنا، فسألته أن يكتب لي كتاب أمان، فأمر عامر بن فهيرة فكتب في

رقعة من أديم ثم مضى رسول الله ﷺ "[١].

وقد ورد ما يفيد أن الرسول ﷺ أخبره بسقوط ملك كسرى وأنه سيلبس سواريه[٢].

وتؤكد الروايات وفاء سراقة بما طلب منه الرسول ﷺ، وأنه قام بصرف بعض الباحثين عن النبي ﷺ عن المكان الذي يسير فيه.[٣]

إن الإنسان ليعجب أن تأتي هذه البشارة بسواري كسرى في وقت كان الرسول ﷺ مطارداً من المشركين مطلوباً منهم حياً أو ميتاً، حيث جعلت أعظم الجوائز لمن يأتي به.

ومع ذلك فهو يحدث سراقة عن فتح فارس بلاد كسرى، وأن هذا الإعرابي سيلبس سوراي كسرى التي ما كان يجرؤ الأعراب على مشاهدتها بأعينهم أو الوصول إلى المدائن عاصمة كسرى التي تحتضنها،

(١) انظر: رواية البخاري في صحيحه، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه، ج٤/٢٥٦؛ وابن أبي شيبه، المغازي، ص: ١٤٦.
(٢) انظر: ابن حجر، الإصابة ج٢/ ١٩.
(٣) انظر: رواية البخاري في صحيحه، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه، ج٤/٢٥٧؛ وابن أبي شيبه، المغازي، ص: ١٤٦.

فكيف براعي الإبل هذا يلبسها. وقد قابل سراقة رسول الله ﷺ مرجعه من حنين والطائف في الجعرانة فأطلعه على الكتاب، فيقول رسول الله ﷺ : اليوم يوم بر ووفاء أدنُ فدنا من الرسول ﷺ وأسلم.(١)

وقد حدث بالفعل ما أخبر به ﷺ، فكانت معجزة ضمن عدد من المعجزات النبوية. ففي خلافة عمر رضي الله عنه فتحت المدائن وأتي بالغنائم وفيها سوارا كسرى وتاجه وبساطه وجواهره الغالية.

ويتذكر عمر رضي الله عنه الوعد النبوي ويستدعي سراقة بن مالك وفي مسجد رسول الله ﷺ فيلبسه سواري كسرى، ويقول له قل: ((الله أكبر الحمد لله الذي سلبها كسرى بن هرمز والبسهما سراقة بن جعشم أعرابياً من بني مدلج)).(٢)

ورفع بها عمر صوته، ثم أُركب سراقة وطيف به أسواق المدينة والناس حوله، وهو يكبر ويردد قول

---

(١) البيهقي، دلائل النبوة، ٤٨٩/٢، ابن حجر، الإصابة، ج١٩/٢.

(٢) انظر: بن حجر، الإصابة، ج١٩/٢، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٦٨/٧.

عمـر، حتـى شـهد أهـل المدينـة تلـك المعجـزة تتحقـق بعـد قرابة خمسة عشر عاماً من وعد رسول الله ﷺ لسراقة.

ومـن الأحـداث الأخـرى في الطريـق إلى المدينـة أن ركبـاً مـن المسلمين كـانوا في طـريقهم مـن الشـام ومعهـم الـزبير بـن العـوام ﷺ لقـوا رسـول الله ﷺ فكسـا الـزبير ﷺ رسـول الله ﷺ وأبا بكر ثياباً بيضاً.[١]

ومـن المعـروف أن الـزبير متـزوج مـن أسمـاء بنـت أبـي بكـر. وقـد خـدمت رسـول الله ﷺ في إعـداد مـا يحتاجـه للرحلـة كمـا أنـه ابـن لصـفية عمـة رسـول الله ﷺ. وقـد أسـلم مبكـراً كمـا ورد أن طلحـة بـن عبيـد الله لقيهـا أيضـاً وهـو عائد من الشام فكساهما.[٢] ولعله كان في نفس القافلة.

كمـا ورد أن رسـول الله مـر ﷺ بإبـل لرجـل أسـلمي بالجحفـة وفيهـا غـلام راعٍ فقـال لمـن هـذه؟ قـال الغـلام: لرجـل مـن أسـلم، فالتفـت إلى أبـي بكـر وقـال: ((سـلمت إن شـاء الله))، ثـم قـال لـه: مـا اسمـك قـال: مسـعود، فالتفـت ﷺ إلى أبـي بكـر وقـال: ((سـعدت إن شـاء الله)).

---

(١) صحيح البخاري، ابن حجر، فتح الباري، ج٧/١٩٣٦.

(٢) انظر: ابن أبي شيبه، المغازي، ص ١٥٢.

(١) وكان ﷺ يحب التفاؤل.(٢)

وقد ورد أن الرسول ﷺ حين وصل الجحفة(٣) أدركه الحنين إلى مكة والشوق لها، فأنزل الله عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾﴾ [القصص].

قال ابن عباس: إلى مكة.(٤)

فمكة هي التي اعتادها الرسول النبي ﷺ واشتاق لها سريعاً. وهذه بشارة مبكرة بفتح مكة، كان خروج الرسول ﷺ من مكة مؤقتاً؛ حيث سيعود بإذن الله فاتحاً منتصراً، بعد أن يُخزي الله الكافرين، الذين منعوه من نشر الإسلام فيها، وأنا اكتب هذه الأحرف في ساحة الحرم المكي الشريف أواخر شهر جمادى الآخرة

(١) انظر: محمد أبو شهبة، السيرة النبوية، ج١/٤٩٥.

(٢) انظر: ابن كثير، السيرة النبوية، ج٢/٢٥٦.

(٣) الجُحفة: قرية بين مكة والمدينة، وهي ميقات أهل مصر. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢/١١١.(بالقرب من رابغ حالياً شمال جدة)

(٤) صحيح البخاري، حديث: ٤٧٧٣، باب إن الذي فرض عليك القرآن، ج٥/١٨؛ وابن كثير، تفسيره، ج٢/١٤٢٧.

١٤٣١هـ في هذه اللحظات أتذكر صدق ما وعد الله، وكيف علا ذكر الرسول ﷺ وأصبح ذكر المعاندين له شر ذكر، وساحة الحرم غاصة بالموحدين أتباع محمد ﷺ يرفع اسمه بعد ذكر الله في الأذان والإقامة، ويصلِّى عليه في كل مكان في الحرم وغيره، وتبقى قلوب المسلمين معلقة برسوله ﷺ بعد الله، مبغضة لكل من عاداه من قريش لاعنة لهم ولمن سار على طريقهم في عداء الرسول ﷺ إلى يوم الدين..

الوصول إلى المدينة.

وصل المهاجرون والأنصار في المدينة خبر خُروج الرسول ﷺ (فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرة فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة، فانقلبوا يوماً بعد ما طال انتظارهم، فلما أووا إلى بيوتهم، أطل رجل من يهود على أطم من آطامهم لأمر ينظر إليه، فبصر برسول الله ﷺ وأبي بكر مبيضين يزول بهم السراب، فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته: يا معشر العرب هذا جدكم الذي تنتظرون، فثار المسلمون إلى السلاح فتلقوا رسول الله ﷺ فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف، وذلك يوم الاثنين الثامن من شهر

ربيـع الأول[١] الموافـق ٢١ سـبتمبر سـنة ٦٢٢م[٢]، فقـام أبـو بكـر للنـاس وجلـس رسـول الله ﷺ حتـى أصـابته الشـمس، فأقبـل أبـو بكـر حتـى ظلـل عليـه بردائـه، فعـرف النـاس رسـول الله ﷺ عنـد ذلـك.[٣] وقـد ذكـرت بعـض الروايـات أن الـذين اسـتقبلوا رسـول الله ﷺ عنـد دخـول المدينـة كـانوا خمسـمائة مـن الأنصـار،[٤] وبالتـالي فـإن الـذين حضـروا إلى قبـاء بعـد وصـول الرسـول ﷺ للقائـه ربمـا كـانوا نفـس العـدد أو قريبـاً مـن ذلـك، مـع أعـداد أخـرى مـن المهـاجرين قـد لا يقلـون عـن المائـة، كمـا تفيـد الروايـات. وقـد بايعـه المهـاجرون عنـد ذلـك يستشـعرون الخطـر والتهديـد الـذي يحـيط بالرسـول ﷺ مـن أعدائـه، وبالتـالي فهـم مسـتعدون لحمايتـه وطاعتـه والتضـحية لأجلـه، وقـد بايعـه الأنصـار مـرة أخـرى بعـد وصـوله

(١) انظـر: روايـة البخـاري في صـحيحه، كتـاب المغـازي، بـاب هجـرة النـبي ﷺوأصـحابه إلى المدينـة، ج٤/٢٥٨؛ ومهـدي رزق الله، السـيرة النبويـة، في ضوء المصادر الأصلية، (١/٣٣٦).

(٢) انظر: الترمانيني؛ أزمنة التاريخ الإسلامي، ص١٥

(٣) مـن روايـة البخـاري، بـاب هجـرة النـبي ﷺ وأصـحابه، ج٤/٢٥٨؛ واللفـظ له. وانظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٣٤٣.

(٤) د. أكرم العُمري، السيرة الصحيحة، ج١/٢١٨.

المدينة، كما تفيد رواية البخاري عن ابن عمر رضي الله عنه.[١]

وفي رواية أخرى عن أنس بن مالك في البخاري من أفضل ما في هذا الأمر قال: ((لما قدم رسول الله ﷺ المدينة نزل في علو المدينة في حي يقال لهم بنو عمرو بن عوف، قال: فأقام فيها أربع عشرة ليلة، ثم أرسل إلى بني النجار قال فجاءوا متقلدي سيوفهم، قال: وكأني انظر إلى رسول الله ﷺ على راحلته وأبو بكر ردفه وملأ بني النجار حوله)).[٢]

وقد كان نزول رسول الله ﷺ في قباء على كلثوم بن الهدم من بني عمر بن عوف، وعلى سعد بن خيثمة، وكان يستقبل الناس في منزل سعد، وهو مكان لسكنى عدد من العزاب من المهاجرين رضي الله عنهم.[٣]

لقد كان وصول الرسول ﷺ إلى قباء في المدينة يوماً مميزاً اتخذه المسلمون بداية للتاريخ الهجري لما يرون من

(١) انظر: حديث البخاري، رقم: ٣٩١٦.

(٢) من رواية البخاري، حديث رقم: ٣٩٣٢.

(٣) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٣٤٣.

أهميته.[(١)]

وقد رود ذكر هذا اليوم بذاته في القرآن الكريم مربوطاً بالحديث عن بناء مسجد قباء في قوله تعالى: ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[التوبة].

إنه إشارة إلى هذا اليوم بذاته. ولعل ذلك من أسباب اتخاذ المسلمين للتاريخ الهجري، حيث ذكروا أن القرآن الكريم أشار إلى هذا اليوم بذاته، ولذلك رأوا اتخاذ التاريخ الهجري، ورجحوه على غيره من الآراء، كما قال عمر: الهجرة فرقت بين الحق والباطل، فارضوا بها،[(٢)] ولذلك رأى الصحابة أنه أول الزمن الذي عز فيه الإسلام.

---

(١) انظر: عمر بن شبه، تاريخ المدينة، ج٢/٧٥٨؛ وانظر : باب التاريخ من أين رخوا التاريخ، عند البخاري في صحيحه، (٦٧/٤).

(٢) صحيح البخاري، باب٠التاريخ من أين أرخوا التاريخ في كتاب مناقب الأنصار، ج٤/٢٦٧؛ انظر: البداية والنهاية، ج٢/٢٥٣؛ وعمر بن شبه، تاريخ المدينة، ج٢/٧٥٨.

بقـي ﷺ في قبـاء أقـام (أربـع عشـرة ليلـة)، [١] قـام فيهـا بـبعض الأعمـال، كـان أهمهـا بنـاء مسـجد قبـاء _كمـا ذكرنـا_، وهـو أول مسـجد بـني في الإسـلام، شـارك في ذلـك رسـول الله ﷺ بنفسـه. ولا شـك أن رسـول الله ﷺ صـلى بالمسـلمين فيـه. وكـان ﷺ يحـث علـى الصـلاة فيـه فقال: ((صلاة في مسجد قباء كعمرة)). [٢]

ولا يعـني ربـط مسـجد قبـاء بهـذه الآيـة تفضـيله علـى مسـجد الـنبي ﷺ، فكلاهمـا أسـس علـى التقـوى، ومسـجد قبـاء هـو المعـني بهـذه الآيـة، وصـفات المطهـرين وردت في أحاديـث كـثيرة عـن أهـل قبـاء مـن الأنصـار وأنهم كانوا يتبعون الحجارة بالماء في الطهارة. [٣]

وقد وردت تفصيلات أكثر عن بناء مسجد قباء [٤].

ولا شـك أن اهتمـام الرسـول ﷺ ببنـاء المسـجد في قبـاء

---

(١) مـن روايـة البخـاري، في بـاب مقـدم النـبي ﷺ وأصـحابه المدينـة، ج٤/٢٦٦.

(٢) متفق عليه، انظر: تفسير ابن كثير، ج١/٩٠٨.

(٣) انظر: بحث مطول عن الموضوع عند ابن كثير في تفسيره، ج١/٩٠٨.

(٤) انظـر:،ابن هشـام، السـيرة النبويـة، ج٢/٢٩٤، السـهيلي، الـروض الأنـف، ج٢/٢٤٢.

وبعد ذلك مسجده في المدينة يدل على مكانة المساجد عند رسول الله ﷺ بأمر الله سبحانه وتعالى، وهي مخصصة لعبادة الله وحده: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الجن]. فلا فسوق فيها ولا بيع ولا شراء، ولا اعتداء، وإنما هي لذكر الله والصلاة وقراءة القرآن، ولذلك صارت تؤدي خدمات تعليمية وسياسية وإدارية في عصر الرسول ﷺ تربط العباد بالله سبحانه وتعالى، وتزيد تعاونهم على البر والتقوى يجتمع فيها المسلمون للصلاة والتآلف والمحبة،[١] ولذلك فأول عمل قام به رسول الله ﷺ في قباء بناء مسجدها، لم يبن داراً أو قصراً أو شأناً دنيوياً، وإنما بني لله مسجداً.

وقد صلى رسول الله ﷺ أول جمعة في بني سالم بن عوف قبل وصوله إلى المدينة وكانت أول جمعة في الإسلام.[٢]، ولا يزال المسجد حيث صلى ﷺ مشهوراً

(١) انظر: د. عبدالعزيز اللميلم، رسالة المسجد في الإسلام، منيرة عبدالملك بن دهيش، دور المسجد في القرن الأول الهجري، محمود شيت خطاب الوسيط في رسالة المسجد في الإسلام.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ١/٤٩٣؛ ابن كثير، السيرة النبوية،

في المدينة وهو أحد معالمها الرئيسية[١].

لم يكن بنو النجار وحدهم في الركب والحماية وإظهار القوة مع الرسول ﷺ بل كان بقية الأنصار والمهاجرين في الموكب المهيب، الذي تجاوز عدده الخمسمائة رجل.[٢]

كان الوصول للمدينة بداية استقرار للرسول ﷺ ومن معه من المهاجرين، وبداية فرح وسرور ونور لأهلها الذين دخل الإسلام معظم بيوتهم، وقد خرج أهل المدينة حتى إن العواتق فوق البيوت يتراءين يقلن أيهم محمد فما رأين منظراً شبيهاً به.

وقد خرجت جواري بني النجار يرحبن برسول الله ﷺ مرددات:

نحن جوار من بني النجار   يا حبذا محمد من جار

ج٢/٢٧١؛ مهدي رزق، السيرة النبوية، في ضوء المصادر الأصلية، ص ٢٨٦.

(١) انظر: عبدالعزيز كعكي، المجموعة المصورة لأشهر معالم المدينة المنورة، ج١/١٤٨

(٢) رواه أحمد في مسندة، انظر: محمد أبو شهبة، السيرة النبوية، ج٢/٢٥؛ ومهدي رزق الله، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص : ٢٨٥.

وروي انـه قـال أتحبيـنني؟ فقلـن: أي والله قـال: ((وأنـا والله أحبكم)).[(١)]

إنـه الحنـو الحقيقـي والـود الصـادق للـنبي ﷺ مـن الأنصـار صـغاراً وكبـاراً، ظهـر فـرحهم حـين قـدم المدينـة في الطـرق وعلـى البيـوت والغلمـان والخـدم: ((يقولـون الله اكـبر جـاء رسول الله، الله أكبر جاء رسول الله)).[(٢)]

وفي روايـة أنـه عنـدما دخـل رسـول الله ﷺ المدينـة صـعد الرجـال والنسـاء فـوق البيـوت وتفـرق الغلمـان والخـدم في الطـرق ينـادون: " يـا محمـد يـا رسـول الله يـا محمـد يـا رسـول الله".[(٣)]

وبعضهم يردد: (جاء نبي الله جاء نبي الله).[(٤)]

وقـد شـهد الـبراء بـن عـازب_ وهـو مـن علمـان الأنصـار_ دخـول الـنبي للمدينـة فنقـل مشـاعر أهلـها

---

(١) ابـن حجـر، فـتح البـاري، ج١٥/١٢٥؛ وانظـر: مهـدي رزق الله، السـيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص ٢٨٦.

(٢) أبو شهبة السيرة النبوية، ج٢/٢٥.

(٣) صـحيح مسـلم، كتـاب الزهـد والرقـائق، بـاب حـديث الهجـرة، ج٤/٢٣١١.

(٤) صحيح البخاري، باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه، ج٤/٢٦٤.

بقولـه: (مـا رأيـت أهـل المدينـة فرحـوا بشـيء فـرحهم برسـول الله ﷺ)[١] وحـين دخـول الرسـول ﷺ المدينـة تنـافس الأنصـار ﷺ في استضـافته ونزولـه عنـدهم، كـل يريـد شـرف نزولـه ﷺ عنـده، فيسـتوقفونه ويطلبـون أن ينـزل بيـنهم، وكـل يبـدي رغبتـه وقدرتـه علـى إكرامـه والـدفاع عنـه ﷺ، فيقولـون: هلـم إلى العـدد والعـدة والسـلاح والمنعـة، يريـد كـل مـنهم أن يأخـذ بخطـام ناقـة الرسـول ﷺ. فيقـول: دعوهـا فإنهـا مـأمورة، ودارت الناقـة عـدة مـرات حتـى بركـت في موضـع مسـجده ﷺ وكـان مربـداً لغلامـين مـن بـني النجـار، وكـان بعـض الصـحابة يصلي حوله قبل وصول رسول الله ﷺ.[٢]

ولكثـرة الـراغبين في استضـافة الرسـول ﷺ فقـد كـان محرجـاً يرغـب في إسـعاد الجميـع، وفي الوقـت نفسـه لديـه الرغبـة في النـزول علـى بـني النجـار أخـوال جـده عبـد المطلب.

فـإذا بـأبي أيـوب الأنصـاري ﷺ يبـادر بحمـل رحـل الـنبي

---

(١) ابن أبي شيبة، المغازي، ص ١٥٤؛ ابن القيم، زاد المعاد، ج٣/٥٥١.

(٢) مـن روايـة البخـاري، بـاب مقـدم النـبي ﷺ وأصـحابه، ج٤/٢٦٦؛ وانظـر: ابن كثير، السيرة النبوية، ج٢/٢٧٢.

ﷺ مـن علـى ناقتـه ويدخلـه داره فيقـول الرسـول ﷺ ((المـرء مع رحله)).[١]

ويبـادر اسـعد بـن زرارة فيأخـذ راحلـة الـنبي ﷺ، [٢] لقـد كانـت منافسـة في إكـرام واستضـافة أفضـل الخلـق ذهـب بهـا أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه.[٣]

المدينة وسكانها:

كانت المدينة في العصر الجاهلي تعرف بين العرب بـ(يثرب).[٤] وقد وردت في القرآن الكريم بهذا الاسم ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ ﴾ [الأحزاب].

وحينما جاء الرسول ﷺ إلى المدينة غير اسمها ليصبح المدينة

---

(١) انظـر: ابـن هشـام، السـيرة النبويـة، ج١/٤٩١؛ ابـن كثـير، السـيرة النبويـة، ج٢/٢٧٣.

(٢) انظـر: مهـدي رزق الله، السـيرة النبويـة في ضـوء المصـادر الأصـلية، ص ٢٨٧.

(٣) ابـن سـعد، السـيرة النبويـة مـن الطبقـات الكـبرى، ج١/٢٣٧؛ انظـر: ابـن كثير، السيرة النبوية، ج٢/٢٨٠.

(٤) انظر: بحث مطول عن الموضوع عن ابن كثير في تفسيره، ج١/٩٠٨.

وقد سميت بذلك في القرآن الكريم في قوله: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ [التوبة].وفي قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [التوبة].

وللمدينة المنورة أسماء مختلفة فهي طيبة وطابة والمباركة والمشرفة ودار الهجرة. وقد ألفت كتب خاصة عنها وعن ما ورد فيها و فضائلها.[١]

وقد شرفت بهجرة الرسول إليها ودعائه لها، ومنه قوله ﷺ: ((اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو

(١) انظر: الأحاديث الواردة في فضائل المدينة جمعاً ودراسة، د. صالح بن حامد الرفاعي، مركز خدمة السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة، ط١، ١٤١٣هـ.

أشد)).[١]

وقوله ﷺ: ((اللهم بارك لنا في ثمرنا وفي مدينتنا وبارك لنا في صاعنا وبارك لنا في مدنا، اللهم إن إبراهيم عبدك وخليلك ونبيك وإني عبدك ونبيك وإنه دعاك لمكة وإني أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك لمكة ومثله معه)).[٢]وقد أحبها الرسول ﷺ وجعل لها ﷺ حرمة وحِمى، فقد روى البخاري عن انس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((المدينة حرم من كذا إلى كذا لا يقطع شجرها ولا يحدث فيها حدث، من أحدث فيها حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين)).[٣]

وكما قال ﷺ: ((حُرِّمّ ما بين لا بتي المدينة على لساني)).[٤] وقد وضع البخاري في صحيحه كتاباً سماه: "فضائل المدينة".[٥]

(١) البخاري، كتاب فضائل المدينة. ج٢/٢٢٠

(٢) مسلم، كتاب الحج، فضائل المدينة، ج٢/١٠.

(٣) صحيح البخاري، كتاب فضائل المدينة، حديث رقم: ١٨٦٧.

(٤) صحيح البخاري، حديث رقم: ١٨٦٩.).

(٥) انظر: صحيح البخاري، باب فضائل المدينة وأنها تنفي الناس، كتاب فضائل المدينة، (٢/٢٢٠).

اكتسبت المدينة المنورة صفة عاصمة الدولة الإسلامية منذ سكنها رسول الله ﷺ، واستمر ذلك في عصر خلفائه الراشدين، فصارت أعظم المدن تأثيراً على العالم قاطبة خلال تلك الفترة وما بعدها، وربما إلى يومنا الحاضر بما تنزل فيها من قرآن وسنة، ووجد من تنظيم وريادة حتى أصبح القرآن إما مدني نسبة إليها أو مكي نسبة إلى مكة.

وتقع المدينة شمال مكة بحوالي (٤٠٠) كلم باتجاه (الشام). وهي منطقة تكثر بها الحرات البركانية، ويوجد بها العديد من الأودية، وتقوم على الزراعة بالدرجة الأولى في العصر النبوي، وتشتهر بنخيلها وأنواعه المختلفة ويقيم بها عدد من قبائل العرب، إضافة إلى يهود وبعض الأخلاط، كان بها حركة تجارية معقولة في تلك الفترة.[1] وهي على طريق تجارة قريش إلى الشام، واهُم سكانها حين قدم الرسول ﷺ إليها هم الأوس والخزرج، وهي قبائل عربية متحضرة من الأزد اليمانية،[2] لهم صلاتهم القوية ببعض القبائل العربية

(١) انظر : عبدالعزيز العُمري، الحرف والصناعات في الحجاز في العصر النبوي، ص٢٠ .

(٢) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج١/٣١١. وابن قتيبة، المعارف،

المجـاورة. وتمتـد تلـك الصـلات إلى غساسـنة الشـام ومنـاذرة الحيرة.(١)

ويقـــيم الأوس والخـــزرج في تجمعـــات ســـكنية تشـــكل بطون هذه القبائل.(٢)

ويســـود الســـلام في الغالـــب علاقـــات هـــاتين القبيلـــتين، كمـــا توجـــد مصـــاهرات بينهمـــا، غـــير أنـــه وجـــدت بينهمـــا الحـــروب أحيانـــاً كيـــوم "بُعـــاث" المشـــهور بينهـــا، الـــذي روى فيـــه البخـــاري عـــن أم المـــؤمنين عائشـــة (رضـــي الله عنهـــا) قالـــت: " كـــان يـــوم بُعـــاث يومـــاً قدمـــه الله عـــز وجـــل لرســـوله وقد افترق ملؤهم وقتلت سراتهم".(٣)

كمـــا أن مـــن أهـــم العناصـــر الســـكانية في المدينـــة المنـــورة حـــين قـــدمها الرســـول ﷺ تجمعـــات وقبائـــل يهوديـــة، لا تقـــل قـــوة ونفـــوذاً عـــن الأوس والخـــزرج، وقـــد تكـــون أقـــوى مـــن الناحيـــة الاقتصـــادية والعلميـــة، حـــاورهم الرســـول ﷺ

ص١٠٩.

(١) انظر : محمد العيد الخطراوي، المدينة في العصر الجاهلي، ص ٢١٨.

(٢) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، (٣١١/١).

(٣) صحيح البخاري، باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة، ج٤/٢٦٥.

وناقشهم بأحسن الأساليب وأرقاها[١].

وأشهر قبائل اليهود في المدينة.

بنو قينقاع.

وهم من أوائل اليهود الذين سكنوا الحجاز، وكانوا يقيمون في المدينة المنورة يحالفون الأوس والخزرج، وكانت لهم حصون وأراض يزرعونها فكانوا يسكنون قرب وادي (بطحان)، [٢] وهو من أخصب أودية المدينة المنورة، ولهم فيه مزارع وحصون كثيرة.

وكانوا يملكون أشهر سوق تجاري في المدينة قبيل الهجرة النبوية، ويسمى(سوق بني قينقاع)، [٣] وكانوا يسيطرون عليه، وهناك أفراد من هذه القبيلة يعملون بالتجارة، وبعضهم يعمل بمهنة الصياغة وبعض

---

(١) انظر: الحمد، محمد إبراهيم، الحوار في السيرة النبوية، وزارة الأوقاف، الكويت، ١٤٢٩هـ. ص١٨٧.

(٢) وادي متوسط ينحدر من الجهة الجنوبية، ويصب في وادي العقيق ناحية زغابة . انظر: أحمد ياسين الخياري، تاريخ ومعالم المدينة المنورة قديماً وحديثاً، ص ٢٨٣.

(٣) عمر بن شبه، تاريخ المدينة، ج١/٣٠٤؛ السمهودي، وفاء الوفاء، ج٤/١٢٣٨.

الصناعات اليدوية الأخرى، وآخرون يعملون بالزراعة.

وبنو قينقاع هم أول قبائل اليهود التي نازعت الرسول ﷺ في المدينة، ولذلك كانوا أول قوم من يهود أجلاهم الرسول ﷺ من المدينة المنورة، في السنة الثانية من الهجر، بسبب اعتداء أحدهم على إحدى نساء المسلمين وتوعدهم للرسول ﷺ.[١]

بنو النضير.

هي إحدى قبائل اليهود الذين سكنوا المدينة المنورة، وكانوا يقيمون في الجنوب الشرقي من المدينة على وادي (مذينيب).[٢] ويمتلكون عدة مزارع وحصون في المدينة، ومن أشهر حصونهم حصن: (كعب بن الأشرف) الرجل الذي آذى رسول الله ﷺ، فانتدب الرسول جماعة من المسلمين لقتله فقتلوه،[٣] وقد

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/٤٨؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ج٣/٦؛ د.عبدالعزيز العُمري، الحرف والصناعات في الحجار، ص ٣١؛ وانظر : غزوة بني قينقاع من هذا الكتاب.

(٢) مذينيب: مسيل يصب في وادي بطحان أحد روافد العقيق ناحية زغابة، انظر: أحمد الخياري، تاريخ معالم المدينة، ص ٢٨٥؛ السمهودي، وفاء الوفاء، ج٣/٧٦؛ إبراهيم العياشي، المدينة بين الماضي والحاضر، ص ٢٨.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/٥١.

حاول يهود بني النضير قتل الرسول ﷺ بإلقاء حجارة عليه من على أحد بيوتهم، حينما جاءهم يطلب منهم الاشتراك في دفع قتيلين قتلا خطأ، وذلك حسب معاهدة الرسول ﷺ معهم في الديات والتعاون مع اليهود في ذلك، فأرادوا قتله، فحاصرهم الرسول ﷺ، وأجلاهم عن المدينة، وغنم أموالهم ومزارعهم،[1] وقد أنزل الله تعالى فيهم آيات كثيرة من سورة الحشر منها قوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾ ﴾ [الحشر]،[2] وقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال عن سورة الحشر (سورة النضير).[3]

بنو قريظة.

إحدى القبائل اليهودية الرئيسية التي عاصرت الرسول ﷺ في المدينة، وكانت قد استقرت في المدينة قبل

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/١٩٢.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ج١/١٨٤٥؛ وانظر: صحيح البخاري، ج٥/٥٨.

(٣) من رواية البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب الحشر، ج٥/٥٨.

فترة طويلة، وامتلكت الحصون والمزارع وعملت بالتجارة والزراعة، وكانوا أهل ثروة كغيرهم من اليهود، اشتهروا بحصونهم المنيعة.

وكان يهود بني قريظة آخر اليهود في المدينة حرباً للرسول ﷺ، ففي غزوة الأحزاب كان المسلمون في المدينة محاصرين من قبل الأحزاب. واظهر بنو قريظة الغدر من داخل المدينة، ومالوا لحرب المسلمين مع الأحزاب، مما جعل المسلمين بين عدوين، عدو يحاصرهم من الخارج (قريش والأحزاب)، وعدو يهددهم من الداخل، (بنو قريظة)، فلما رحل الأحزاب عن المدينة حاصر الرسول ﷺ بني قريظة حتى نزلوا على حكم (سعد بن معاذ) الذي حكم بقتل الرجال وسبي النساء ومصادرة الأموال،[١] فانتهت بذلك آخر قبائل اليهود ذات الكيان المستقل في المدينة المنورة.[٢]

كان اليهود جزءاً من العرب في اللغة العامة ومعظم العادات، لكنهم يتعاملون بالعبرية فيما بينهم في

(١) انظر : غزوة بني قريضة من هذا الكتاب .

(٢) د. عبد العزيز العُمري، الحرف والصناعات في الحجاز، ص٣٢، ٣٣.

عباداتهم ومدارسهم حافظوا عليهما.[١]

يضاف إلى هذه العناصر الرئيسية مجموعة من الأفراد المجاورين والمحالفين من عرب ويهود وقد كثر المهاجرون من خارج المدينة مما أوجد مزيداً من التنوع في السكان.[٢]

كانت العصبية سائدة بين قبائل المدينة المختلفة، وكان بعضهم يحالف بعضاً وخصوصاً بين يهود والأوس والخزرج، وكانت الخلافات والنزاعات قائمة باستمرار بين هؤلاء السكان، ولذلك فإن الرسول ﷺ تعامل مع هذا الواقع بأفضل الصور ليحصل على أفضل النتائج ويؤسس لمجتمع مدني سِلمي يسع الجميع لمن أراد الحياة الكريمة، كما جعلت رابطة العقيدة بين المسلمين هي الأساس في الولاء، وفي الوقت نفسه مدت جسور التعايش والسلام مع بقية السكان بمَن فيهم يهود فيما عرف بعد ذلك بـ (وثيقة المدينة).[٣]

---

(١) إسرائيل ولفنسون، تاريخ اليهود في بلاد العرب، ص ٧٢.

(٢) د. أكرم العمري، المجمع المدني في عهد النبوة، خصائص وتنظيماته الأولى، ص٧٠.

(٣) الشعيبي، أحمد قائد، وثيقة المدينة المضمون والدلالة، كتاب الأمة العدد١١٠، وزارة الأوقاف، الدوحة، ١٤٢٦هـ ص٢٩.

النزول في دار أبي أيوب الأنصاري.

عندما حمل أبو أيوب الأنصاري رحل النبي ﷺ تشرف بسكنى الرسول ﷺ عنده قرابة تسعة أشهر نال أبو أيوب حظه من خدمة النبي ﷺ وغيره من الصحابة، وكانوا يتنافسون في بعث الطعام إلى النبي. وكان أبو أيوب في الوقت الذي يقدم فيه الطعام للرسول ﷺ، يأكل مع أهله ما تبقى من طعام النبي ﷺ، وإن كانوا هم الذين أعدوه ويلتمس موضوع أكل النبي ﷺ ليتبارك في موضع يده الشريفة.[١] وفي يوم من الأيام صنع للنبي ﷺ طعاماً فيه ثوم وبعثه إليه، فلما جيء به إليه: سأل عن موضع أصابع النبي ﷺ فقيل له: لم يأكل ففزع وصعد إليه فقال: أحرام هو؟ فقال النبي ﷺ: لا ولكني أكرهه، قال فإني أكره ما تكره.[٢] وكان النبي ﷺ تأتيه الملائكة ويقول: إني أناجي من لا تناجي، (وإن الملائكة

وسيرد لها مزيد من التفصيلات، في هذا الكتاب.

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٤٩٩؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ج٢/٢٧٧.

(٢) وانظر: ابن هشام، السيرة، ج٢/٤٩٩. وانظر رواية مسلم في صحيحه، كتاب المساجد، باب نهي من أكل ثوماً أو بصلاً أو كراثاً أو نحوها، ج٢/٧٩.

تتأذى مما يتأذي منه بنو آدم) .[١]

وقد ورد عن أبي أيوب الأنصاري أنه قال: ((لما نزل عليَّ رسول الله ﷺ في بيتي نزل في السفل، وأنا وأم أيوب في العلو، فقلت له يا نبي الله بابي أنت وأمي إني أكره وأُعظم أن أكون فوقك وتكون تحتي، فاظهر أنت فكن في العلو، وننزل فنكون في السفل، فقال: يا أبا أيوب أن ارفق بنا وبمن يغشانا أن نكون في سفل البيت. قال فكان رسول الله ﷺ في سفله، وكنا فوقه في المسكن، فلقد انكسر حب ــ إناء من فخار ــ لنا فيه ماء فقمت أنا وأم أيوب بقطيفة لنا ما لنا لحاف غيره ننشف بها الماء تخوفاً أن يقطر على رسول الله ﷺ منه شيء فيؤذيه)).[٢]

وقد أقام رسول الله ﷺ في دار أبي أيوب حتى بنى مسجده وحجراته ﷺ .

وقد ذهب أبو أيوب بهذا الفخر والمنقبة إلى يوم

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد، باب نهي من أكل ثوماً أو بصلاً أو كراثاً أو نحوها، ج٢/٧٩.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٤٩٨ - ٤٩٩.

القيامة، كان الصحابة (رضوان الله عليهم) يغبطونه على ذلك حيث صارت داره مقر رسول الله ﷺ ومهبط الوحي وملتقى المؤمنين برسول الله ﷺ لعدة أشهر.

ويرون لأبي أيوب منزلة خاصة بهذا الأمر، ولذلك فقد قدم أبو أيوب الأنصاري إلى العراق، وكان بها عبد الله بن عباس رضي الله عنه والياً على البصرة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقدم عليه أبو أيوب الأنصاري فخرج له ابن عباس عن داره، وأنزله فيها كما أنزل رسول الله ﷺ في داره.[1]

إن إكرام أبي أيوب رضي الله عنه والأنصار لرسول الله ﷺ والمهاجرين معه كان رحمة من الله وتعويضاً عمَّا فعله مشركو مكة من طرد المهاجرين من قبل قريش والسيطرة على دورهم وأموالهم في مكة، فهاهم الأنصار يحسنون استقبال الرسول ﷺ ومن معه من المهاجرين ويقدمون المواساة لهم، وها هي الأمة إلى يوم القيامة تثني على أبي أيوب الأنصاري بإكرامه الرسول ﷺ.[2]

---

(١) ابن كثير: السيرة النبوية، ج٢/٢٨٠.

(٢) انظر: ابن سعد، السيرة النبوية من الطبقات الكبرى، ج١/٢٣٧؛ ابن

بناء المسجد النبوي.

مـن أوائـل أعمـال رسـول الله ﷺ حـين وصـوله المدينـة تحديـد موضـع مسـجده، فقـد بركـت ناقتـه القصـواء عنـد موضـع مسـجده ﷺ [١] حيـث كـان ((يصـلي بـه يومئـذ رجـال مـن المسـلمين وكـان مربـداً للتمـر لسـهيل وسـهل غلامـين يتـيمين في حجـر أسـعد بـن زرارة، فقـال رسـول الله ﷺ حـين بركـت راحلتـه هـذا إن شـاء الله المنـزل، ثـم دعـا رسـول الله ﷺ الغلامـين ففاوضـهما بالمربـد، ليتخـذه مسـجداً فقـالا: بـل نهبـه لـك يـا رسـول الله، فـأبى رسـول الله ﷺ أن يقبلـه منهمـا هبـة حتـى ابتاعـه منهمـا ثـم بنـاه مسجداً)). [٢]

لقـد كـان هـم رسـول الله ﷺ إيجـاد مسـجد يعبـد فيـه الله وحـده لا شـريك لـه[٣]، وان لا يأخـذ شـيئاً مـن مـال هـؤلاء

حجر، الإصابة، ج١/٤٠٢؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٤٠٢.

(١) ابن سعد، السيرة النبوية من الطبقات، ج١/٢٣٧.

(٢) مـن روايـة البخـاري في صـحيحه واللفـظ لـه، بـاب هجـرة النـبي ﷺ وأصحابه، ج٤/٢٥٤.

(٣) الفت د. سعاد ماهر كتاب "مساجد في السيرة النبوية"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧م.

الأيتام ولا من مال غيرهم. ورغم أن الرسول ﷺ يأخذ الهبة والهدية، فإنه في هذا الموضع لم يقبلها، بل أمر ﷺ بدفع الثمن من ماله ولذلك قدر قيمتها ودفع الثمن لهما، ويُعد هذا المسجد أول وقف في الإسلام والمُوقف هو المصطفى ﷺ.

(كان أول عمل قام به الرسول ﷺ اختيار موقع مسجده، وأول بناء عمله الرسول والمهاجرون والأنصار معه هو بناء مسجد قباء في طريق الرسول ﷺ إلى المدينة، ثم بناء مسجد الرسول ﷺ في المدينة، وقد جرى بناء المسجد النبوي زمن الرسول ﷺ مرتين، أحدهما في السنة الأولى من الهجرة، فور وصوله إلى المدينة، الأخرى في السنة السابعة من الهجرة، وكان البناء الأول أقل من الثاني من حيث المساحة، ومن حيث قوة البناء. وقد كان البناء الأول لمسجد الرسول ﷺ بعد اختيار الرسول ﷺ للموقع ودفع ثمنه، وكانت الأرض غير مستوية، وفيها نخل وخرائب وقبور وبعض المياه، فبدأ الرسول ﷺ بقطع النخل واستفاد منه في البناء، كما أمر بتسوية الخرائب وتصفية الماء حتى تم تنشيف الأرض وتنظيفها، ثم أمر بالقبور فنبشت وكانت قبور

مشــركين، [١] ثــم أمــر بتســوية الأرض حتــى أصــبحت صــالحة للبنــاء، وقــد شــارك ﷺ بنفســه في بنــاء المســجد، وكـان يرتجـز مـع الصـحابة أثنـاء البنـاء والصـحابة يشـاركونه في البنـاء. وقـد روى أبـو سـعيد الخـدري ﵁ قـال: كنـا نحمـل لبنـة لبنـة وعمـار لبنـتين لبنـتين فـرأه الـنبي ﷺ فيـنفض الغبـار عــن عمــار، ويقــول ويــح عمــار يــدعوهم إلى الجنــة ويدعونــه إلى النــار، [٢] وفي عمــارة الرســول ﷺ للمســجد جعــل مســاحته (٧٠) ذراعــاً طــولاً في (٦٠) ذراعــاً عرضاً [٣] ، وقـد أرسـى حيطـان المسـجد بالحجـارة، ثـم بنـى الجـدران بـاللبن، وجعـل عـرض الحـائط لبنـة، وقـد طلـب المســلمون مــن الرســول أن يُظلــلَّ المســجد مخافــة الشــمس فــوافقهم علــى ذلــك، فأقــام الســواري (الأعمــدة) مــن جـذوع النخـل، ثـم طرحـت عليهـا العـوارض الخشـبية، ثـم وضــع علــى الســقف خصــف الجريــد والأذخــر، وجعــل وســطه رحبــة خاليــة، وقــد أصــابت المســلمين الأمطــار،

---

(١) مــن روايــة البخــاري في صــحيحه، بــاب التعــاون في بنــاء المســاجد، ج١/١١٤.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٤٩٩.

(٣) وتبلـغ مسـاحة البنـاء النبـوي الأول للمسـجد ١٠٦٠مـتراً مربعـاً(انظر: عبـد العزيز كعكي، المجموعة المصورة لأشهر معالم المدينة المنورة، ج١/١٢٤

فجعل السقف ينزل المطر على المصلين، فاشتكوا إلى الرسول ﷺ من ذلك وطلبوا منه ﷺ (تطيين) السقف لحجز المطر عن المصلين، فقال ﷺ: "نعم ابنوا لي عريشاً كعريش موسى ثمامات وخشبات، وظلة كظلة موسى، والأمر أعجل من ذلكط، قيل فما ظلة موسى قال: كان إذا قام أصاب رأسه السقف"، [١] فقام الرسول وأصحابه (بتطيين) السقف وعمل الرسول ﷺ معهم، وجعل رسول الله ﷺ قبلته ناحية بيت المقدس في هذا البناء الأول الذي بني قبل تحويل القبلة.[٢]

---

(١) الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، (٣/٣٨٦).

(٢) كتبت عدة مؤلفات حول عمارة المسجد النبوي تطرقت للعمارة الأولى، منها: عمارة وتوسعة المسجد النبوي عبر التاريخ، للشيخ ناجي محمد حسن الأنصاري، من إصدارات النادي الأدبي بالمدينة المنورة، ط١، ١٤١٦هـ؛ وتاريخ معالم المدينة قديماً وحديثاً، أحمد ياسين الخياري، النادي الأدبي بالمدينة المنورة، ١٤١٠هـ؛ والمدينة المنورة تطورها العمراني وتراثها المعماري، صالح لمعي، دار النهضة، بيروت، ١٩٨١م؛ وانظر: الدرة الثمينة في أخبار المدينة، محمد بن محمود النجار، ت ٦٤٣هـ دراسة وتحقيق د. صلاح الدين عباس، ط١، مركز بحوث المدينة، ١٤٢٧هـ، وتحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة، الحسين بن عمر المراغي، ت ٨١٦هـ، تحقيق عبدالله عسيلان، ط١، ١٤٢٢هـ.، وكذلك ما كتبه.عبدالعزيز كعكي في الجزء الأول من موسوعته (المجموعة المصورة

وقد جعل الرسول ﷺ للمسجد ثلاثة أبواب. أحدها باب أبي بكر، وهو في الحائط الجنوبي جهة القبلة ـــ الحالية ـــ وذلك لأن القبلة كانت ناحية بيت المقدس، وباب عاتكة ويقال له باب الرحمة، والباب الذي كان يدخل منه الرسول ﷺ في الجهة الشرقية. وعندما غُيِّرت القبلة سدَّ النبي ﷺ الباب الجنوبي. وقد كان ارتفاع السقف في هذه العمارة خمسة أذرع [٢,٢٥] متراً)، (١) وقد أعيد بناء المسجد مع شيء من التوسعة بعد غزوة خيبر.(٢)

ولا تزال حدود المسجد النبوي زمن الرسول ﷺ معروفة ومعلمه بعلامات خضراء مكتوب عليها بشكل واضح يستطيع زائر المسجد النبوي رؤيتها وقراءة ما هو مكتوب عليها.

لأشهر معالم المدينة المنورة)ص١٢٤

(١) انظر تفصيلات ذلك عند: عبد العزيز العُمري، الحرف والصناعات في الحجاز، ص ١٧٨- ١٨٠.

وقد بلغت مساحة المسجد بعد هذه التوسعة،١٤١٥متراً مربعاً. (انظر عبدالعزيز كعكي، المجموعة المصورة لأشهر معالم المدينة المنورة ج١٢٤/١).

(٢) ابن كثير، السيرة النبوية، (٣٤٥/٣)؛ الواقدي، الغازي، ج٦٣٦/٢.

الأذان.

الصلاة لها مكانتها عند الديانات السماوية، ولكل فيها مكان خاص يجتمع فيه المصلون ومواعيد خاصة لذلك، ووسيلة معينة للدعوة لها، وكان فرض الصلوات الخمس في السماء حين عرج بالرسول ﷺ إلى السماء، وقد ناقشه في عددها ومحاولة التخفيف عن أمة محمد ﷺ نبي الله موسى عليه السلام الذي خَبَرَ بني إسرائيل وصعوبة الصلاة عليهم، إلى أن استقر أمر الله على خمس صلوات في اليوم والليلة تكون بأجر خمسين لأمة محمد ﷺ،[1] وكان أصحابه (رضوان الله عليهم) يصلون في شعاب مكة مستخفين عن المشركين، ولما هاجر ﷺ إلى المدنية كان أول عمل له في قباء بناء مسجد قباء، وكان أول عمل له في المدينة بناء المسجد النبوي ليكون مكاناً لصلاة المسلمين جماعة في أوقاتها.

ولم يكن في البداية ثمة وسيلة أو نداء معين لاجتماعهم للصلاة، مع أنه على ما يبدو ثبتت مواعيدها المعروفة لجميع المسلمين، غير أنه كان فيها

---

(١) انظر: موضوع الإسراء والمعراج من هذا الكتاب،.

شـيء مـن السـعة في بدايـة الوقـت ونهايتـه لكـل صـلاة مـن الصـلوات. وقـد وضـع البخـاري في صـحيحه بـاب بـدء الآذان.[١]

وقـد روى البخـاري عـن ابـن عمـر ((كـان المسـلمون حـين قـدموا المدينـة يجتمعـون فيتحينـون وقـت الصـلاة لـيس ينادى لها)).[٢]

وقـد كـان المسـلمون جـادين في البحـث عـن وسـيلة معينـة للنـداء إلى الصـلاة، ومـع أن الـوحي كـان ينـزل علـى الرسـول ﷺ فإنـه في البدايـة لم يـؤمر بشـيء محـدد في هـذا الأمـر، ولهـذا كـان يشـاور الصـحابة حولـه: ((فتكلمـوا يومـاً في ذلـك فقـال بعضـهم: اتخـذوا ناقوسـاً مثـل نـاقوس النصـارى، وقـال بعضـهم بـل بوقـاً مثـل قـرن اليهـود، فقـال عمـر أفـلا تبعثـون رجـلاً مـنكم ينـادي بالصـلاة، فقـال رسول الله ﷺ: قم يا بلال فناد بالصلاة)).[٣]

---

(١) انظـر: كتـاب الآذان، أول أبـواب الكتـاب، بـاب بـدء الآذان وقولـه تعـالى: وإذا ناديتم إلى الصلاة، ج١/١٥٠.

(٢) من حديث رواه البخاري، رقم ٦٠٤، باب بدء الأذان، ج١/١٥٠.

(٣) مـن حـديث رواه البخـاري، رقـم ٦٠٤، وج١/١٥٠؛ وانظـر: ابـن هشـام، السيرة النبوية، ج١/٥٠٨؛ باب بدء الأذان، ج١/١٥٠.

وقـد وردت روايـات تـدل علـى أن عبـد الله بـن زيـد الأنصـاري ﷺ، [١] وعمـر بـن الخطـاب ﷺ كـل منهمـا رأى مـن يلقنـه الأذان بالألفـاظ نفسـها وقـال ﷺ: ((إنهـا الرؤيا)).[٢]

وقـد روى ابـن إسـحاق: (فلمـا اطمـأنّ رسـولُ الله ﷺ بالمدينـة، واجتمـع إليـه إخوانُـه مـن الْمُهـاجرين واجتمـع أمـرُ الأنصـار، اسـتحكم أمـرُ الإسـلام، فقامـت الصـلاة وفرضـت الزكـاةُ والصـيام، وقامـت الحـدُود، وفُـرض الحـلالُ والحـرام، وتبـوأ الإسـلام بـين أظْهـرهم، وكـان هـذا الحـيّ مـن الأنصـار هـم الـذي تبـوَّأوا الـدار والإيمـان. وقـد كـان رسـولُ الله ﷺ حـين قَـدمها إنمـا يجتمـع النـاسُ إليـه للصـلاة لحـين مَواقيتهـا، وبغـير دَعْـوة، فهـمّ رسـول الله ﷺ حـين قَـدمها أن يجعـل بُوقـا كبُـوق يهـود الـذين يـدعون بـه لصـلاتهم، ثـم كرهـه، ثـم أمـر بالنـاقوس فنُحِـت ليُضـرب به للمسلمين للصلاة.

---

(١) انظر : ترجمة عبدالله بن زيد عند ابن حجر في الإصابة، ج٣١٣/٢.

(٢) انظـر: الـدارمي في سـننه، ج٣٩١/١؛ مسـند الإمـام أحمـد، ج٤٣/٤؛ وابـن هشـام، السـيرة النبويـة، ج٥٠٩/٢؛ وقـد صـححه عـدد مـن العلمـاء. إبراهيم العلي، صحيح السيرة، ص ١٥٠.

فبينمـا هـم علـى ذلـك، إذ رأى عبـدُ الله بـن زيـد بـن ثَعْلبـة، أخـو بَلْحـارث بـن الخَـزْرج، النـداءَ، فـأتى رسـولَ الله ﷺ، فقـال لـه: يـا رسـول الله، إنـه طـاف بـي هـذه الليلـة طـائف: مـرّ بـي رجـلٌ عليـه ثَوْبـان أخضـران، يحمـل ناقوسـاً في يـده، فقلـت لـه: يـا عبـد الله، أتَبيـع هـذا النـاقوس؟ قـال: ومـا تصـنع بـه؟ قـال: قلـت: نـدعو بـه إلى الصـلاة، قـال: أفـلا أدلـك علـى خـير مـن ذلـك: قـال: قلـت: ومـا هـو؟ قـال تقـول: الله أكـبر الله أكـبر، الله أكـبر الله أكـبر، اشـهد أن لا إلـه إلا الله، أشـهد أن لا إلـه إلا الله، أشـهد أن محمـداً رسـول الله، أشـهد أن محمـداً رسـول الله، حـيّ علـى الصـلاة، حـيّ علـى الصـلاة، حـيّ علـى الفلاح، حيّ على الفلاح... إلى آخر الآذان.

فلمـا أخْبَـرَ بهـا رسـولَ الله ﷺ، قـال: إنهـا لرؤيـا حـقّ، إن شـاء الله، فقـم مـع بـلال فألْقهـا عليـه، فليـؤذن بهـا، فأنـه أنْـدَى صـوتاً منـك. فلمـا أذّن بهـا بـلالٌ سَـمعها عمـرُ بـن الخطـاب، وهـو في بيتـه، فخـرج إلى رسـول الله ﷺ، وهـو يجـرّ رداءه، وهـو يقـول: يـا نـبيّ الله، والـذي بعثـك بـالحقّ، لقـد رأيـت مثـل الـذي رأى، فقـال رسـولُ الله ﷺ:

فلله الحمد على ذلك.[١]

لقد كان اختيار بلال لهذا الأمر بسبب حسن صوته درساً للأمة كلها في أن يقوم بالعمل الأفضل والأحسن لأدائه.

أصبح الأذان شعاراً خاصاً بالمسلمين إلى اليوم، إذا سمعه المسلم وغيره اقشعرت له الجلود وهربت منه الشياطين، كله ذكر وتكبير وتوحيد لله سبحانه وتعالى، ربما لا يحس بقيمته إلا من فقده في سفر أو فقد سماعه، تذرف دمعة المسلم له إذا سمعه بعد افتقاده، ويتهيب ويخشع له قلب الكافر إذا سمعه في بلاد المسلمين.

يتسابق المسلمون فيه بتحسين الصوت ورفعه، وقد أثنى الرسول ﷺ على المؤذنين قي قوله: بلال سيد المؤذنين، والمؤذنون أطول الناس إعناقاً يوم القيامة.[٢] فأصبح موضع تنافس بينهم، كل يريد أن يرفعه .

ونال بلال بن رباح رضي الله عنه شرف لقب مؤذن رسول الله

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٥٠٨.

(٢) رواه ابن أبي شيبه في المصنف، ج١/٢٥٤؛ وانظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١/٣٥٥.

ﷺ، حيث كان يرفع الآذان في مسجد الرسول ﷺ في المدينة وفي سفره معه، وقد رفعه فوق الكعبة يوم فتح مكة وقد توقف عن الأذان بعد وفاة الرسول ﷺ، وفي اجتماع الجابية أيام الفتوح في الشام طلب منه الصحابة أن يؤذن فيهم بحضرة عمر، كما كان يؤذن لرسول الله ﷺ فلما سمعوا أذانه بكوا جميعاً واخضلت لحاهم.(١)

واشتهر من المؤذنين في زمن الرسول ﷺ، عبد الله بن أم مكتوم وغيره. وقد ورد عن رسول الله ﷺ: ((إن بلال يؤذن بليل، فكلوا واشربوا حتى ينادي ابن أم كتوم)).(٢)

وقد صار الأذان شعاراً إسلامياً ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩﴾ [الجمعة].

إن هذا الأذان بالصوت البشري وبمعان مفهومة سامية

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١/٣٥٧؛ وانظر: ابن حجر، الإصابة، ج١/١٦٥.

(٢) صحيح البخاري، حديث رقم: ٦١٧؛ باب أذان الأعمى إذا كان له من يخبره.

عالية فيها ذكر لله ورفع ذكر لنبيه ﷺ، مما يميز المسلمون على غيرهم من الأمم عبر العصور في شتى أصقاع الأرض، فهو شعيرة من شعائر المسلمين في كل مكان، يعرف به إسلامهم، ولا يعذرون بترك الأذان وهم يستطيعون، بل ورد أن الرسول ﷺ أمر بان يؤذن الراعي وهو في غنمه، فقد ورد أن أبا سعيد الخدري رضي الله عنه قال: لأبي صعصعة المازني: ((إني أراك تحب الغنم والبادية، فإذا كنت في غنمك أو باديتك، فأذنت بالصلاة فارفع صوتك بالنداء فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا أنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة، قال: أبو سعيد سمعته من رسول الله ﷺ)).(١)

المؤاخاة.(٢)

كان الرسول ﷺ حريصاً على إقامة روابط خاصة بين المسلمين يواسي بعضهم بعضاً، ويتفقد بعضهم بعضاً، ويعوض بعضهم بعضاً ما فقده من المال والأهل والأصحاب نتيجة إسلامه أو هجرته، ولذلك ورد أن

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم: ٦٠٩؛ باب رفع الصوت بالنداء.

(٢) وضع البخاري في صحيحه، باب كيف آخى الرسول ﷺ بين أصحابه، ج٤/٢٦٧.

المؤاخاة أول ما كانت في مكة قبل الهجرة بين عدد من المسلمين، منهم عمر وأبو بكر وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان، وأن عليّاً ﵁ قال للنبي ﷺ حينها في مكة: يا رسول الله إنك آخيت بن أصحابك فمن أخي، قال: أنا أخوك)).[1]

ولما استقر المسلمون في المدينة بُعيد الهجرة عقد ﷺ بين المهاجرين والأنصار أخوة، وقد سمى الرواة كل صحابي ومن آخى رسول الله ﷺ معه، وكانت المؤاخاة في الغالب بين أنصاري ومهاجر.[2] ووجدت حالات من المؤاخاة بين بعض المهاجرين ومهاجرين آخرين ولعلها جاءت في مراحل متأخرة أو لظروف خاصة وإلا فالراجح أنها كانت بين مهاجر وأنصاري. وقد ذكر ابن سعد "أن رسول الله ﷺ قد آخى بين خمسين من

(١) انظر: محمد أبو شهبة، السيرة النبوية، ج٢/٥٢؛ البلاذري. أنساب الإشراف، ج١/٢٧٠. ولمزيد من التوسع راجع: د. أكرم العُمري السيرة النبوية الصحيحة، ج١/٢٤٠.

(٢) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٥٠٥.

المهاجرين وخمسين من الأنصار"، [١] وهذه على ما يبدو دفعة من المؤاخاة لحقها دفعات أخرى حسب وصول المهاجرين.

وكانت هذه الإخوة للارتفاق والمساعدة والتفقد والتعليم، والتعاون على الخير، ولعل تلك المؤاخاة هي ما أشارت إليه الآيات الكريمة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمِۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأنفال].

وقد وضع البخاري في صحيحه باباً سماه باب: (كيف آخى النبي ﷺ بين أصحابه). [٢]

وقد كانت هذه المؤاخاة في أول أمرها يدخل فيها التوارث، حيث يمكن أن يرث بعضهم بعضاً. وقد نُسخ التوارث بعد ذلك بقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمْ

---

(١) ابن سعد، السيرة النبوية من الطبقات، ج١/٢٣٩.

(٢) كتاب مناقب الأنصار، أحاديث: ٣٨٣٧ - ٣٨٣٩، ج٤/٢٦.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمْۚ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ٧٥﴾ [الأنفال].[١]

وقد طابت نفوس الأنصار بعون إخوانهم المهاجرين، وكان كثير من الأنصار يرغب أن يقسم أملاكه مع أخيه المهاجر، وخصوصاً الأصول كالنخيل والبيوت وغيرها، إلا أن المهاجرين مع كرم الأنصار كانوا ذوي عزة، فقد قال كثير من الأنصار (نكفيكم المئونة وتشركونا في الثمرة)،[٢] وهذا يعني أن يعملوا معهم في المزارع مقابل جزء من الإنتاج.

وقد استمرت هذه المؤاخاة طيلة عهد رسول الله ﷺ فكان كل من الصحابة يشعر نحو من آخى الرسول ﷺ معه بشعور خاصٍّ، فكان بعضهم ربما أوصى بشيء من ماله للآخر في حياته وعند وفاته، إذ أن التوارث نُسخ،[٣] كما كان بعضهم بعد وفاة الرسول ﷺ وبعد الفتوح وانسياحهم في الأرض يتراسلون ويتفقد بعضهم

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج(/٨٥٧، ٨٥٨.

(٢) انظر: ابن سعد، السيرة النبوية من الطبقات، ج١/٢٣٨؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ج٢/٣٢٨.

(٣) انظر: ابن سعد، السيرة النبوية من الطبقات، ج١/٢٣٨.

بعضاً ما بين فارس والشام وغيرها استمراراً لهذه المؤاخاة[١] التي جعل رسول الله ﷺ أساسها العقيدة ومواساة الأخ المسلم لأخيه المسلم المخصوص.

بناء الرسول ﷺ بعائشة رضي الله عنها .

كان اختيار زوجات النبي ﷺ لرسوله من الله رحمة به وبالأمة، فكانت خديجة (رضي الله عنها) أكبر منه سناً، في وقت كان بحاجة لذلك، حتى إذا نزل الوحي عليه كانت خير معين ومساند، آمنت به وواسته وأعانته، وأشارت عليه بأحكم الآراء وأكثرها عوناً للرسول ﷺ، ولا شك أن هذا من عناية الله برسوله ﷺ .

أما عائشة (رضي الله عنها) فكانت المرأة الوحيدة البكر من نسائه، وكانت أصغرهن سناً وأكثرهن حفظاً، هيأها الله لنبيه وأمرها وغيرها من أمهات المؤمنين بأمر عظيم، وهو حفظ الشريعة من نبيه وتبليغها للأمة ﴿ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾ [الأحزاب].

---

(١) انظر: رسالة أبي الدرداء إلى سلمان الفارسي والعكس عند الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١/٥٤٨ ـ ٥٤٩.

وقـد رأى الـنبي ﷺ في منامـه عائشـة مـرتين (رضـي الله عنهـا)، ويقـال هـذه امرأتـك، فعـن عائشـة رضي الله عنها قالـت قـال لهـا الـنبي ﷺ: ((أُريتـك في المنـام مـرتين، أرى أنـك في سُـرقة مـن حريـر ويقـال هـذه امرأتـك، فأكشـف عنهـا فـإذا هي أنت فأقول: إن يك هذا من عند الله يمضه)).[1]

وكانـت خطبـة عائشـة رضي الله عنها بعـد وفـاة خديجـة بفـترة قصـيرة، وقبـل الهجـرة بسـنتين تقريبـاً، روى البخـاري: ((توفيـت خديجـة قبـل مخـرج الـنبي ﷺ بـثلاث سـنتين أو قريبـاً مـن ذلـك ونكـح عائشـة وهـي بنـت سـت سـنين، ثـم بنـى بهـا وهـي بنـت تسـع سـنين)).[2] وهـذا يعـني أن الخطبـة والعقـد وعمرهـا سـت سـنين والـدخول بهـا وعمرهـا تسـع سنين

وكـان عقـد رسـول الله ﷺ في شـوال مـن السـنة العاشـرة للبعثـة، ولم يـدخل بهـا إلا في شـوال مـن السـنة الأولى للهجرة،[3] وقيل بعد ذلك.[1]

---

(١) البخـاري، صـحيحه، بـاب تـزويج النـبي ﷺ عائشـة وقـدومها المدينـة وبنائـه بها،حديث رقم: ٣٨٩٥، ج٤/٢٥٢.

(٢) البخاري، صحيحه، حديث رقم: ٣٨٩٦، ج٤/٢٥٢.

(٣) الطبري، تاريخه، ج١/٣٤٠.

ولصغر عائشة ﵂ دور في تكيفها مع طبائع النبي ﷺ وتربيته لها في جوانب كثيرة، حتى أنه في مرضه الذي مات فيه رغب أن تمرضه عائشة، وأن يبقى عندها حتى توفى ﷺ ورأسه في حجرها ﵂.(٢)

كانت تحفظ وتعي العلم عنه ﷺ أكثر من غيرها (رضوان الله عليها)، وامتد بها العمر حتى علَّمت أجيالاً كثيرة من الأمة، رجالاً ونساء، سنة رسول الله ﷺ.

وكانت أحب نسائه إليه، ولم ترزق بولد، سميت أم عبد الله بابن أختها عبد الله بن الزبير (رضي الله عنها) وكونها بنت الصديق (رضي الله عنها) أعطاها فرصة للأخذ من رسول الله ﷺ ومن أبيها ﵁ في وقت واحد، كما أعطى فرصة لالتقاء أبي بكر برسول الله في بيتها عندها وفي السفر.

حدثت لها عدة حوادث أعطت دروساً للأمة وأبانت فضلها (رضي الله عنها)، ومن ذلك حادثة الإفك،

---

(١) انظر: وفاة الرسول ﷺ، من هذا الكتاب.

(٢) انظر: وفاة الرسول ﷺ وترجمة عائشة من هذا الكتاب.

ونزول آية التيمم،[١] وغير ذلك من الأحداث.

وقد وضع البخاري في صحيحه باباً سماه: (باب تزويج النبي ﷺ عائشة وقدومه المدينة وبنائه بها روى فيه عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: تزوجني النبي ﷺ وأنا بنت ست سنين، فقدمنا المدينة فنزلنا في بني الحارث بن الخزرج، فوعكت فتمزق شعري فوفى جُميمة، فأتتني أمي أم رومان، وإني لفي أرجوحة ومعي صواحب لي فصرخت بي فأتيتها لا أدري ما تريد بي، فأخذت بيدي حتى أوقفتني على باب الدار وإني لأنهج حتى سكن بعض نفسي ثم أخذت شيئاً من ماء فمسحت به وجهي وراسي، ثم أدخلتني الدار، فإذا نسوة من الأنصار في البيت، فقلن على الخير والبركة وعلى خير طائر، فأسلمتني إليهن، فأصلحن من شأني، فلم يرعني إلا رسول الله ﷺ ضحى، فأسلمتني إليه وأنا يومئذ بنت تسع سنين).[٢]

وقصة خطبة عائشة (رضي الله عنها) قبل الهجرة

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ج١/٤٨٩؛ ورواية البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب وإن كنتم على سفر، ج٥/١٨٠.

(٢) البخاري، صحيحه، حديث رقم: ٣٨٩٤، ج٤/٢٥١.

وردت فيها روايات عدة، منها أنها كانت مخطوبة لأحد أبناء المطعم بن عدي، [(١)] وأن أمه عاتبة على أبي بكر تبعيته للرسول ﷺ، وأظهرت كرهها لزواج ابنها من عائشة مخافة أن يُسلم ابنها، مما جعل الصديق في حل من تلك الخطبة.[(٢)]

ومع الأسف فإن بعض المستشرقين ومن يأخذون منهم ينتقدون زواجه ﷺ بها مع صغر سنها.

ومَن هؤلاء؟!! حتى يقيسوا عمل الرسول ﷺ ويرون صوابه من عدمه؟ علماً أن زواجه ﷺ بأمر الله ولو كان غير ذلك لأتي ما يوجهه من الله فهو القدوة ﷺ. كما أن المجتمعات البشرية جميعها دون استثناء في تلك الفترة، ولا زال بعضها على ذلك –إلى اليوم– ، تزوج الصغار المماثلات لسنها (رضي الله عنها)، .

وهذا الأمر يحدث في هذا الزمن في عدد من الدول في العالم، وإن كان ينبغي أن لا يقاس عليه لاختلاف الظروف والعادات.

---

(١) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/١٤٩.

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/١٤٩.

كما أن الغرب وغيره يعرف طبياً أن المرأة في سن التاسعة والعاشرة تعتبر في كثير من الأحيان ناضجة جسدياً ونفسياً للزواج الصحيح. (وحالياً توجد حالات كثيرة للحمل غير الشرعي بإعداد كبيرة في الغرب لمن هم في هذا السن وأصغر منه أحياناً)، وعلى كل فالهجوم في الغالب منطلقه هوى وعداء للرسول ﷺ ومحاولة انتقاصه ﷺ، وأخطاء الآخرين لا ينبغي أن تحمل هذه الحادثة، مع أن استغلال النساء سواء كن قصراً أو كباراً لا يجوز للأغراض المادية، كما هو حادث في معظم حالات الزواج من القصر في العصر الحاضر، والتي يخطأ فيها الكثيرون ممن هم بعيدون عن السنة أصلاً ويحاولون تبرير أعمالهم وظلمهم للفتيات.

ومن المعروف أن عائشة بل وآل أبي بكر الصديق رضي الله عنهم تشرفوا بهذا النسب كما أنها رضي الله عنها ((زوجة رسول الله ﷺ في الدنيا والآخرة كما ورد في الحديث الشريف)).(١)

---

(١) انظر: تفصيلات كثيرة عن الحدث وغيره عند الذهبي في سير أعلام النبلاء، ج١/١٣٥، في ترجمته لعائشة.

تنمية المدينة ومجتمعها.

جاء الإسلام إلى المجتمعات البشرية ليحببها بطاعة الله وتوحيده أولاً، وليرفع من مستوى كرامتها، وليعزز النظام، وليرفع الإنتاج، ويحمي البيئة والأرض من الفساد، ويعمرها بما يصلح للإنسانية، وكانت المدينة نموذجاً لهذا الأمر، حيث نظمها ﷺ بالتشريعات المختلفة، والوصايا والأعمال التنظيمية والتنفيذية المدنية، التي جعلت الجميع يتسابقون للإنتاج والعطاء، بدلاً من الكسل والاعتماد على الآخرين أو التشاؤم والسلبية. وسواء كانت تلك الأمور عامة في الإسلام أم خاصة بالمدينة إلا أن أثرها بدا واضحاً على المدينة المنورة التي نمت وتغيرت حالها بعد الهجرة النبوية المباركة.

وتكمن البداية في أشياء معنوية في الظاهر لها أهمية كبرى، فأولها:

تغيير اسم المدينة.

كانت المدينة تعرف عند العرب قبل الإسلام بـ(يثرب)، ومعناه شيء من التثريب أو اللوم، وقد ورد الاسم في القرآن

الكريم في قوله: ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ ﴾ [الأحزاب].

وقد كره الرسول ﷺ هذا الاسم وأمر بتغييره إلى المدينة، [١] ومعروف أن الاسم يعني التمدن والحضارة والاستقرار وما يتبعه من علم وعمل ونظام وعدل وغير ذلك مما يرتبط بالمدنية. وقد سماها الرسول ﷺ بأسماء أخرى مثل طابة وطيبة والمباركة والمشرفة، ودار الإيمان، والحصينة، وكلها أسماء تدعو إلى التفاؤل والنظرة الحسنة وجمال الاسم.[٢]

محبة المدينة وتحريمها.

لقد حرص الرسول ﷺ على جعل حرمة للمدينة، وحدد لها حدوداً ودعا لها ﷺ، كما ور عند البخاري في صحيحه أنه ﷺ قال: ((إن إبراهيم حرم مكة ودعا لأهلها وإني حرمت المدينة ما بين لابتيها)).[٣] كما دعا

(١) راجع الرفاعي، الأحاديث الواردة في فضائل المدينة،ص ٣٠١.

(٢) صالح الرفاعي، الأحاديث الواردة في فضائل المدينة، ص ٣٠٥.

(٣) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب أحد جبل يحبنا ونحبه، ج٤/٤٠.

ﷺ : ((اللـــهم حبـــب إلينـــا المدينـــة كحبنـــا مكـــة أو أشـــد))، [١] ولا شـــك أن محبـــة المكـــان داع للحفـــاظ عليـــه ورعايته ودوام الإقامة فيه.

كمـا كـان مـن التشـريعات الـتي أصـدرها الـنبي ﷺ لحفـظ البيئـة والحيـاة الطبيعيـة في المدينـة قولـه ﷺ : ((إن إبـراهيم حـرم مكـة وإنـي أُحـرم المدينـة حـرام مـا بـين حرتيهـا وحماهـا كلـه لا يختلـى خلاهـا ولا ينفـر صـيدها ولا تلـتقط لقطتهـا إلا لمـن أشـاد بهـا، ولا تقطـع منهـا شـجرة إلا أن يُعلف رجل بعيره ولا يحمل فيها السلاح لقتال)). [٢]

كمـا ورد: "عـن أنـس ﷺ عـن الـنبي ﷺ قـال: المدينـة حـرم مـن كـذا لا يقطـعٍ شـجرها ولا يحـدث فيهـا حـدث، مـن أحـدث فيهـا حـدثاً فعليـة لعنـة الله والملائكـة والنـاس أجمعين". [٣]

كمـا قـال ﷺ : "حُـرِمٍّ مـا بـين لا بـتي المدينـة علـى لسـاني

(١) مـــن حـــديث رواه البخـــاري في صـــحيحه، رقـــم: ٣٩٢٦؛ ومســـلم في صـحيحه رقـم:١٣٧٦؛ وانظـر: تخريجـه عنـد الرفـاعي، الأحاديـث الـواردة في فضائل المدينة، ص١٧٦.

(٢) من رواية الإمام أحمد في مسنده، ج١/١١٩.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، ج٢/٢٢٠.

قال: وأتى النبي ﷺ بني حارثة فقال: أراكم يا بني حارثة قد خرجتم من الحرم ثم التفت فقال بل أنتم فيه".[(١)]

لقد جعلت هذه الأوامر النبوية المدينة المنورة ذات حماية خاصة ما يتعلق بالبيئة والحمى وقطع الأشجار والصيد، وقد ساهمت تلك التشريعات والأوامر النبوية على حماية البيئة الطبيعية للمدينة، في ضوء الزيادة السكانية للمدينة المنورة نتيجة الهجرة المتزايدة إليها، وخصوصاً في السنتين الأوليين من الهجرة النبوية.

وقد أثنى الرسول ﷺ على أهل المدينة والمقيمين بها والآوين إليها والمهاجرين، كما قال ﷺ: (إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها).[(٢)]

وقد وضع مسلم باباً سماه الترغيب في سكن المدينة، ولعل أشهرها ما تداوله الناس باختصار من

(١) رواه البخاري، باب حرم المدينة، ج٢/٢٢١.

(٢) رواه البخاري ومسلم، وانظر تخريجه عند الرفاعي، الأحاديث الواردة في فضائل المدينة، ص ٣٢.

حديث طويل: (والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون)(١).

عن سفيان بن أبي زهير ﷺ أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (تفتح اليمن، فيأتي قوم يبسون، فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، وتفتح الشام فيأتي قوم يبسون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، وتفتح العراق، فيأتي قوم يبسون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون). (٢)

وقد وردت أحاديث كثيرة في الدعاء للمدينة بالبركة، من ذلك ما رواه البخاري ومسلم: " إن إبراهيم حرم مكة ودعا لها، وحرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة ودعوت لها في مُدها وصاعها مثل ما دعا إبراهيم -

---

(١) من رواية البخاري، حديث رقم: ١٨٧٥؛ ومسلم، حديث رقم: ١٣٨٧؛ والإمام مالك، في الموطأ ج٢/٨٨٨؛ وغيرهم. انظر: تخريجه عند الرفاعي، الأحاديث الواردة في فضل المدينة، ص١٩٠.

(٢) رواه البخاري، حديث رقم: ١٨٧٥؛ ومسلم، حديث رقم: ١٣٨٧؛ والإمام مالك، في الموطأ ج٢/٨٨٨؛ وغيرهم. انظر: تخريجه عند الرفاعي، الأحاديث الواردة في فضل المدينة، ص١٩٠.

عليه السلام- ،[١] كما قال ﷺ: (اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، اللهم بارك لنا في صاعنا ومدنا، وصححها لنا وانقل حماها إلى الجحفة).[٢]

وفي حديث آخر، حيث روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: كان الناس إذا رأوا أول الثمر جاءوا إلى النبي ﷺ فأخذه رسول الله ﷺ قال: (اللهم بارك لنا في ثمرنا، وبارك لنا في مدينتنا، وبارك لنا في صاعنا وبارك لنا في مدنا، اللهم إن إبراهيم عبدك وخليلك ونبيك، وإني عبدك ونبيك وإنه دعاك لمكة، وإني أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك به لمكة ومثله معه). قال: ثم يدعو أصغر وليد يراه فيعطيه ذلك الثمر.[٣]

التنمية السكانية.

---

(١) رواه البخاري، ومسلم، وانظر: تخريجه عند الرفاعي، الأحاديث الواردة فيه، ص: ٢١٥.

(٢) رواه البخاري، كتاب فضائل المدينة، ج٢/٢٢٥، انظر: تخريجه عند الرفاعي، الأحاديث الواردة في فضائل المدينة، جمعاً ودراسة، ص٢١٥.

(٣) رواه مسلم، حديث رقم ١٣٧٣؛ والترمذي، ج٥/٥٠٦؛ الرفاعي، الأحاديث الواردة في فضائل المدينة جمعاً ودراسة، ص ٢١٦.

كان ﷺ حريصاً على زيادة السكان في المدينة والتوالد بين المؤمنين، ولذلك فقد فرح ﷺ وفرح المسلمون معه بأول مولود للمهاجرين بعد الهجرة النبوية، فقد روى البخاري عن أسماء بنت أبي بكر (رضي الله عنها)، قالت حملت بعبد الله بن الزبير فخرجت وأنا متم فأتيت المدينة، فنزلت بقباء فولدته بقباء، ثم أتيت به النبي ﷺ فوضعته في حجره، ثم دعا بتمرة فمضغها، ثم تفل في فيه، فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله ﷺ، ثم حنكه بتمرة، ثم دعا له وبرك عليه، وكان أول مولود ولد في الإسلام.[1] وقد جاءت الآيات القرآنية تأمر بالمحافظة على الولد والتأكيد على رزق الله لهم مع أبائهم في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾[الإسراء].

كما جاءت الأوامر النبوية المختلفة، تؤكد على أهمية تكاثر المسلمين مع حسن تربيتهم وإعدادهم ومن ذلك قوله ﷺ: (تزوجوا الودود والولود فإني مكاثر بكم

(١) صحيح البخاري، حديث رقم: ٣٩٠٩؛ كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، وانظر: ابن أبي شيبة، المغازي، ص ١٥٢.

الأمم يوم القيامة).[١]

وأول إحصاء سكاني عرف في الإسلام كان في عهد الرسول ﷺ، فقد ورد أن الرسول ﷺ قال: ((اكتبوا لي من تلفظ بالإسلام من الناس، يقول حذيفة بن اليمان فكتبنا له ألفاً وخمسمائة رجل)).[٢] كان هذا اهتماماً مباشراً لمعرفة الطاقات البشرية وكان ﷺ يوجه كل فرد لما يصلح له.

ومن المعروف حث الرسول ﷺ على الهجرة إلى المدينة، ومع ذلك فقد كان حريصاً على ضبط الأمور وأن لا تخرج عن الحدود و تربك المدينة وتنظيمها، وتوقع الخلل في تركيبتها السكانية، ولذلك حينما أسلمت بعض القبائل وأرادت الهجرة بكاملها إلى المدينة أمرهم الرسول ﷺ أن يلزموا ديارهم، ويتعلم بعضهم من بعض، ويكونوا مستعدين لأوامره.[٣]

كما أوقفت الهجرة بعد فتح مكة،[٤] مما يعني الإبقاء

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده، ج٣/٢٤٥.

(٢) الخزاعي، تخريج الدلالات السمعية، ص ٢٣٠.

(٣) انظر: عمر بن شبه، تاريخ المدينة، ج٢/٤٨٢ ـ ٤٨٨.

(٤) ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٣٤٧؛ عمر بن شبه، تاريخ المدينة،

على توازن سكاني في المدينة وفي غيرها.[(١)]

ليس هذا فحسب بل إن التوزيع السكاني داخل المدينة كان مهماً، ولذلك لما بنى الرسول ﷺ مسجده النبوي، وعلم الأنصار بفضله والصلاة فيه أراد بنو سلمة أن يتركوا منازلهم في أطراف المدينة ويقتربوا بمساكنهم من المسجد النبوي فلم يحبِّذ الرسول ﷺ ذلك منهم، كما في رواية أنس: "أراد بنو سلمة أن يتحولوا إلى قرب المسجد فكره رسول الله ﷺ أن تُعرى المدينة، وقال: يا بني سلمة ألا تحتسبون آثاركم، فأقاموا).[(٢)]

التنمية المعنوية.

إن زيادة عدد السكان دون الاهتمام بالنوعية والتميز لا قيمة له، ولذلك فإن رسول الله ﷺ كان حريصاً على كل فرد مسلم أن يحس بتميزه ومكانته دون تكبر، مقروناً ذلك بالخشوع لله والخضوع له واللين مع

ج٢/٤٨٣.

(١) انظر: صحيح البخاري، رقم: ٣٤٠٥، ٣٤٠٦، ٣٤٠٧، باب ٥٤، يلي باب مقام النبي ﷺ بمكة زمن الفتح.

(٢) رواه البخاري، كتاب فضائل المدينة، باب كراهية النبي ﷺ أن تعرى المدينة، حديث رقم: ١٨٨٧.

المسلمين والرحمة للعالمين، وذلك يلزم تغذية الروح المعنوية وتقويتها لدى جميع الأفراد، وبناء الثقة في نفس الإنسان منذ أيامه الأولى في الحياة، وتقوية حاله النفسية، ابتداءً باسمه الذي ينادى به، حيث حرص الرسول ﷺ على التسمية بأفضل الأسماء، (١) بل وتغيير الأسماء القبيحة إلى حسنه والكنى السيئة إلى طيبة، ولذلك فإنه شارك في تسمية عدد من المواليد في أيامه ﷺ من أمثال عبدالله بن الزبير، (٢) والحسن والحسين ابنا علي بن أبي طالب ﷺ، (٣) وغيرهم من المواليد في المدينة بعد الهجرة.

كما غير أسماء بعض المهاجرين، فقد كان رجل يدعى جُعيل فسماه عمرو، (٤) كما كان ﷺ يعطي الشباب وعامة الناس دفعات معنوية من خلال مناداتهم بأحب الأسماء والألقاب والكُنى إليهم، فينادي الصغير

(١) انظر: د. عدنان الوزان، موسوعة حقوق الإنسان في الإسلام، ج٥/٣٥.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في المغازي، ص ١٥٣؛ وانظر : رواية البخاري في فتح الباري، ج١٥/١٠٤.

(٣) انظر: تفصيلات عنهما في موضوع "المعايشون للرسول ﷺ "

(٤) ابن سعد، الطبقات، ج٤/٢٤٥؛ ترجمة جُعال بن سراقة الضمري.

يـا بُـني ويـناديهم بكنـاهم، فينـادي أخـاً لأنـس بـن مالـك صـغير فيقـول: يـا أبـا عمـير، هـذا كلـه في أحـاد النـاس وأفـرادهم. أمـا عمـوم أمـه محمـد ﷺ فـإن الله سـبحانه وتعـالى قــــال عنهــــا: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمـران: ١١٠]. فهـل بعـد هـذا النـداء مـن ذلـه أو قعـود؟ إنـه رفـع لشـأن أمـة محمـد ﷺ مـن بـين سـائر الأمـم فـرداً فـرداً وجماعـة. كما علـم الأمـة كلـها المحبـة لبعضـهم وللعـالم كلـه والرحمة بكل ذي كبد رطبه وكل كائن حي.

التنمية العلمية.

جــاء الإســلام منــذ نــزول القــرآن وأول آياتــه علــى الرســول ﷺ الأمــي ليــذكر بــالعلم والقلــم ﴿ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾[العلق].[1]

في وقــت كــان العــرب يســودهم الجهــل والأميــة والخرافـات والأسـاطير، مـع وجـود نـزر بسـيط مـن التعلـيم في المراكــز الحضــرية، ولا يمكــن مقارنتهــا مــع غيرهــا مــن البلــدان والشــعوب المجــاورة، بــل وحتــى مــع المجتمعــات

---

(١) لمزيـد مـن التوسـع راجـع كتـاب، الحـربي، محمـد بـن أحمـد،إقراء باسـم ربـك، ط١، نادي جازان الأدبي ١٤٢٢هـ..

اليهودية والنصرانية في بلاد العرب.

وقد هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة وهو يحث على العلم والتعليم[١]، والتعلم ويرفع من مكانته في نفوس المسلمين. ولا شك إن لذلك الأمر تأثيره على مجتمع المدينة في تنميته من الناحية العلمية، فكانت مجالسه مجالس علم.

وقد كان الصحابة يقرؤون قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١ ﴾ [المجادلة].

فيدركون أسباب الرقي والرفعة في الدنيا والآخرة وكان الرسول ﷺ المعلم الأول في المدينة يعلم الناس القرآن وأمور الدين التي هي نظام عام وقانون وشريعة للحياة.

وقد وضع البخاري في صحيحه كتاباً سماه كتاب العلم،[٢]

---

(١) لمزيد من التوسع راجع كتاب، الوكيل؛ محمد السيد، الحركة العلمية في عصر الرسول وخلفائه الراشدون، ط١، دار المجتمع، جده،١٤٠٦هـ.،

(٢) انظر: صحيح البخاري، الكتاب الثالث، كتاب العلم، وفيه (٥٣) باباً

أورد فيه ثلاثة وخمسين باباً، في أحاديث عديدة وشرح آيات مختلفة مثل قوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر].

وقوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [الإسراء].

وقوله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [فاطر].

وقد قال الرسول ﷺ: ((لا حسد إلا في اثنين: رجل آتاه الله مالاً فسلط على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها)).(١)

وكان الرسول ﷺ يأمر المتعلم بتعليم الآخرين، فقد حثّ النبي ﷺ وفد عبد القيس على تعليم قومهم، فقال لهم: (ارجعوا إلى أهلكم فعلموهم).(٢)

من الحديث رقم: ٥٩ إلى الحديث رقم: ١٣٤.

(١) صحيح البخاري، حديث رقم: ٧٣.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، حديث رقم: ٨٧.

عـن أبـي موسـى ﷺ عـن الـنبي ﷺ قـال: ((مثـل مـا بعـثني الله بـه مـن الهـدى والعلـم كمثـل الغيـث الكـثير أصـاب أرضـاً، فكـان منهـا نقيـة قبلـت المـاء فأنبتـت الكـلأ والعشـب الكـثير، وكانـت منهـا أجـادب أمسـكت المـاء فنفـع الله بهـا النـاس فشـربوا وسـقوا وزرعـوا، وأصـاب منهـا طائفـة أخـرى إنمـا هـي قيعـان لا تمسـك مـاءً ولا تنبـت كلأ، فـذلك مثـل مـن فقـه في ديـن الله ونفعـه مـا بعـثني الله بـه فعِلـم وعَلَّـم، ومثـل مـن لم يرفـع بـذلك رأسـاً ولم يقبـل هدى الله الذي أرسلت به)).(١)

والكتابـة في المدينـة كانـت تتركـز بالدرجـة الأولى لـدى اليهـود، الـذين كـانوا يعرفـون الكتابـة والقـراءة ويعلمِّونهـا أبنـاءهم فيمـا يعـرف بالمـدارس،(٢) وكـان تركيـزهم علـى الحـروف العبرية يكتبـون بهـا اللغـة العربيـة. وقـد تعلـم علـى يهـود بعـض الأوس والخـزرج، ومـنهم سـعد بـن عبـادة وأُبـي بـن كعـب وزيـد بـن ثابـت ﷺ وغيرهـم ممـن عـرف مـن كُتـاب الـنبي ﷺ مـن الأنصـار.(٣)وقـد عـرف المسـلمون قيمـة

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم: ٧٩.

(٢) راجع محمد العيد الخطراوي، المدينة في العصر الجاهلي، ص ٩٩.

(٣) انظـر: مصـطفى الأعظمـي، كُتـاب النـبي ﷺ؛ المكتـب الإسـلامي، ط١،

الكتابة قبل الهجرة، حيث نجد أن فاطمة بنت الخطاب وزوجها سعيد بن زيد في مكة كانا يقرآن سورة طه من صحيفة بين أيديهم مع خباب بن الأرت، وذلك حين دخل عليهم عمر بن الخطاب واكتشف إسلامهم.[١]

وقد كان تعلم القراءة والكتابة من أهداف كثير من الصحابة في المدينة بعد الهجرة. وقد كان عبادة بن الصامت يُعلم أصحاب الصفة القراءة والكتابة.[٢]

وبعد نهاية غزوة بدر كان هناك مجموعة من الأسرى من مشركي قريش ممن يحسنون الكتابة والقراءة لا مال لديهم لفداء أنفسهم من الأسر، فقبل الرسول ﷺ أن يعلم الواحد منهم عشرة من غلمان المدينة الكتابة والقراءة، مقابل أن يطلق سراحه،[٣] فتعلم يومئذ الكتابة والقراءة جماعة من غلمان الأنصار. وكان هذا الأمر سبباً في كثرة القراءة والكتابة في مجتمع المدينة، ولا

بيروت، ١٤٠١هـ.

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، (١/٣٤٥)؛
وانظر: إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه من هذا الكتاب.

(٢) د. أكرم العُمري، المجتمع المدني في عهد النبوة، القسم الأول، ص٩٦.

(٣) انظر: غزوة بدر من هذا الكتاب.

شـك أن هـؤلاء المـتعلمين سـاهموا بعـد ذلـك في تعلـيم غيرهم.

ولعـل الحـرص بعـد ذلـك علـى كتابـة القـرآن والسـنة الـتي بـدأت في أيـام الرسـول ﷺ تُعـد مـن أهـم أسـباب إتقـان أهـل المدينـة للكتابة، وكـذلك الحـال في كُتَّـاب الـنبي ﷺ، الـذين سـاهموا في كتابـة رسـائله إلى أمرائـه والى ملـوك العـالم والذين وصل عددهم بعد ذلك إلى قرابة ستين كاتباً.(١)

ولعل أهمية حقوق الآخرين وضرورة توثيقها تعد دافعاً رئيسياً للكتابة. وهذا ما أشارت إليه أطول آية في القرآن الكريم التي عرفت بآية الدين في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا

---

(١) انظـر: كُتّـاب النـبي ﷺ مصـطفى ألأعظمـي، ص: ١٧٩؛ وانظـر: محمـد حميـد الله، الوثـائق السياسـية للعهـد النبـوي والخلافـة الراشـدة، وأحمـد عبـدالرحمن عيسـى، كتـاب الـوحي، دار اللـواء، ط١، الريـاض، ١٤٠٠هـ، وجمـال الـدين أبي عبـدالله محمـد بـن أبي حديـده، المصـباح المضـيء في كتاب النبي ﷺ.

أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَٱسْتَشْهِدُوا۟
شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ
وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا
فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟ ۚ وَلَا
تَسْـَٔمُوٓا۟ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ
عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓا۟ ۖ إِلَّآ أَن تَكُونَ
تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا
تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوٓا۟ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا
شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُوا۟ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ
وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ [البقرة].

ولفظ كتب ومشتقاتها وما يرتبط بها وردت في الآية (٩) مرات وهذا دليل واضح على الأهمية.

وعُرف أن بعض النساء كنّ يُجدن الكتابة ويعلِّمنها بعض النساء في عصر الرسول ﷺ، ولعل ذلك كان بتشجيع من النبي ﷺ، ولا شك أنه بإقرار منه، فقد ورد أن الرسول ﷺ قال للشفاء بنت عبد الله وهي من بني عدي بن كعب من قريش أسلمت وهاجرت إلى المدينة ((ألا تعلمين حفصة رُقْيَة النملة كما علمتها الكتابة)).

[١].

وإذا كانت الشفاء قد علَّمت أم المؤمنين حفصة الكتابة فإنه لا يستبعد أنها عَلَّمت غيرها من النساء، كما أنه وجد غيرها من معلمات النساء القرأة والكتابة في المدينة في العصر النبوي.[٢] ونحن نعلم أن الحث على العلم والتعلم الوارد في السنة النبوية وقبله في القرآن الكريم ليس خاصاً بالرجال دون النساء، بل عامّاً للأمة بكافة أجناسها وأعمارها وفئاتها.

ولعل تصور عدد الكُتّاب في المدينة قبل هجرة النبي ﷺ وارتفاع عددهم بعد الهجرة بحوالي أربع سنوات، يعطينا انطباعاً عن مدى انتشار الكتابة في المدينة بعد الهجرة، وبتأثير مباشر من الرسول ﷺ وأحكام الشريعة وتطبيقها، حيث من المتوقع أن العدد تضاعف ثلاث أو أربع مرات. ولاشك أن القراءة والقلم الأداة الأولى للعلم هي ما أشير إليه في أول آيات نزلت على المصطفى ﷺ: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ

---

(١) ابن القيم، زاد المعاد، ج٣/٢٤.

(٢) انظر: عبدالعزيز العمري، الحرف والصناعات في الحجاز في العصر النبوي، القراءة والكتابة، ص : ٣٥.

ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴿٥﴾ ﴾[العلق].

مع التأكيد –في القوت نفسه– على حال النبي ﷺ وأن أميته معجزة في حقه: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾[العنكبوت].

التنمية الاجتماعية.

كان مجتمع المدينة قبل الإسلام وهجرة النبي ﷺ كأي مجتمع عربي جاهلي تسوده أعراف جاهلية وعادات قبلية، فيها الكثير من الجهل وبعض من تلك العادات كان مستحسناً.

وأينما حل الرسول ﷺ، وهو المبعوث رحمة للعالمين، حلت معه الأخلاق العالية والصفات الحميدة التي جاء بها، وأراد الله نشرها بين الناس، وبالتالي بدأت تمتد يد التغيير الاجتماعي في مجتمع المدينة.

ولعل من أهم القضايا المساهمة في التلاحم الاجتماعي وتحديد المسؤولية[1]، ونشر الصدقة والزكاة

---

(١) حركات: إبراهيم السياسة والمجتمع في العصر النبوي، دار الآفاق الجديدة، المغرب، ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م ص٢٣٧.

ومواساة المحتاجين من الفقراء، حيث عم التكافل الاجتماعي، سواء ما حصل بين المهاجرين والأنصار، أم ما حصل للمحتاجين من عامة المسلمين، بل والصدقة والإحسان على غير المسلمين، إضافة إلى التوجيهات النبوية بالعفة والاستغناء عن الآخرين ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ [المعارج].

وكانت هناك مصادر للدخل تؤدي لفساد أخلاقي واجتماعي حاربها الرسول ﷺ، من ذلك أعمالاً فاسدة تتعلق بالجواري ذوات الرايات الآتي نزل فيهن: ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ ﴾[النور].

وأما الزنا فقد جاء الإسلام حاسماً في تحريمه وتشديد العقوبة عليه، وهو من أهم أبواب الفساد الاجتماعي، وضياع الأنساب واختلاط النطف وتفشي الأمراض النفسية، وضياع المسؤوليات وقطيعة الأرحام وجاء التشديد في ذلك يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ ﴾[المؤمنون].

كما جعل للأزواج حقوقاً محدد، وأمر بالاحترام

وحســن العلاقــة بينهمــا والمــودة والرحمــة والإحســان المتبــادل، وطبــق ﷺ ذلــك في تعاملــه مــع زوجاتــه فكــان مثالاً حياً في هذا الجانب [١].

وجــاء تحــريم الزنــا ليوقــف أضــراراً اجتماعيــة، وفســاداً أســرياً وانحــلالاً للأواصــر الاجتماعيــة يحــدثها الزنــا، كمــا أن في منعــه منعــاً لانتشــار الأمــراض الجنســية الــتي تصــيب ممارسـيه وتنتقـل مـن زان لآخـر ومـن زانيـة لأخـرى، ولعـل انتشـار الإيـدز وغـيره مـن الأمـراض الجنسـية في هـذه الأيـام يــذكر بأهميــة تحــريم الزنــا وفائــدة هــذا التحــريم علــى الإنسانية جمعاء.

كمـا كانـت الخمـور تشـكل عبئـاً كـبيراً علـى المجتمـع، وتعـد مـن مصـادر الفخـر لـدى العـرب، مـع أنهـا تجلـب المشـاكل المختلفـة، فجـاء الإسـلام ليحرمهمـا تـدريجياً حتـى أصــبحت مــن الكبــائر، [٢] فــتغير ســلوك كــثير مــن النــاس

---

(١) الكمــداني: أديــب، فــن تعامــل النــبي في الحيــاة الزوجيــة، ط١، دار البشــائر الإسلامية، دمشق ١٤٢٥هـ، ص ١٧.

(٢) انظــر: صــحيح البخــاري، كتــاب الأشــربة: (بــاب إنمــا الخمــر والميســر والإنصــاب والأزلام رجــس مــن عمــل الشــيطان)، وانظــر: الأحاديــث مــن رقم ٥٥٧٥ حتى ٥٦٠٢.

بتحريمها.

وقد جاء الإسلام لزيادة الروابط الاجتماعية فجعل صلة الرحم من أعظم القربات إلى الله تعالى وتفقد ذوي الأرحام والإحسان إليهم والنفقة عليهم من أبواب الثواب العظيمة مقرونة بالتوحيد والعدل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾﴾ [النحل].

كما جعل بر الوالدين واجباً شرعياً مقروناً بطاعة الله تعالى والتقرب إليه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ [الإسراء].

وجعل حسن العلاقة بالجار واجباً شرعياً ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [النساء].

وجعل التعاون على البر والتقوى سمة اجتماعية عامة قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلًا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنًاۚ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾ [المائدة].

كل هذا عمل على زيادة التلاحم الاجتماعي وإصلاح المجتمع في المدينة بعد الهجرة، والرقي به وتفقد بعضه بعضاً وعفو البعض عن الآخرين.[1] ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الشورى].

ناهيك عن الوصايا العامة في الأخلاق وحسن التعامل والإعراض عن الجاهلين: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ

---

(١) كُتبت عدة مؤلفات حول التغير الاجتماعي من خلال السيرة النبوية من ذلك كتاب حنان اللحام، هدي السيرة النبوية في التغيير الاجتماعي. دار الفكر، بيروت، ودمشق، ط٢، ١٤٢٣هـ.

عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾ [الفرقان].

﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الفرقان].

كما أمر بالدفع بالحسنى عند الضرورة ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [فصلت].

وجعل الأخلاق العالية هدفاً سامياً للفرد والمجتمع.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [الحجرات].

وجعل الناس سواسية كأسنان المشط، ولم يفرق بينهم، وأعلن القرآن أن أصل البشرية واحد ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ

أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحجرات].

وحرم التكبر والاستعلاء على الآخرين: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ ﴾ [لقمان].

وجعل صلاح المجتمعات والأرض عموماً هدفاً عاماً للمسلم ﴿ وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأعراف].

وجعل التواصي بالحق والصبر عليه أمراً إنسانياً واجبا: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾ [العصر].

هذه القيم الاجتماعية حلت في مدينة الرسول ﷺ مع الرسول بعد الهجرة، وأحدثت تنمية اجتماعية لم يعرف تاريخ الإنسانية لها مثيلاً، ولم يتوقف أثرها في المدينة وحدها وفي عصره ﷺ، بل إن المدينة كانت مدينة طيبة كما سماها الرسول ﷺ امتد أثرها إلى العالم قاطبة بهذه المعاني التي نقلها الصحابة وأتباعهم جيلاً بعد جيل، فأنارت العالم فكانت المدينة

كالشجرة الطيبة: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [إبراهيم].

كما أن العبادات الإسلامية كلها دافع للسلوك والقيم ناهية عن الفحشاء والمنكر ومنها الصلاة :﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[العنكبوت].

التنمية الصحية.

كانت المدينة قبل وصول الرسول ﷺ تعاني عدداً من المشاكل الصحية لدى السكان، منها ما يرتبط بالبيئة، وخصوصاً الحمى المنتشرة بين أهلها بسبب المزارع وما يرتبط بها من مستنقعات، فدعا لها رسول الله ﷺ : (اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا وَفِي مُدِّنَا وَصَحِّحْهَا لَنَا وَانْقُلْ حُمَّاهَا إِلَى الْجُحْفَةِ).[1] ومن الواضح من الدعاء اهتمام

---

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل المدينة، ج٢/٢٢٥

الرسول ﷺ بصحة المدينة وأهلها.

كما أن الرسول ﷺ مرض كغيره من البشر[١]، وشجع الناس على التداوي[٢]، والبحث عن العلاج في قوله: ((ما أنزل الله من داء إلا أنزل له شفاء)).[٣]

وداوم على التطبب. وكان يؤكد على العلاج الطبيعي كالعسل وغيره فقد ورد عنه ﷺ أنه قال: ((الشفاء في ثلاثة: شربة عسل وشرطة محجم وكية نار، وأنهى أمتي عن الكي)).[٤]

كما وقف ﷺ موقفاً حازماً من الخرافات التي تسبب الأمراض النفسية والجسدية من الطيرة والتشاؤم، وأثبت للناس الفأل الحسن، وكان يأمر باستعمال بعض

---

(١) انظر: مؤنس، حسين، التاريخ الصحي للرسولﷺ سلسلة اقرأ، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٠م .

(٢) انظر:الفيروزآبادي، أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب، تحقيق أحمد عبد الرحيم السايح وعمر حمزة، من هدي النبي المسمى " سفر السعادة" ، مركز الكتاب، ط١، ١٤١٧هـ.ص٢٢٨.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، فتح الباري، ج٢١/٢٥٠.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون، ج٧/٢٠، وانظر شرحه عند ابن حجر، فتح الباري، ج٢١/٣٤٢.

النباتات كالحبة السوداء وغيرها.[١]

أما في مجال الطب الوقائي فقد وضع ﷺ أساسه في قوله: ((إذا سمعتم بالطاعون في أرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها)).[٢]

كما أنه وضع قواعد مهمَّة في الصحة والطب الوقائي والعلاجي، من خلال الحمية وعدم الإسراف في الأكل وصيام الفريضة والتطوع، ومن ذلك قوله: ((ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا بد فاعلاً فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه)).[٣]

وكان ﷺ يُقرُ دعوة الأطباء للمرضى، كما حصل لسعد بن أبي وقاص حين مرض في حجة الوداع.[٤]

وقد حارب ﷺ الشعوذة وإتيان الكهان للعلاج، واقر الرقية الصحيحة من القرآن والدعاء ﷺ.

---

(١) انظر: ابن القيم، الطب النبوي، ص ٢٢٩.
(٢) صحيح البخاري، فتح الباري، ج٣٠٣/٢١.
(٣) ابن القيم، زاد المعاد، ج٦٨/٣.
(٤) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١٤٧/٣؛ والبخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب حجة الوداع، حديث رقم: ٤٤٠٩.

وكانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ (رضي الله عنها) في غزوة أحد تعالج جروح النبي ﷺ بالرماد حتى انقطع الدم.

وفي أيامه ﷺ أقيم أول مستشفى في الإسلام، حيث أقامت رُفيدة الأسلمية (رضي الله عنها) في غزوة الخندق خيمة في مسجد رسول الله ﷺ تداوي فيها الجرحى،[(١)] وقد وضع فيها رسول الله ﷺ سعد بن معاذ بعد جرحه في غزوة الخندق، فقال: ((اجعلوه في خيمة رُفيدة حتى أعوده من قريب)).[(٢)] كما ساهمت أوامر الرسول ﷺ بالنظافة والحرص على الاغتسال في الحد من الأمراض وانتشارها.

وكان لوصاياه ﷺ في نظافة الأكل وطرق حفظه وتغطيته دور في المحافظة على الصحة العامة للإنسان.

وحث الرسول ﷺ على الختان وبعض الأعمال الجسدية التي تساهم في الحد من الأمراض والجراثيم في

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/٢٣٨؛ وابن حجر، الإصابة، ج٤/٣٠٣؛ الطبري، تاريخه، ج٣/٦٧٣.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/٢٣٨.

قولــه: ((خمــس مــن الفطــرة، الختــان، والاســتحداد، وتقليم الأظافر، ونتف الإبط، وقص الشارب)).[١]

وقـد ألفـت كتـب متعـددة في الطـب النبـوي كلـها مبنيـة علـى مـا ورد عـن الرسـول ﷺ في سـنته،[٢] كمـا عقـدت عـدة مـؤتمرات علميـة معاصـرة عـن الطـب النبـوي، تؤكـد التوجه المعاصر للطب البديل.

وقـد أثـرت تلـك التعليمـات عمومـاً في المدينـة المنـورة، وتـأثر بهـا أهلـها وطبقوهـا في حيـاتهم العامـة والخاصـة، وإن كانـت موجهـة لعامـة الأمـة، إلا أن مجتمـع المدينـة في أيـام الرسـول ﷺ تـأثر بهـا وأحـدثت فيـه نقلـة قبـل غـيره وسـاهمت في تطـويره صـحياً ذلـك التطـور الـذي بـدأ لحظـة وصـول الرسـول ﷺ إلى المدينـة، ولا يـزال أثـره إلى اليـوم وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

التنمية الاقتصادية.

كـان رسـول الله ﷺ منتجـاً منـذ صـباه، فقـد رعـى الغـنم

---

(١) صحيح مسلم، ج١/١٥٢.

(٢) انظـر: ابـن القـيم، الطـب النبـوي ؛ الـذهبي، الطـب النبـوي ؛ ابـن جلجـل، طبقات الأطباء ؛ ابن أبي أصيبعه؛ طبقات الأطباء.

علـى قـراريط لأهـل مكـة، لكـي يكسـب ويسـاعد عمـه أبـا طالـب في إعاشـة أولاده، وقـد قـال ﷺ: ((مـا بعـث الله نبيـاً إلا ورعـى الغـنم قـالوا: وأنـت يـا رسـول الله؟ قـال: وأنـا كنـت أرعاهـا علـى قـراريط[1] لأهـل مكـة)).[2] وحـين بلـغ ﷺ مبلـغ الرجـال اسـتأجرته خديجـة ليتـاجر لهـا في مالهـا،[3] فكانت له رحلات متعددة لأجل التجارة.

ومـن أقوالـه ﷺ في الحـث علـى العمـل والإنتـاج ((مـا أكـل أحـد طعامـاً قـط خـير مـن أن يأكـل مـن عمـل يـده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده)).[4]

وكـان ﷺ يضـرب الأمثلـة للصـحابة بالأنبيـاء العـاملين الحرفيين المنتجين فقال: ((كان زكريا نجاراً)).[5]

وقـد وردت عنـد المحـدثين أبـواب مختلفـة مليئـة

(١) جمع قيراط، وهو الجزء من الدينار . ابن حجر، فتح الباري، ج١٠/٥.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، ج٣/٤٨، باب رعي الغنم على قيراط، حديث رقم: ٢٢٦٢.

(٣) انظر: زواج الرسول ﷺ من خديجة وترجمتها من هذا الكتاب.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، باب كسب الرجل من عمل يده، حديث رقم: ٢٠٧٢.

(٥) سنن ابن ماجه، ج٢/٧٧٣.

بالأحاديث النبوية التي تحث على الكسب والإنتاج والعمل، منها عند البخاري (باب كسب الرجل من عمل يده).(١)

وعند ابن ماجه (باب في الحث على المكاسب)(٢) وعند الدرامي (باب في الكسب وعمل الرجل بيده).(٣)

وكان سلوك الرسول ﷺ مع أصحاب المهن والعاملين في المدينة مشجعاً لهم، فها هو يستجيب لدعوة خياط إلى طعام،(٤) ويودع ابنه إبراهيم للرضاعة عند امرأة حداد).(٥)

وكانت لهذه التصرفات وغيرها دور في تغيير نظرة أهل المدينة وغيرهم من العرب الذين كانوا يحتقرون بعض المهن كالحدادة، وغيرها.(٦)

---

(١) صحيح البخاري، كتاب البيوع، الأحاديث من رقم: ٢٠٧٠إلى ٢٠٧٥.

(٢) سنن ابن ماجه، ٢/٧٧١.

(٣) الدارمي، سننه، ج٢/٢٤٧.

(٤) انظر: صحيح البخاري، ج٣/١٣.

(٥) ابن حجر، الإصابة، ج٤/٩٨.

(٦) انظر: عبدالعزيز العُمري، الحرف والصناعات في الحجاز في العصر

وكان للآثار النبوية في هذا الجانب دورها في ما ألفه العلماء المسلمون، حول الكسب والعمل والإنتاج عبر العصور.[1]

وقد ساهمت تشريعات الإسلام المختلفة التي طبقها ﷺ في زيادة الإنتاج في المدينة، ونموها الاقتصادي في المجالات كافة ومنها:

تنمية التجارة.

حينما وصل الرسول ﷺ إلى المدينة كانت التجارة تتركز في يد يهود، لهم السيطرة على أسواقها، وخصوصاً سوق بني قينقاع[2] المعروف باسمهم، وهو أشهر أسواق المدينة، حين هاجر الرسول ﷺ إليها، وكان الرسول ﷺ حريصاً على أن لا يُغلب المسلمون على الأسواق واقتصاديات المدينة.

النبوي، (موقف الإسلام من الحرف والصناعات)، ص ٤٣.

(١) انظر: الخزاعي، تخريج الدلالات السمعية، على ما كان في عهد الرسول ﷺ من الحرف والصنايع والعمالات الشرعية؛ وأبي بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلاف، ت: ٣١١هـ؛ الحث على التجارة والصناعة والعمل.

(٢) عمر بن شبه، تاريخ المدينة، ج١/٣٠٤.

ومـن المعـروف أن المدينـة المنّـورة بلـد زراعـي بالدرجـة الأولى قبـل الهجـرة النبويـة وبعـد الهجـرة، ولم يمنـع ذلـك من وجود من يشتغل في التجارة .

والتجـارة قبـل الهجـرة النبويـة كانـت متركـزة في أيـدي يهـود المدينـة أكثـر مـن غيرهـم ولـذلك سمـي بـ (سـوق بـني قينقـاع) بـاسمهم، [1] لأنهـم كـانوا أكثـر المشـتغلين بـه والمسـيطرين عليـه. وتُعـد سـوق بـني قينقـاع أهـم أسـواق المدينـة في العصـر الجـاهلي، وكـان النـاس يأتونهـا مـن كـل مكـان وتـزدحم بهـم باسـتمرار، وكـان النـاس يتبـايعون فيهـا ويلتقـي فيهـا الشـعراء والأدبـاء، وكـان لـبعض العـرب مـن الأوس والخـزرج نشـاط تجـاري فيهـا، مـع وجـود أسـواق صـغيرة خاصـة بهـم، مثـل سـوق (مـزاحم)، [2] إلا أن أسـواق المدينـة وتجارتهـا بصـفة عامـة كانـت أقـلّ مـن مكـة بكثير.

وتمتـاز المدينـة عـن مكـة بمنتجاتهـا الزراعيـة مـن التمـور وغيرهـا، ممـا جعـل الأعـراب يقـدمون إليهـا لشـراء هـذه

---

(١) عمر بن شبه، تاريخ المدينة، ج١/٣٠٤.

(٢) السمهودي، وفاء الوفاء، ج٤/١٣٠٦.

التمور، كما أن أهل مكة وغيرهم يأتون إلى المدينة لشراء التمور والمنتجات الزراعية الأخرى، وبعض المصنوعات البسيطة، وذلك مما أوجد نشاطاً تجارياً ملموساً في المدينة أواخر العصر الجاهلي، وكان اليهود في المدينة يسيطرون على رؤوس الأموال ويقرضون الناس بالربا وكانت الأموال تساعدهم في السيطرة والنفوذ داخل المدينة.

وللأوس والخزرج دور في اقتصاديات المدينة، إلا أن دورهم الزراعي كان أقوي من التجارة.

وحينما هاجر الرسول ﷺ وأصحابه إلى المدينة المنّورة كان معظم المهاجرين معه من قريش وفيهم نزعة التجارة، فكان الكثير منهم ما أن يصل إلى المدينة حتى يسأل عن السوق، فيشتري ويبيع بحثاً عن الرزق، فعبد الرحمن بن عوف ﷺ لما قدم المدينة آخى الرسول بينه وبين (سعد بن الربيع) فقال سعد بن الربيع: إني من أكثر الأنصار مالا، وسوف أقسم مالي بيني وبينك، وانظر أي زوجتَّي هويت نزلت لك عنها، فإذا حلّت تزوجتها، فقال له عبد الرحمن بن عوف: لا حاجة لي بذلك، ولكن هل من سوق فيه تجارة؟ قال: سوق بني

قينقاع، ثم إن عبد الرحمن بن عوف أخذ يتردد على السوق حتى جمع مالاً كبيراً ثم تزوج.[(١)]

وكان عمر ﷺ ممن يتاجر في الأسواق بعد الهجرة، حتى أنه حين فاته حديث رسول الله قال لمحدثيه: (ألهاني الصفق بالأسواق).[(٢)]

وحينما يأمر الرسول أصحابه بالصدقة كانوا ينطلقون إلى الأسواق للعمل ولو أُجراء، يقول أحد الصحابة (كان رسول الله ﷺ إذا أمر بالصدقة انطلق أحدنا إلى السوق فيحامل فيصيب المد وإن لبعضهم لمائة ألف).[(٣)]

وقد أحسّ الرسول ﷺ بسيطرة اليهود على التجارة في المدينة عن طريق سيطرتهم على سوق بني قينقاع، فأراد ﷺ أن يجعل للمدينة سوقاً آخر بعيداً عن سيطرة اليهود، فضرب رسول الله قباء في موضع (بقيع ابن الزبير) فقال هذا سوقكم، فأغاظ هذا العمل اليهود وأحسوا بخطر

---

(١) انظر : رواية البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب كيف آخى النبي ﷺ بين أصحابه، حديث رقم: ٣٩٣٧؛ .

(٢) صحيح البخاري، ج٣/١٩.

(٣) صحيح البخاري، ج٣/٥٢، ويفهم من الحديث أنهم اغتنوا بعد ذلك حتى وصل بعضهم إلى مائة ألف درهم أو دينار.

هـذا السـوق ومنافسـته لهـم، فجـاء كعـب بـن الأشـرف فـدخل القبـة وقطـع أطنابهـا، فقـال رسـول الله ﷺ: لا جـرم لأنقلـها إلى موضـع هـو أغـيظ مـن هـذا، فنقلـها إلى موضـع سـوق المدينـة، ثـم قـال: (هـذا سـوقكم، فـلا يـنقص منـه أو لا يضيق، ولا يؤخذ فيه خراج).[١]

منـع الرسـول ﷺ أن يؤخـذ علـى أحـد كـراء في سـوق المدينـة الجديـد ممـا سـبب ازدهـاره وكثـرة الوافـدين إليـه، كـان اختيـار الرسـول لهـذا السـوق موفقـاً، حيـث كـان بمثابـة المـدخل للمدينـة للقـادمين مـن جهـة الشـام أو مـن مكـة والـيمن أو مـن مـواطن القبائـل المجـاورة الأخـرى، ممـا جعـل سـوق المسـلمين يتلقـى الوفـود والتجـار حـال وصـولهم إلى المدينـة، وقبـل وصـولهم سـوق بـني قينقـاع، ممـا أغضـب اليهـود، ولاشـك أن لهـذا العمـل دوره في ازدهـار التجـارة والبيـع والشـراء بـين المسـلمين وغيرهـم وتحريـك الجانـب الاقتصادي لديهم.

وزادت التجـارة في سـوق المسـلمين بالمدينـة تـدريجياً؛

(١) السـمهودي، وفـاء الوفـاء، ج٢/٧٤٩؛ عمـر بـن شـبه، تـاريخ المدينـة، ج١/٣٠٤؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٨.

نتيجة نشاط المهاجرين الذين كان أغلبهم من قريش والتجارة تجري في عروقهم، فكان أبو بكر وعمر وعثمان ﭫ ممن يعملون في البيع والشراء، وكان عثمان ﭬ وطلحة بن عبيد الله ممن يبيعون (البُر) في سوق المدينة.

وكان الرسول يمر على إلى البائعين في سوق المدينة ويشتري منهم ويحذرهم من الغش، وقد عُرف الزبير بن العوام ﭬ تاجراً واشتهر في أسواق المدينة بذلك، وقيل له يوماً بم أدركت في التجارة ما أدركت؟ فقال: لم اشتر معيباً ولم أَرُدْ ربحاً والله يبارك لمن يشارك.[١] وقد كان الزبير يشارك في رحلات تجارية من المدينة إلى الشام أيام الرسول، فقد لقي الزبير رسول الله أثناء رحلة الهجرة في ركب من المسلمين كان الزبير معهم وهم تجار قافلون من الشام، فكسا الزبير رسول الله ﷺ وأبا بكر ثياباً بيضاء.[٢] وقد كان الكثير من الصحابة يرحلون في قوافل تجارية إلى الشام بعد الهجرة النبوية.

---

(١) الخزاعي، تخريج الدلالات السمعية، ص ٦٩٨.

(٢) ابن كثير، السيرة النبوية، ج٢/٢٤٩.(وانظر موضوع الهجرة النبوية)

وحدث أن قدمت إلى المدينة تجارة من الشام والرسول ﷺ قائم يخطب على المنبر يوم الجمعة، فانصرف الناس عن الرسول وذهبوا إلى العير حتى لم يبق مع النبي ﷺ إلا اثنا عشر رجلاً فنزل قوله: ﴿ وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [الجمعة].[(١)]

وقد كان بعض الصحابة ومنهم طلحة بن عبيد الله غائباً في تجارة إلى الشام، فقدموا بعد أن رجع رسول ﷺ من غزوة بدر، فضرب لهم بسهم من غنائم غزوة بدر،[(٢)] كما أنه أهدى من تجارته ثياباً بيضاً للنبي ﷺ وهو في طريق الهجرة، فدخل بها رسول الله ﷺ المدينة.[(٣)] وكان كثير من الأعراب فيما حول المدينة يقدمون إليها لشراء التمور وبيع ما لديهم من إنتاج كالسمن والأقط والأغنام والإبل، فكان للأعراب فيما

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب البيوع باب فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله، ج٢/٣.

(٢) انظر: ابن كثير، السيرة النبوية، ج٢/٥٠٩.

(٣) ابن أبي شيبه، المغازي، ص ١٥٢.

حول المدينة دور كبير في تنشيط التجارة فيها.[(١)]

وقد كانت أسواق المدينة كغيرها من أسواق الحجاز تعرض فيها السلع المختلفة سواء منها المنتجة محلياً أوالمستوردة من بلاد أخرى كالشام وغيرها.

وتمتاز أسواق المدينة عن غيرها بكثرة ما يعرض فيها من إنتاج زراعي من تمر وحبوب وغيرها من إنتاج المدينة، بالإضافة إلى سلع أخرى كالجلود والسلاح ومختلف أنواع الطعام، وتعرض فيه الإبل والغنم والخيل للبيع وسائر الأنعام، ولها أماكن مخصصة من السوق، فقد كان عبد الله بن عمر ﵄ ممن يبيعون الإبل في (البقيع).

وقد عرفت السمسرة في المدينة أيام الرسول ﷺ، وهي الدخول بين البائع والمشتري، وكانوا في سوق المدينة يسمون السماسرة، فقد ورد في حديث عن أحد الصحابة قال (خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نسمى السماسرة، فقال يا معشر التّجار إن الشيطان والإثم

(١) انظر: عبدالعزيز العمري، الحرف والصناعات في الحجاز في عصر النبي ﷺ، ص١٢٦.

يحضران البيع فشوبوا بيعكم بالصدقة)، [١] فدلّ على ذلك تسميتهم بالسماسرة وأن الرسول سماهم التجار.

والرسول ﷺ رغم انشغاله بالجهاد في سبيل الله إلا أنه أخذ يراقب أسواق المدينة بنفسه ويصدر توجيهاته لمن يرتاد السوق، فقد زار السوق مرة (ووجد عند أحد البائعين طعاماً فأعجبه حسنه فأدخل رسول الله ﷺ يده في جوفه فأخرج شيئاً ليس بالظاهر فأفف لصاحب الطعام ثم قال: لا غش بين المسلمين، من غشنا فليس منا). [٢]

وكانت للرسول ﷺ توجيهات كثيرة سار عليها المحتسبون فيما بعد، وكانت أساساً للبيوع في الإسلام كما هو وارد في كتب الحديث والفقه، [٣] وقد أخذ الخلفاء الراشدون والمسلمون من بعدهم أحكاماً كثيرة من زيارات الرسول ﷺ للأسواق، فكان أبو بكر رضي الله عنه يراقب الأسواق بنفسه، وكان عمر رضي الله عنه يراقب

---

(١) رواه الترمذي في سننه، ج٢/٢٥٩.

(٢) رواه الترمذي في سننه، ج٣/٦٠٦، ورواه الدارمي في سننه، ج٢/٢٤٨.

(٣) راجع: ابن قدامة، المغني، (٤ و ٥ و ٦)؛ فتاوى ابن تيمية، المجلد التاسع والعشرون، الفقه (البيع).

الأسـواق، ويعـيّن مـن يراقـب معـه في حضـوره أو في غيابـه. (١)

التنمية الزراعة.

الزراعــة مــن أهــم الحــرف الــتي عرفهــا الإنســان وأقـدمها، وذلـك لأنهـا تسـدّ حاجـة طبيعيـة لـدى الإنسـان فهـي أهـم المصـادر الأساسـية، يـتم عـن طريقهـا تـأمين الغـذاء للإنسـان، كمـا أنـه عـن طريقهـا يـتم تـأمين بعـض الحاجـات اللازمـة للإنسـان في صـناعات أخـرى ضـرورية، تعتمـد في خاماتهـا الأوليـة علـى الزراعـة، ومـن المعـروف أن الزراعـة في أي مكـان أو زمـان تتـأثر بعـدة عوامـل منهـا عوامـل بشـرية ومنهـا طبيعيـة، إضـافة إلى الأنظمـة والتشـريعات المرعيـة، ومنطقـة الحجـاز كمـا هـو معـروف منطقـة محـددة الزراعـة واسـعة يسـكنها العـرب بالدرجـة الأولى كمـا تسـكنها عناصـر أخـرى كـاليهود والمـوالي وغيرهم.

وكانت نظرة العرب للزراعة قبل الإسلام وفي الحجاز

---

(١) د. عبـد العزيـز العُمـري، الحـرف والصـناعات في الحجـاز في عصـر النـبي ﷺ، ص١٢٦ - ١٣١.

خاصة تختلف بين الأعراب البادية والحاضرة، فالعرب المتحضرون في الطائف وفي المدينة كانوا يعملون بالزراعة ولا يأنفون منها، أما أهل البادية فكانوا يحتقرون الزراعة ويسخرون من المزارعين. ولعل هناك بعض الظروف والمفاهيم التي دعتهم لذلك وكثير منها خاطئ. وحينما جاء الإسلام أخذ يشجّع على الزراعة والعمل فيها وفي غيرها من الحرف، وجعلها عبادة شريطة أن لا تصرف المسلم عن العبادات الأخرى وعن الجهاد، وقد وردت عدة آيات قرآنية فيها ذكر للزراعة ومنها قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾ [الأنعام].

فالقرآن هنا يذكر بالزراعة، كما يدعو الإسلام المزارعين إلى دفع زكاة ما يخرج لديهم من زرع.

و يقول الله تعالى في سورة أخرى: ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الواقعة].

وكـــان أصـــحاب الرســـول ﷺ يعملـــون بالزراعـــة في

المدينة، حيث كان الأنصار أصحاب مزارع فلما قدم عليهم المهاجرون ﷺ قال الأنصار للنبي ﷺ:

"يا رسول الله اقسم بيننا وبين إخواننا النخل، قالوا: (لا). فقالوا: تكفونا المئونة ونشرككم في الثمرة قالوا: سمعنا.[1]

وكان الرسول ﷺ يمنح إقطاعات لبعض الصحابة وغيرهم كي يستغلوها في الزراعة،[2] فقد أقطع الزبير بن العوام أرضاً بالمدينة استثمرها في الزراعة في حياة الرسول.[3]

كما أقطع على بن أبي طالب عيوناً نواحي ينبع اشتهرت فيما بعد بكثرة إنتاجها وعمل فيها على ﷺ

(١) انظر: هجرة الرسول صل إلى المدينة من هذا الكتاب.
وصحيح البخاري، ج٣/٦٧.

(٢) انظر: مسعود يحيى الآغا، الإقطاع الإسلامي في العصر النبوي، دراسة مقارنة مع كل من الإقطاعين الجاهلي والأوروبي في العصور الوسطى، سلسلة الجمعية التاريخية السعودية، الرياض، الإصدار الثاني، ١٤٢٧هـ.
العمري: أكرم ضياء، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في عصر النبوة، دار اشبيليا، الرياض، ١٤١٧هـ.ص١٧

(٣) انظر: نص الإقطاع وتخريجه عند محمد حميد الله، الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص ٣١٩.

بنفسه.[١]

كـذلك فـإن الرسـول ﷺ أمـر الصـحابة ﷺ باسـتغلال الأراضـي الزراعيـة وشـجّع علـى ذلـك فقـال ﷺ: (مـن أحيـا أرضـاً ميتـةً فلـه فيهـا عبـادة، ومـا أكلـت العانيـة منهـا فله منها صدقة).[٢] وهذا يعني أن ذلك نوع من العبادة.

كـذلك حـضّ الرسـول ﷺ مـلاّك الأراضـي علـى اسـتغلالها أو دفعهـا إلى مـن يسـتغلها، فقـال ﷺ : (مـن كانـت لـه أرض فليحرثهـا فـإن كـره أن يحرثهـا فليمنحهـا أخـاه فـإن كـره أن يمنحهـا أخـاه فليـدعها).[٣] وقـد شـجعّ الرسـول ﷺ علـى اسـتغلال الأراضـي ووضـع قاعـدة شـرعية سـارت عليهـا الأمـة مـن بعـده في تمّلـك الأراضـي حيـث قـال ﷺ (مـن أحيـا أرض مواتـا فهـي لـه)،[٤] كمـا ورد في حـديث آخـر عـن أم المـؤمنين عائشـة رضـي الله عنهـا قالـت: قـال رسـول ﷺ : (مـن أعمـر أرضـا ليسـت لأحـد

(١) عمر بن شيبه، تاريخ المدينة، ج٢/٢٢٢.
(٢) سنن الدارمي، ج٢/٢٦٧؛ والعانية الطير وغيره مما له روح.
(٣) سنن الدارمي، ج٢/٢٧٠.
(٤) صحيح البخاري، ج١٠/٨٤.

فهو أحق).[١]

وقد ورد الكثير من الأحاديث مما يرغّب المسلمين في الزرع، حتى أن البخاري رحمه الله جعل باباً في كتاب المزارعة سمّاه (باب فضل الزرع والغرس إذا أُكل منه).

وقد ورد عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول ﷺ ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلاّ كان له به صدقة)،[٢] كما روى أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (لو قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل).[٣]

تنمية التعدين.

التعدين هو التنقيب واستخراج المعادن الخام من مناجمها والاستفادة منها، وحيث إن بلاد الحجاز لا تخلو من المعادن، فإن التعدين قد عرف في العصر

---

(١) صحيح البخاري، ج١٠/٨٦.
(٢) صحيح البخاري، ج١٠/٦٧.
(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده، ج٣/١٩١؛ وانظر: د. عبد العزيز العُمري، الحرف والصناعات في الحجاز، ص ٨٥ - ٨٧.

الجاهلي ثم النبوي. ويتبين لنا ذلك من النصوص، حيث ذكر أن (أبا الحصين السُلمي) قدم بذهب من معدن، فأتى به النبي ﷺ.[١] وهم يطلقون لفظة (معدن) ويريدون به المنجم أو ما يؤخذ منه المعدن.

كما أن الرسول ﷺ أقطع (بلال بن الحارث المُزني) معادن القبيلة،[٢] وهي من أعمال الفرع بالمدينة وهي جبال بين المدينة وينبع. وكتب الرسول ﷺ لبلال كتاباً بذلك، وكان من المعادن المعروفة والمستغلة منذ القدم معدن (فَرَّان)، [٣] وهو لبني سليم، وهو فيما بين نجد والحجاز. وهو منجم للذهب ويسمى عند المؤرخين معدن بني سليم ويسمى حالياً (مهد الذهب)، وهي منطقة مشهورة حالياً بمناجمها شرق المدينة بما يزيد على مائة كيلو متر، وكان معروفاً في العصر النبوي، وكان هناك معدن بناحية كلاب قرب المدينة يقال له (الأحسن)،[٤]وهناك معدن بناحية الفَرْع على مقربة من

(١) ابن حجر، الإصابة، ج٤/٤٤.
(٢) ابن سلام، الأموال، ص ٣٤٨.
(٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤/٣٤٥.
(٤) الفيروز آبادي، المغانم المطابة، ص ٣٨٥.

المدينة يقال له (بَحْرَان)، [١] وقد ورد ذكر له من خلال نصوص السيرة النبوية مما يدل على أنه كان معروفاً بأنه معدن وقد وصله الرسول ﷺ. يقول ابن هشام (ثم غزا رسول الله ﷺ يريد قريشاً .. حتى بلغ بحران معدن بالحجاز من ناحية الفرع).[٢] كما ورد ذكر عن معدن يقع بين مكة والطائف يقال لها (المعدن) معدن (البرم)، [٣] وتشترك قريش وثقيف في معدن البرم وربما استغلاله، وبعد الفتح النبوي لمكة وإسلام الطائف، عُرف أن هذا المعدن استمر في العطاء واستفاد منه المسلمون في الطائف وغيرها.

ومن المعروف أن استغلال تلك المعادن كان بدائياً نظراً لإمكانات أهل المنطقة القليلة، وصعوبة الحفر والتنقيب في تلك الأيام، لأن الأعمال كلها يدوية والخبرات قليلة، [٤] ومما لا شك فيها أن تعامل الرسول

(١) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١/٣٤١.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/٤٦.

(٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١/١٥٤؛ وانظر: عبد الجبار، منسي العبيدي، الطائف، ص ٢٠.

(٤) د. عبد العزيز العُمري، الحرف والصناعات في الحجاز، ص ٢٧٩ ــ ٢٨٠.

ﷺ مع بعض أصحاب تلك المناجم (المعادن) فيه شيء من التشجيع، بدليل إقطاعه بعض المعادن، والإقطاع يهدف لاستثمارها والعمل فيها وتنميتها واستخراج معادنها. كما كان للتشريعات المرتبطة بأنصبة الزكاة في الركاز وتدخل فيها المناجم (المعادن)، دور في تقوية دورها الاقتصادي في حياة الأمة وتهيئة المسلمين لاستغلالها وإدراجها في منظومة الزكاة والأنشطة الاقتصادية.

تنمية الصناعات.

الحدادة:

كانت المدينة كغيرها من مدن الحجاز تحتوي على بعض الصناعات البسيطة وخصوصاً التحويلية، وكان العرب يحتقرون بعضاً منها، فيمتهنها الموالي واليهود بالدرجة الأولى ومن ذلك الحدادة.

وحينما جاء الإسلام حاول الرسول ﷺ أن يغير من تلك النظرة، فهو ﷺ يصف زكريا بأنه نجار، ويوصف داود في القرآن الكريم بعمل الدروع وصناعة الحديد، ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنْ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾

﴾[الأنبياء] ثم يقول الرسول ﷺ قارناً بحديثه عن داود عليه السلام ((ما أكل أحد طعاماً قط خير من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده)).[١]

وقد كان خباب بن الأرت حداداً في مكة قبل الهجرة، ولم يعب عليه الرسول ﷺ، ولعله بعد هجرته إلى المدينة استمر في المهنة نفسها.

وقد استرضع الرسول ﷺ لابنه إبراهيم من امرأة أبي سيف وكان حداداً في المدينة وحدث أنه ﷺ (أتى إلى أبي سيف وكان ينفخ في كيره وقد امتلأ البيت دخاناً).[٢]

وقد اهتم الرسول ﷺ بالتسليح وإعداد القوة بعد الهجرة، وخصوصاً بعد فرض الجهاد، و هذا الأمر ساعد في ازدهار الحدادة إضافة، إلى ازدهار الزراعة بأدوات جديدة كالمحراث وغيره.

ولعل مما يلفت النظر تسمية سورة من سور القرآن الكريم بسورة الحديد، مما يدل على أهمية تصنيعه والاستفادة منه، وفيها قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا

(١) رواه البخاري، في صحيحه، (٣/٩).
(٢) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٤/٩٨.

مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الحديد].

وقد تغيرت نظرة الناس إلى هذه المهنة، مساعد في ازدهارها في المدينة المنورة بعد هجرة الرسول ﷺ وتغير مجتمع المدينة في نموه وحضاريته.(١)

الصياغة.

اشتهرت في المدينة، وهي العمل في سبك الذهب والفضة وغيرها من المعادن الثمينة وتحويلها إلى حلي وغيرها. وكان بعض العرب يحتقر هذه الصناعة وبالتالي تخصص بها اليهود والموالي، وأثروا منها ثراء فاحشاً، وقد ذكر في سبب غزوة بني قينقاع ((أن امرأة من المسلمين جلست إلى صائغ من بني قينقاع فجعلوا يريدونها على كشف وجهها فعمد الصائغ إلى ربط ثوبها إلى ظهرها فلما قامت انكشفت عورتها)).(٢)

---

(١) انظر : عبدالعزيز العمري، الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول ﷺ، ص : ٢٧٣.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤٨/٣؛ وانظر: د. أكرم العُمري، المجتمع

وقد دلت نصوص كثيرة على سيطرة يهود بني قينقاع على الصياغة وصناعة الحلي بالمدينة، حتى أن بعض الناس كانوا يعملون لهم. وقد ورد عن علي ﷺ ((لما أردت أن ابتني بفاطمة بنت رسول الله ﷺ واعدت رجلاً صواغاً من بني قينقاع أن يرتحل معي فنأتي بأذخر أردت أن أبيعه من الصواغين، واستعين به في وليمة عرس)).[1]

وكانت لدى نساء الأنصار حلي معقولة، كثيراً ما يتصدقن بشيء منها حين يدعوهن رسول الله ﷺ للصدقة.

وتعد الحلي من الترف، وليست من الحاجات الضرورية، ولذلك لم نجد حظاً عليها، بل ربما ورد شيء من التحذير عن الزيادة في الحلي واقتنائها أو استخدام الذهب والفضة في آنية الطعام.[2]

ومع ذلك فإن الرسول ﷺ صنع خاتماً من فضة كان

المدني في عهد النبوة، القسم الأول، ص ١٣٩.

(١) رواه البخاري في صحيحه، ح١٣/٣.

(٢) مالك، الموطأ، ص ٧٩٩.

يختم به كتبه،[(١)] وهذا بالطبع من عمل صواغ المدينة. وقد اقتدى به بعض الصحابة في التختم بالفضة.[(٢)]

الدباغة والخرازة.

تقوم الدباغة على إصلاح جلود الحيوانات ومعالجتها ببعض النباتات والصخور، ونزع الصوف والشعر منها وتنظيفها وتليينها وتبديل رائحتها بما يجعلها جلوداً صالحة للتحويل لأدوات معينة، وهذا ما عرف بالدباغة، وصناعة الأحذية والقرب وغيرها تتم من الجلود الخام فيما يسمى بالخرازة.[(٣)]

ويستعمل ثمر شجر القرظ وغيره للدباغة، وقد عرف أحد الصحابة بمسمى سعد القرظ، وذكر أنه كان يربح من جمع القرظ وبيعه، فأمره الرسول ﷺ بلزوم ذلك لما أصابه من الرزق فسمى سعد القرظ.[(٤)]

---

(١) كتاب اللباس، وضع البخاري فيه ستة أبواب منها: باب اتخاذ الخاتم ليختتم به الشيء أو ليكتب به إلى أهل الكتاب، وباب لا ينقش على نقش خاتمه، ج٧/٥٣ - ٥٤).

(٢) البخاري في صحيحه، عمر بن شبه، تاريخ المدينة، ج٤/١١٥٩.

(٣) الزبيري، تاج العروس، ج٤/٣١٣.

(٤) ابن عبد البر، الاستيعاب، ج٢/٥٤، حاشية على الإصابة.

كمـا عرفـت عـدد مـن النسـاء المسـلمات في المدينـة يمارسـن الدباغـة والخـرازة، فهـذه أسمـاء بنـت عمـيس زوجـة جعفـر بـن أبـي طالـب يـدخل عليهـا رسـول الله ﷺ يبلغها باستشهاد جعفر وقد ((رتقت أربعين مناً)).(١)

وقـد ذكـر عـن أم المؤمنين سـودة بنـت زمعـة: إنهـا كانـت تعمـل الأديـم الطـائفي، كمـا أن أم المـؤمنين زينـب بنـت جحـش كانـت تـدبغ الجلـود وتخرزهـا وتتصـدق بثمنهـا علـى الفقراء.(٢)

وكانـت (رضـي الله عنهـا) ممـن يجيـد الخـرازة فتنـتج وتتصـدق مـن ذلـك،(٣) وقـد دخلـت الجلـود في صـناعة السـرج ولجـام الخيـل وبعـض المحـازم المرتبطـة بالسـلاح مـع دخولهـا في حاجـات المـزارعين، كالـدلاء والسـقاء وغيرهـا، ومـن المعـروف في زمـن الـنبي ﷺ زيـادة الاحتيـاج لمـا يـرتبط بالسـلاح والخيـل والزراعـة، بعـد هجـرة الـنبي ﷺ.

---

(١) ابـن حجـر، الإصـابة، ج٤/٤٨٦، ج٤/٣١٤؛ الكتـاني، التراتيـب الإدارية، ج٢/٥٧.

(٢) ابن حجر، الإصابة، ج٤/٣١٤.

(٣) د. عبـد العزيـز العُمـري، الحـرف والصـناعات في الحجـاز، ص ١٢٦ ـــ ١٣١.

وهـذا أدى إلى ازدهـار صـناعة الدباغـة والخـرازة، إضـافة إلى أن عمـل عـدد مـن نسـاء أهـل البيـت في هـذه الصـناعة شـجع الكـثيرين علـى مزاولتهـا وتعلمهـا. وكـون نسـاء مـن أمهـات المـؤمنين ينـتجن ويسـاهمن بـدور ولـو بسـيط في الإنتـاج بمعرفـة الرسـول ﷺ وإقـراره أدى إلى تشـجيع الآخـرين علـى الإنتـاج والعمـل والتأسـي بأمهـات المـؤمنين سـيدات المجتمـع المسـلم. وكـان الرسـول ﷺ كمـا هـو معـروف في مهنـة أهـل بيتـه يرقـع ثوبـه ويخصـف نعلـه ولا يترفع عن العمل الشريف.

النسيج.

النسـيج والخياطـة حرفتـان متكاملتـان تـدعم إحـداهما الأخـرى، فالخياطـة لابـد لهـا مـن نسـيج مسـبق والنسـيج لا تـتم الفائـدة منـه إلا بالخياطـة في الغالـب، يقـول ابـن خلـدون: (هاتـان الصـناعتان ضـروريتان في العمـران لمـا يحتـاج إليـه البشـر مـن الرَّفَـه)، [(١)] ثـم يقـول: (وهاتـان الصـنعتان قـديمتان في الخليقـة لمـا أن الـدفء ضـروري للبشـر في العمـران المعتـدل. وأمـا المنحـرف إلى البحـر فـلا يحتـاج

(١) ابن خلدون، المقدمة، ص ٤١١.

أهله إلى دفء).[١]

والنسيج حرفة ضرورية احترفها الناس منذ القدم لإيجاد الأقمشة الخاصة بالملابس، كما أنها ضرورية لوجود حاجيات أخرى من الأثاث كبيوت الأعراب (الخيام)، أو البسط وما إلى ذلك من الضروريات. وعند دراستنا للغزل والنسيج في أيام الرسول ﷺ فلا بد من معرفة لإمكانيات تلك البلاد من توفر المواد الخام للنسيج في بيئتها، وتوافر الأيدي العاملة، التي تقوم بعمل النسيج، مع الخبرة الفنية والمهارة اللازمة لهذه المهنة، وإن كانت محدودة مقارنة بغيرها.

كان (الصوف) متوفراً بكثرة نظراً لوفرة الثروة الحيوانية، وتتم الإستفادة من هذا الصوف والقيام بغزله، وكانت النساء يقمن بالنسيج في المدينة زمن الرسول ﷺ، فقد ورد في حديث رواه البخاري: (عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: جاءت امرأة ببردة. قال: أتدرون ما البردة؟ فقيل له: نعم هي الشملة منسوج في حاشيتها قالت: يا رسول الله إني نسجت هذه بيدي أكسوكها، فأخذها النبي ﷺ محتاجاً إليها فخرج إلينا وإنها

(١) مصدر سابق، ص ٤١٢.

إزاره، فقال رجل من القوم: يا رسول الله أكسنيها، فقال: نعم، فجلس النبي ﷺ في المجلس ثم رجع فطواها، ثم أرسل بها إليه فقال له القوم: ما أحسنت سألتها إياه، لقد علمت أنه لا يرد سائلاً، فقال الرجل والله ما سألته إلا لتكون كفني يوم أموت، فكانت كفنه).[١] وقد وضع البخاري باباً لهذا الحديث سمّاه (باب ذكر النُسّاج).[٢] ويدل هذا الحديث على إجادة بعض النساء للنسيج في المدينة، وأنهن كن يقمن بذلك وينتجن بعض الملبوسات المنسوجة، وقبول الرسول ﷺ هدية المرأة النساجة فخر وتشجيع لها، ولمن يزاول مثل مهنتها في مجتمع المدينة. وقد أشار القرآن إلى الاستفادة من الأصواف، في قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ﴿٨٠﴾ ﴾ [النحل].

و (المِغْزَل) هو: ما يفتل به الصوف بحيث يحول إلى خيوط صوفية ثم تنسج فيما بعد، وقد ورد ذكر (الغَزْل) في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثٗا تَتَّخِذُونَ

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، ج٣/١٤.
(٢) صحيح البخاري، ج٣/١٣.

أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [النحل]. (١)

وقد وجد رجال يجيدون الحياكة والنسيج، بدليل ما ورد عن سنان بن سعد ﵁ (قال: حكْتُ للنبي ﷺ جُبة من صوف وجعلت حاشيتها سوداء فلمّا لبسها قال: انظروا ما أحسنها وما أبهجها فقام إليه إعرابي فقال يا رسول الله هبها لي قال: فكان إذا سُئل شيئاً لم يبخل به فدفعها إليه وأمر أن تحاك له جبة أُخرى فمات وهي في المحاكة). (٢)

وقد وردت بعض الآثار تدل على أن بعض الصحابة كان يعمل الخز وهو نسيج يعمل من (إبريسم) وصوف وذكر من هؤلاء الزبير بن العوّام وعمرو بن العاص.

ولعل مما يدل على تشجيع هذه المهنة ورود عدة آثار عن أمهات المؤمنين ترغّب المسلمين في تعليم فتياتهم

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن، ج٢/١٠٧٢؛ الشوكاني في فتح القدير، ج٣/١٩٠.

(٢) الكتاني، التراتيب الإدارية، ج٢/٥٩.

ونسائهم الغزل حيث كانت أم المؤمنين أم سلمة (رضي الله عنها) تغزل باستمرار فقيل لها عن ذلك فقالت: إن المغزل يطرد الشيطان ويذهب بحديث النفس.(١) وفي هذا أيضاً إنتاج مقيد لصاحبه وللمجتمع، وأمهات المؤمنين تربية الرسول ﷺ.

وكانت أعمال النسيج في المدينة تسد الحاجة لبعض الملبوسات البسيطة، وكان الصوف غير المُصّنع يستفاد منه في أشياء أخرى كالفرش والوسائد، فقد بعثت إمرأة من الأنصار إلى النبي ﷺ بفراش محشو بالصوف، فقال النبي ﷺ لعائشة ردّيه (مخافة أن ينام عن صلاة الليل)،(٢) نتيجة لليونة الفراش.

كما أن الحبال ضرورية في الحلِّ والسفر، وكانت تصنع من الصوف والجلود، وتستخدم بعض الأشجار والنباتات لصناعة الحبال، وهي ما يسمى (المسد) وقد وردت في سورة المسد في قوله تعالى: ﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ ۝٥ ﴾ [المسد].

(١) الكتاني، التراتيب الإدارية، ج٢/١١٩- ١٢٠.

(٢) الذهبي، السيرة النبوية، ص ٣٣١.

والمسد: (شجر يدق كما يدق الكتان فتفتل منه الحبال).[(١)]

وكان بعض الصحابة يصنعونها من ليف النخل، وقد اشتهر عن بعضهم التبرع بها في الغزوات، كما أنهم كانوا يصنعون بعض الأثاث من الصوف كالبسط والسجاجيد، وكانت بدائية بسيطة تنسج مما يتوفر من أصواف الماعز وغيرها من الأصواف الخشنة.

وكانت البسط معروفة في المدينة أيام الرسول ﷺ، وكان ﷺ يضطجع على حصير فيؤثر في جلده، فقال له عمر بن الخطاب: بأبي وأمي يا رسول الله ألا آذنتنا فنبسط لك أي نضع البسط فقال ﷺ ما لي وللدنيا.[(٢)]

الخَواصَة.

حرفة اشتهرت في المدينة في زمن الرسول ﷺ، وهي نسج بعض الأدوات والأثاث من خوص النخيل، وكانت المدينة بلداً زراعياً اشتهر بالنخيل، وقد استفيد

(١) ابن كثير، تفسير القرآن، ج٢/٢٠٤٥؛ الشوكاني، فتح القدير، ج٥/٥١٢.

(٢) الذهبي، السيرة النبوية، ص ٣٢٩.

مـن جريـد النخيـل في عمـل الخـوص، فكـان الخـوص ينسـج منـه بعـض الأشـياء كالحصـر الـتي كـان الرسـول ﷺ يسـتعملها في بيتـه وينـام عليهـا، حتـى أثّـرت في جلـده، [(١)] وكـان الأنصـار في المدينـة يعملـون الخـوص، وسـلمان الفارسـي ﷺ اتخّـذها حرفـة يأكـل منهـا، وقـد اسـتمر سـلمان الفارسـي ﷺ في الخواصـة بعـد أن أصـبح أمـيراً علـى المـدائن، فكـان يقـول: إنـي أحـب أن آكـل مـن عمـل يدي، وذلك امتثالاً لما أخبر به الرسول ﷺ.[(٢)]

وكانـت بعـض النسـاء في عهـد الرسـول ربمـا تغـزل الخـوص وتنسـجه في المسـجد، ممـا يـدل علـى تشـجيع هـذا النـوع مـن الإنتـاج، وخصوصـاً حـين نعـرف نظافـة الخـوص وطيب رائحته.

وقـد اسـتفيد مـن ليـف النخـل في صـنع الحبـال، فقـد ورد عـن الرسـول ﷺ أنـه كـان في خيـبر علـى حمـار خطامـه مـن ليف.[(٣)]

---

(١) انظر: الذهبي، السيرة النبوية، ص ٣٢٩.

(٢) انظـر: عبـدالعزيز العمـري، الولايـة علـى البلـدان في عصـر الراشـدين، ص ١٧٧؛ ابن سعد، الطبقات، ج٤/١٨.

(٣) الخزاعي، تخريج الدلالات السمعية، ص : ٧٣٧.

واستفيد من الليف في حشو الوسائد والفرش، يقول عدي بن حاتم: إني مضيت مع رسول الله ﷺ حتى دخلت بيته فتناول وسادة من أدم محشوة ليفاً فقذفها إليَّ فقال اجلس على هذه.(١) ويذكر أنس أنه دخل على الرسول ﷺ وتحت رأسه مرفقة حشوها ليف.(٢)

كل هذه الأنواع من إنتاج المنسوجات من خامات متنوعة وردت فيها شواهد من سنة الرسول ﷺ، مما يدل على أنها أنتجت في وقت حظيت بتشجيع من الرسول ﷺ كدعم مادي للأفراد، وحاجات واقعية وتنمية اقتصادية لمجتمع المدينة المسلم.

الخياطة: (٣)

هي تفصيل الأقمشة والمنسوجات وتقطيعها قطعاً مناسبة للبدن، ثم وصل تلك القطع بعضها ببعض بواسطة الخياطة بالإبرة أو غيرها.

---

(١) انظر: وفادة عدي بن حاتم ضمن الوفود من هذا الكتاب.

(٢) الذهبي، السيرة النبوية، ص ٣٢٨.

(٣) وضع البخاري في صحيحه، في كتاب البيوع، باب ذكر الخياط، ج٣/١٣.

والحاضـــرة يهتمـــون بـــالملابس وشـــكلها أكثـــر مـــن غيرهــم، يقــول ابــن خلــدون: (وهــذه الصــناعة مختصــة بـالعمران الحضـري لمـا أن أهـل البـدو يسـتغنون عنهـا وإنمـا يشـــتملون الأثـــواب اشـــتمالاً، وإنمـــا تفصـــيل الثيـــاب وتقـديرها وإلحامهـا بالخياطـة للبـاس مـن مـذاهب الحضـارة وفنونها).(١)

وقـد كانـت الخياطـة معروفـة ومشـتهرة في المدينـة زمـن الـنبي ﷺ، ووجـد أنـاس يتخـذون مـن الخياطـة صـنعة لهـم يكتسـبون مـن ورائهـا وقـد وضـع البخـاري ﷺ في صـحيحه بابـاً سمّـاه بـاب (ذكـر الخياطـة)، وروى عـن أنـس بـن مالـك ﷺ قـال: (إن خياطـاً دعـا رسـول الله ﷺ لطعـام صـنعه، قـال أنـس بـن مالـك ﷺ فـذهبت مـع رسـول الله ﷺ إلى الطعـام).(٢) الحـديث، ويسـتدل مـن هـذا الحـديث علـى وجـود خيّـاط يعمـل بهـذه الحرفـة أيـام الرسـول، كمـا لا يفوتنـا أن هنـا توجيهـاً نبويـاً كريمـاً، حيـث كـان العـرب يحتقـرون أهـــل الصـــنايع ومـــنهم الخيّـــاط، فاســـتجاب الرسـول ﷺ لدعوتـه، ليـذهب مـا في نفـوس النـاس مـن

(١) ابن خلدون، مرجع سابق، ص ٤١١.
(٢) رواه البخاري في صحيحه، فتح الباري، ج٢/٦٠.

احتقار لأهل الصنايع عموماً، وتشجيع لهم على الأعمال المنتجة التي تسد جزءً من حاجة المجتمع.

وكان الرسول ﷺ كثيراً ما يقوم برقع ثوبه بنفسه فقد سُئلت عائشة (رضي الله عنها) عن رسول الله ﷺ فقالت: (كان رسول الله ﷺ إذا كان في بيته يخصف نعله ويخيط ثوبه ويعمل في بيته كما يعمل أحدكم في بيته).[(١)]

وهذا تشجيع على العمل والاكتفاء وقيام الإنسان بحاجاته تربية للذات على الإنتاج وعدم الكسل.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب ذكر الخياط، ج٣/١٣؛ وانظر: الذهبي، السيرة النبوية، ص ٣٢٤.

تنمية الحيوانات وتربيتها.

يقول الله تعالى في سورة النحل: ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٧ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨ ﴾ [النحل].

هـذه الآيـات الكريمـة الـتي وردت في القـرآن الكـريم في سـورة النحـل تـدل علـى فوائـد الإنسـان مـن تربيـة الحيوانـات أو (الأنعـام)، و أن الإسـلام راعـى كـل مـا يفيـد الإنسان من الأنشطة الاقتصادية.

ومـن المؤكـد أن مـن ذلـك الاعتنـاء بتربيـة الأنعـام ورعيهـا وتنميتهـا، وكـان مـن الحـرف الـتي عرفتهـا المدينـة في عصـر الرسول ﷺ.

رعي الغنم.

يعتـبر رعـي الغـنم مـن الحـرف الرئيسـية في حيـاة النـاس منـذ القـدم. وقـد ارتـبط رعـي الغـنم في أذهـان النـاس بـالنبوة والأنبيـاء، حيـث كـان الأنبيـاء رعـاة أغنـام قبـل أن يرسـلهم

الله للناس، ومروا بتجربة رعي الغنم واستفادوا منها.

فقد ورد في صحيح البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (ما بعث الله نبياً إلاّ ورعى الغنم فقال أصحابه وأنت يا رسول الله؟ قال ﷺ كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة).[1] ومن هذا الحديث يتبين لنا أن رسول الله ﷺ حين كان بمكة قبل البعثة اشتغل لفترة من الزمن راعياً للغنم، كما أنه أخبر أن غيره من الأنبياء أيضاً قد رعوا الغنم، وقد جعل الناس ينظرون لهذه المهنة باحترام خاص، ويعدونها من أشرف المهن وأنزهها.

وقد اعتنى الإسلام بتنظيم زكاة بهيمة الأنعام وتقييمها وتحديد أنصبتها مما يعني أنها أحد أهم موارد الاقتصاد.

كانت هناك مجموعات من الأغنام تخرج من المدينة للرعي، ثم تعود إليها في آخر النهار، حيث يستفيد أهلها من ألبانها في المساء، ثم تعود للرعي مرة أخرى في الصباح، وكانت هذه المجموعات تسمي (السِّرْاح)،

---

(١) البخاري في صحيحه، ج٣/٤٨.

وكـان للمدينـة في عصـر الرسـول ﷺ وأثنـاء وجـوده بهـا سـرح يخـرج للرعـي خـارج المدينـة ثـم يعـود في آخـر النهـار إليهـا، وكانـت هـذه الأغنـام تسـاهم في تـأمين الألبـان الـتي وردت أحاديـث كـثيرة في فضـلها، والتشـجيع عليهـا، وبالتالي زاد الاهتمام به وإنتاجه واستهلاكه.

وحـدث أنـه حـين قـدم الرسـول ﷺ مـن غـزوة العشـيرة في السـنة الثانيـة مـن الهجـرة أغـار كـرز بـن جـابر الفهـري علـى سـرح المدينـة، فخـرج رسـول الله ﷺ في طلبـه حتـى بلـغ وادياً يقـال لـه (سَـفْوان)، [1] مـن ناحيـة بـدر وفاتـه كـرز بـن جابر ولم يدركه، وقد سميت بغزوة (بدر الأولى).

ففي القرآن يقول الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [النحل]، وكان للرسول ﷺ سبع منائح من الغنم

---

(١) ابـن هشـام، السـيرة النبويـة، ج٢/٦٠٠؛ السـهلي، الـروض الأنـف، ج٣/٢٢؛ ابـن كثـير، السـيرة النبويـة، ج٢/٣٦٤؛ وانظـر: الزبيـدي، تـاج العـروس، ج٢/١٦٣.(وسـفوان الأرجـح أنـه واد بـين المدينـة وبـدر لم يحـدد بدقـة، انظـر: عـاتق غيـث الـبلادي، معجـم الأمـاكن الـواردة في السـيرة، ص١٥٨)

والماعز يرعاهن أيمن بن أم أيمن يستفيد من ألبانها.(١)

وقد نهى رسول الله ﷺ أن يحلب أحد ماشية غيره إلاّ بإذنه محافظة على هذه الثروة لأصحابها، فقد روي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (لا يحلبن أحد ماشية أمريء بغير إذنه، أيحب أحدكم أن تؤتى مشربته، فتكسر خزانته فينقل طعامه، فإنما تخزن لهم ضروع مواشيهم أطعمتهم، فلا يحلبن أحد ماشية أحد إلاّ بإذنه).(٢)

وكان الرعاة يصطحبون معهم الكلاب التي تساعدهم في حماية أغنامهم من الذئاب، كما تساعدهم على تجميع هذه الأغنام عند الحاجة، وقد ورد في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (من أمسك كلباً فإنه ينقص كل يوم من عمله قيراط إلاّ كلب حرث أو ماشية، وفي رواية إلاّ كلب غنم أو حرث أو صيد).(٣) وفي هذا رخصة لمربي الأغنام.

---

(١) الطبري، تاريخه، ج٣/١٨٤.
(٢) رواه البخاري في صحيحه، ج٣/٩٥.
(٣) البخاري، فتح الباري، ج١٠/٧٠.

و الاهتمام بالثروة الحيوانية وتنميتها وحث الرسول ﷺ على الاستفادة منها ومن إنتاجها من أهم الدوافع للمجتمع المدني بعد الهجرة لمزيد من الاهتمام بهذه الثروة الاقتصادية التي تساهم في سد حاجة المجتمع من الطعام بلحومها وألبانها، ومن اللباس والمتاع بجلودها وأصوافها وأوبارها، تبعاً للإشارات الواردة في آيات القرآن الكريم، كما أن تسمية سورة من سور القرآن بسورة (الأنعام) يبين أهميتها في الحياة الإنسانية.

الجمع والاحتطاب.

كان على رأس الأشياء التي تجمع ويستفاد منها (الحطب)، وكان وسيلة رزق لبعض الناس، حتى أن الرسول ﷺ قال: (لأن يأخذ أحدكم أحبُلاً فيأخذ حزمة من حطب فيبيع فيكف الله بها وجهه خير من أن يسأل الناس أعطي أم منع).[(١)] وهذا النوع من الاحتراف لا يتطلب وجود رأس مال، ولا يحتاج الرجل فيه إلى أكثر من فأس وحبل، وقد لا يحتاج إلى هذه في بعض الأنواع من الجمع، وهذه الحرفة من أبسط الحرف لإيجاد مورد

(١) رواه البخاري، فتح الباري، ج١٠/١١٩؛ ومالك في الموطأ، ص ٤٧.

رزق يُعز الإنسان ويغنيه عن الناس وهو هدف شرعي.

كما أن جمع العشب وبيعه للصاغة كان سائد في المدينة زمن الرسول ﷺ، وكان هناك من الصحابة من يجمع (الأُذخر) ويبيعه.

وقد وضع البخاري باباً في صحيحه سمّاه (باب بيع الحطب والكلأ)،[1] وكان جماعة من الأنصار يحتطبون الحطب ويبيعونه ويشترون بثمنه طعاماً يتصدقون به على أهل الصفّة،[2] وكان ﷺ يأمر المحتاجين بالاحتطاب والبيع فهو خير من المسألة، فقد جاءه أحد الأنصار فشكى إليه الحاجة فقال له الرسول ﷺ: (انطلق وأحضر ما تجده في بيتك، فجاء الأنصاري ببساط وقدح فباعهما الرسول ﷺ بدرهمين وأعطاه إياهما وقال له اشترِ بدرهم طعام لأهلك وبدرهم فأساً ثم ائتني ففعل ذلك ثم جاء للنبي ﷺ فقال له: (انطلق إلى الوادي واحتطب ثم ائتني بعد عشرة أيام)، ثم أتي هذا الأنصاري بعد العشرة، وقد استغنى، فقال له النبي ﷺ: هذا خير لك من أن

(١) انظر: فتح الباري، ج١٠/١١٨.

(٢) د. أكرم العمري، المجتمع المدني في عهد النبوة، القسم الأول، ص ١٠١.

تأتي يوم القيامة في وجهك نكتة من المسألة.[١]

و هـذه التوجيهات النبوية لهذا المحتاج، هي توجيه لعامة الناس في الأمة إلى يوم القيامة، بعزة النفس والغنى عن الناس والعفاف عن المسألة، والسعي للإنتاج، بما يسد حاجته ويغنيه عن الخلق، وهذا يعني دفع الإنسان للإنتاج، بما يستطيع، وأن لا يكون عالة على الآخرين، ولا يوجد في أي أمة من أمم الأرض غير المسلمين مثل هذه التعليمات النبوية الشرعية الإلهية لدفع الإنسان للإنتاج والعمل.

الأُجّراء.

من المعروف أن الأجير هو الشخص المستأجر للخدمة، والعمل، وتختلف نوعية العمل الذي يتفق الأجير مع صاحبه عليه من خدمة أو حماله أو سقاية، أو غير ذلك من الأعمال الشائعة التي يطلب أصحابها الأجراء ليقوموا عنهم بالعمل.

وقد كانت الإجارة معروفة في المدينة أيام الرسول ﷺ. وقد وضعت كتب الحديث أبواباً للإجارة، وذكرت ما

(١) انظر: الخزاعي، تخريج الدلالات السمعية، ص ٧١٦.

ورد فيها من أحاديث عن الأجير في العصر النبوي.[١]

وكـان بعـض الصـحابة ﷺ يحملـون للنـاس الأشـياء علـى ظهـورهم مقابـل أجـر محـدد، فمـنهم مـن يأكـل مـن الأجـر ومنهم من يتصّدق به.

وكـان بعـض الصـحابة يحـب أن يـؤدي صـدقة حينمـا يـدعوهم الرسـول ﷺ لـذلك، فـلا يجـد مـالاً فيـذهب إلى السـوق يحمـل للنـاس مقابـل أجـر، فيـأتون بـه إلى الـنبي ﷺ ويتصـدقون بـه، فقـد ورد في حـديث رواه أبـو مسـعود الأنصـاري ﷺ قـال: (كـان رسـول الله ﷺ إذا أمرنـا بالصـدقة انطلـق أحـدنا إلى السـوق فيحامـل، فيصـيب المـدّ وإن لبعضـهم لمائـة ألـف)،[٢] ويقصـد أنهـم كـانوا فقـراء ثـم أصبحوا من أصحاب مئات الألوف بعد ذلك.

وقد كان من الصحابة رجل فقير يدعى (أبا عقيل) واسمه حُشْمَان، وقيل غير ذلك، ويلّقب بصاحب الصاع، إذ كان ينقل الماء على ظهره ويتصدق بنصف الأجرة. وقد دعا رسول

---

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب الإجارة وما تضمنه من أبواب، فتح الباري، ج١/٣.

(٢) صحيح البخاري، فتح الباري، ج١٠/١٦.

الله ﷺ الناس إلى الصدقة فجاءه أبو عقيل بصاع من تمر فأفرغه في الصدقة وقال للرسول: لقد حملت الماء على ظهري بصاعين أحدهما لي ولعيالي، والآخر جئت به صدقة، فتضاحك المنافقون وقالوا: إن الله لغني عن صدقة هذا، فنزل قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٩ ﴾ [التوبة]،(١) وقد حثّ رسول الله ﷺ على إعطاء الأجير أجره فقال النبي ﷺ: (قال الله تعالى: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة، رجل أعطي بي ثم غدر، ورجل باع حراً فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره).

وهذا تهديد من الله ورسوله ووعيد للناس لمن لا يعطون الأجراء أجورهم ولا يبخسوا منها شيئاً.

وباب الرزق من خلال العمل في الإجارة باب شريف، أقره الرسول ﷺ وطبقه الصحابة في حياتهم بتشجيع من النبي ﷺ، وفي ذلك تنمية للذات وعز

(١) الشوكاني، فتح القدير، ج٢/٣٨٦؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ج٤/١٣٠؛ ابن حجر، الأصالة، ج٤/١٣٦؛ ابن كثير، تفسير القرآن، ج١/٢٩٧.

وكرامة للإنسان.[1]

(١) د. عبد العزيز العُمري، الحرف والصناعات في الحجاز، ص ٢٩٣ ــ ٢٩٥.



رسول الله وخاتم النبيين

دين ودولة

القسم الثاني

الاضطهاد والهجرة والتنمية

- آذى المشركون الرسول ﷺ وأصحابه في محاولة لصدهم عن دين الله، فصمد الأبطال، وكانوا أمثلة للمسلمين عبر الزمان في التحمل والشهادة في سبيل الله، رجالاً ونساءً...

- كان ﷺ يواسيهم ويضرب لهم الأمثلة في أتباع الأنبياء السابقين، وتتنزل الآيات عن الأمم السابقة ونصر الله للمؤمنين، فيفتح أمامهم باب الأمل...

- جاء الإسلام إلى المجتمعات البشرية ليحببها بطاعة الله وتوحيده، وليرفع كرامتها، ويعزز النظام والحقوق، ويزيد الإنتاج، ويحمي البيئه والأرض من الفساد.

- كانت المدينة نموذجاً للمدنية، نظمها ﷺ، بمختلف التشريعات والأعمال المدنية، فتسابق أهلها للإنتاج والعطاء، بدلاً من الاعتماد على الآخرين أو التشاؤم والسلبية. فنمت وتغيرت أحوالها.

رابطة العالم الإسلامي
الهيئة العالمية للتعريف بالرسول ونصرته

كرسي المهندس عبد المحسن الدريس للسيرة النبوية ودراساتها المعاصرة